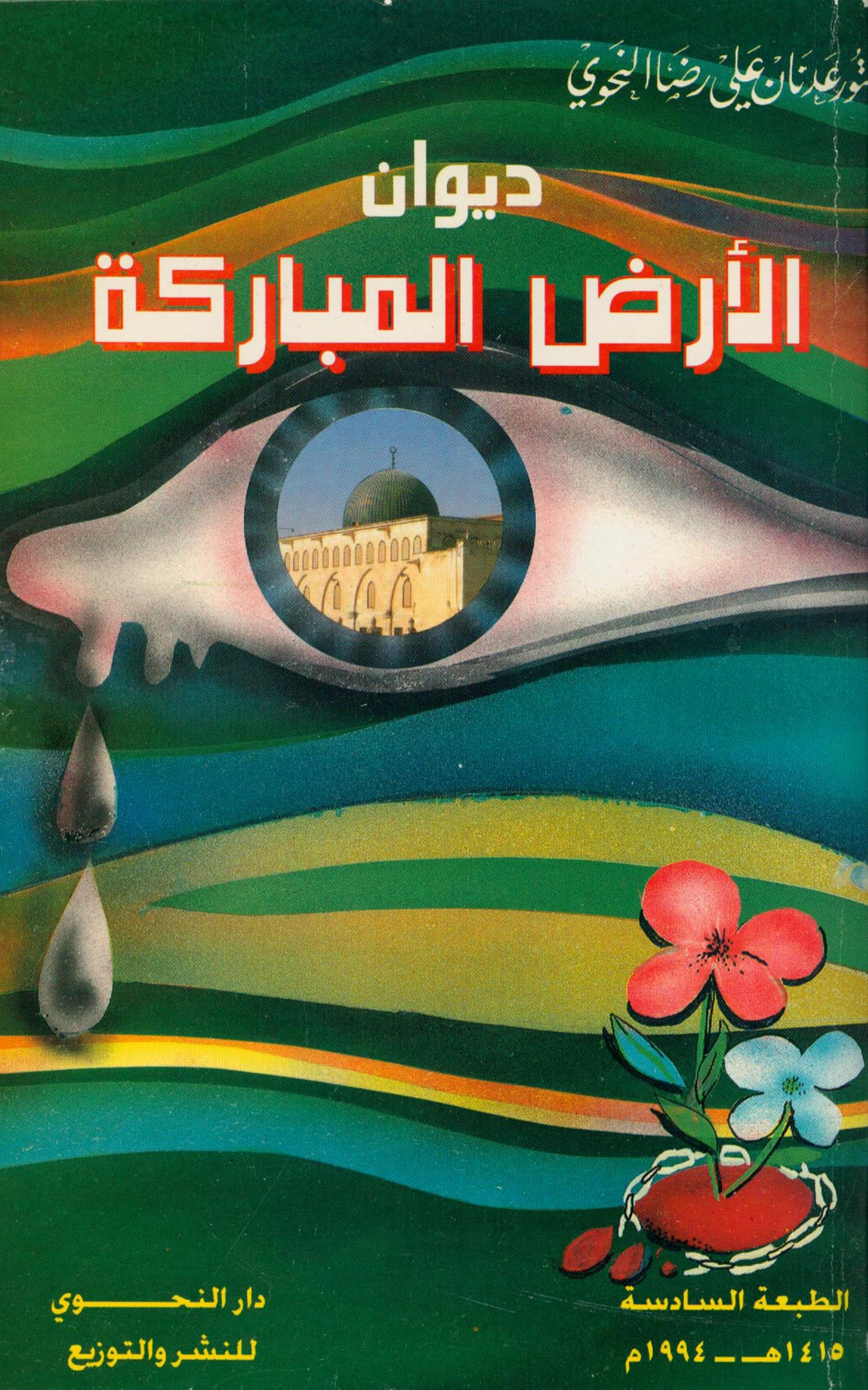

تور عدنان علي رضا النحوي
ديوان
الأرض المباركة
الطبعة السادسة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
دار النحوي
للنشر والتوزيع

إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديوان
الأرض المباركة

شعر

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة السادسة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

الطبعة الثانية

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الطبعة الثالثة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الرابعة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة الخامسة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الطبعة السادسة

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

AL-NAHWI

دار النحوي للنشر والتوزيع

ص.ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

الهاتف والفاكس: ٤٠١٠٢٥٧

المملكة العربية السعودية

ديـــوان

الأرض المباركة

النحوي، عدنان علي

ديوان الأرض المباركة، شعر. – ط ٦.

٢٧٢ ص؛ ١٧سم X ٢٤سم

ردمك: ٦ – ٢٣ – ٦٨٧ – ٩٩٦٠

– السعودية ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد

أ– العنوان

ديوي ٨١١.٩٥٣١ ١٤/٢٠١٧

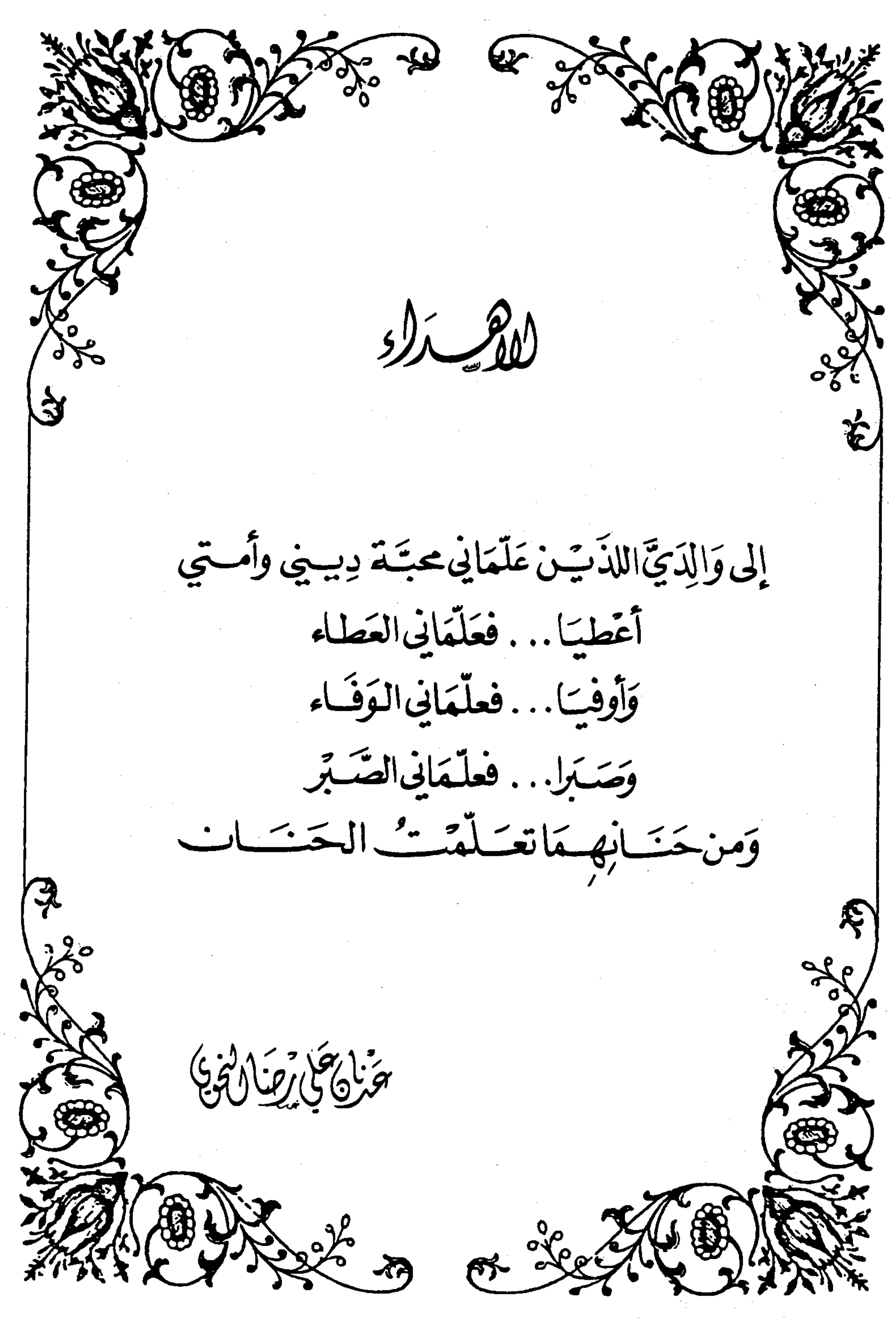
رقم الإيداع: ١٤/٢٠١٧

ردمك: ٦ – ٢٣ – ٦٨٧ – ٩٩٦٠



﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ



الإهداء

إلى والديَّ اللذين علّماني محبة ديني وأمتي

أعطيا... فعلّماني العطاء

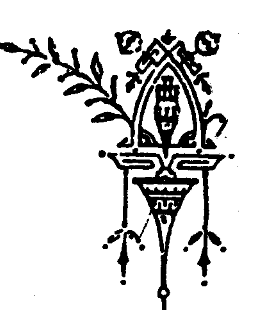
وأوفيا... فعلّماني الوفاء

وصبرا... فعلّماني الصّبر

ومن حنانهما تعلّمتُ الحنان

عدنان علي رضا النحوي





شكر وتقدير

أقدّم شكري وتقديري الى الأخوة الأساتذة رجال الأدب والفكر والصحافة الذين تلطفوا بدراسة هذا الديوان فكتبوا أو تحدثوا عنه في وسائل الإعلام المختلفة مما سجل بعضه في الديوان . وأخص بالذكر الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محمّد مصطفى هدارة على كلمته الرقيقة وجهده الكريم ومبادرته الطيبة .






مقدمة الناشر للطبعة الثانية
المكتب الإسلامي

ما كنت أظنّ أن هذا اللون من الشعر ما زال له أهله ورجاله، يتذوقونه ويهتمون به. ما كنت أظنّ ذلك وقد راجت الدعاوات بتسميته بالشعر الرجعي، وكاد ينتشر ما يسمونه بالشعر الحر. . . .! وضعفت اللغة العربية بين الناس وغابت في كثير من الأحيان قوة العبارة وجمال الأسلوب، وغابت بلاغة الشعراء الأقدمين ورونق البيان والتبيين.

وأقدمت على الطبعة الأولى وفي نفسي شيء من الوجل والخوف والاستحياء. . حتى إذا ماتمّ طبعه ومضى توزيعه ورأيت الإقبال عليه، غَيَّرْتُ رأيي وحمدت الله على أن أبقى في أمتنا الخير الكثير، والذوق الأصيل، والاهتمام الكريم للحفاظ على لغة القرآن، ومعاني الإيمان، وصور الواقع من خلال عقيدة ويقين. هذه الصور والمعاني التي يعرضها شاعرنا عدنان النحوي.

وها نحن الآن نقدم على الطبعة الثانية متخطين طبع العدد المنظور في الدواوين لنسد الحاجة التي لمسناها بعد الطبعة الأولى.

وقد تناول الديوانَ في طبعته الأولى عددٌ من الصحف ورجالُ الأدب والفكر نورد مقتطفات مما كتبوا :

ففي مجلة الجديد العدد ٥٠٧ تاريخ ٨ - ١٤/١/١٩٧٨م. كتب الأستاذ زهير الماردِيني كلمة طويلة تحت عنوان: شاعر لا يأكل من صحن القضية جاء فيها :

«.... ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالدّيوان نسيت الشعر والشعراء ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾** عندها فقط عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء... لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية......».

كما كتبت مجلة اللواء الأردنية في عددها الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨م كلمة طويلة أيضاً حول الديوان: بقلم الأستاذ حلمي الأسمر تحت عنوان جولة في أعماق الأرض المباركة جاء فيها:

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطوّلة «لم يبق في عرفات إلا دمعة»... وتحدث عن عرفات بكلام يسيل رقة وحناناً ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول:

عرفات ساحات يموت بها الصدى وتغيب خلف بطاحه الألـوان
لم يبق في عرفات إلا دمعة سقطت فبكّتْ حولها الـوديان
هي دمعة الإسلام يلمع حولها أمل وتهرق بينها الأحـزان

ثم عرضت هذه الكلمة مزايا الديوان الأدبية من حيث الأسلوب والنفس الطويل ووحدة القصيدة وموسيقاها...

وتحدث الأستاذ محمد الصباغ من إذاعة المملكة العربية السعودية عن الديوان بكلمة عنوانها: «الملامح الإسلامية في ديوان الأرض المباركة» جاء فيها:

«يقرر عدنان النحوي فيما يقرر أن النكبة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح

الكفار - وا أسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من المسلمين. وأن هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يمليها المكر الأسود والحقد الدفين. وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء. فيقول :

لست أبكي ترابها ومروجاً نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تذوي في نفوس تعيسَةٍ والإباء
ما هجرنا ديارنا غير أنا قد هجرنا العقيدة السمحاء
لفظتْنا الديار إذ ذاكَ لفظا وأحالت كرامنا غُرَبَاء

ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله وأعمالنا المجانبة لشرعه وحياتنا المنحرفة عن الإسلام بكل منطلقاتها. ولذلك فقد أصابنا الذل الذليل وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء نطلب منهم حقوقنا ونفرح ونتيه للحقير من العطايا ننالها منهم. يقول :

عجباً! كيف قُطِّعتْ أمة العرب وكانت عقيدة وإخاء
عجباً! كيف زُلزلتْ أسس الدار وهبت رياحها هوجاء
أفلتت حبلها المَتين وأرخت من عُراها وبدّلت أهواء
وتدنت لتعرق العظم من كفِ غريبٍ يلقي به إلقاء
ومضت تطلب الحياة بجيفات ونتنٍ ذليلةً بلهاء
ذلّ من يطلب الحياة من الخصم ويرضى من كفه إعطاء

وتمضي كلمة الأستاذ الصباغ تعرض كيف يصور شاعرنا الواقع المؤلم وطريق الخلاص. . . . !

ومن إذاعة المملكة العربية السعودية تحدّث أيضاً الدكتور أحمد كمال زكي فكان من جملة ما قال :

«وبيدي ديوان عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصفدي عدنان النحوي. وقيمة هذا الديوان في نظري أنه يصور رحلة شاعر مع الزمن وداخل دائرة واحدة هي الوطنية التي تتطور إلى الإنسانية عابرة بالقومية. وبعبارة أخرى انطلق عدنان من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته. وكانت البداية ملحمية... ففي أوائل الأربعينيات نسف الإنجليز داره وفي أواخرها نسف الصهاينة وطنه، وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضَياع الضفة الغربية والجولان وسيناء... وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المباركة. وكان قد نبهها قبل عندما رآها تتفرّق أيدي سبأ. نبه عدنان أمته هذا التنبيه، ولكن الفرقة ظلت فكانت كارثة عام سبع وستين وتسعمائة وألف... ويبدو أن الشاعر... قد وجد الحل في العقيدة نفسها ورأى الإسلام بقواعده هو الدواء لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوت تتلمس في الثرى سنداً. ثم انطلق يقول :

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى من الكتاب وعبّادٍ له دانوا
تشوقت لجنان الخلد أنفسُهمْ فأرعدت في البطاح الحمْر فرسان

وفي كلمة الأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وهو يستعرض هذا الديوان ويستعرض معه مقدمة الأستاذ الدكتور هدارة :

«وَتحسُّ فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله :

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب واخترقوا صفّ العدى عصبة لا تظهروا لينا

ويظل الشاعر يبث الشجون ويثير العواطف، وكلما مرّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد:

أيها العيد أين منك الوعودُ طال فيك الرجاء والترديد
أنْ نرى من شبابنا كل حرّ صاعداً للردى فذلك عيد

أو تلسعه دالية المتنبي فيقول :

ما العيد إلا لِحُرٍّ لم يَهُنْ أبداً ولا بدا وهو في الأغلال مصفود

على أنه وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على الأرض المباركة فلسطين لا تبتعد أحاسيسه في الوقت نفسه عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وإرهاق وعنت وأحداث لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافاً من الشباب :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهمُ

ويتابع الأستاذ عبد العليم كلمته :
وتنطلق لواعج عدنان من عقالها وتتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد راعه أن:

أحنت منائرها الهضاب تفجعاً وبكى على فرسانه الميدانُ
وتشعبت دون الظلام مسالك شتى وكان سبيلَنا القرآنُ

تلك هي ثورة عدنان كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ وقليلاً ما يكون، فهو وصّاف يتأنّق في وصفه فيجيد. وإنك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي نختاره من قصيدته صفد بلده الحبيب والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله:

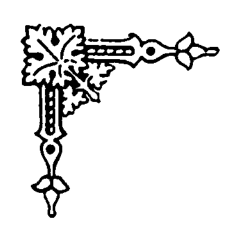
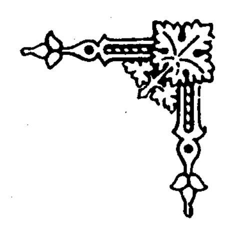
يازهرة اللوز الشهيّ وطلعة النـ ـنَـوْرِ البَهِّي وغرسة الأَجْدَاد
يا غرسة العنّاب مَدّت كفّها المخضوب من فرع لَهَا مَيّاد
كالغادة الحسناء خلف خِبائها دفعت بناناً للمحبّ الصّادي

يا أمسيات في الرجوم كأنها عطر الشباب وبهجة الأعياد
والبحرة الزرقاء دون شعابه نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نَهَدَت بجنبيْها الربى وتوثّبتَ نهدين مضطربين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجيّ غلالة سمراءَ تخفق في ظلال سواد
وشت حواشيها النجوم لآلئاً تطوي وتنشرمن بريق هادي
والبدر بين الناهدين كماسة موصولة في جيدها بقلاد

وصياغـة عدنان عربيّة أصيلة....» وهكذا تمضي كلمة الأستاذ عبد العليم القباني في عرض مواضيع الديوان وأفكاره ولغته وأسلوبه.

ويسرنى أن أقدم هذا الديوان في طبعته الثانية آملاً أن يحقق بذلك دفعة للأدب المؤمن في ثوبه الأصيل وصياغته العربية الصادقة

المكتب الإسلامي

مقدّمة الطبعة الثانية
للمؤلف

مع الطبعة الثانية لديوان الأرض المباركة، تظل مقدمة الطبعة الأولى تعطي ملامح الأحداث التي خرجت معها هذه الأبيات....! خرجت في أكثر من مكان... وفي رحلة واحدة يرسم القدر دروبها وخطاها.

وظلت الأحداث خلال هذه الرحلة تنتقل من مفاجئات إلى مفاجئات، ومن ظلمة إلى ظلمة، ومن محنة إلى محنة...

وأحداث أمتنا لا يكفيهاالشعر ولا النثر. إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة والعتاد، وكل أنواع القوى وأساليب الجهاد. والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح من هذه الأسلحة...سلاح لابُدّ أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة القوية تكون الكلمة قوية...، قوية بمنطلقها، وأثرها، ومداها.

ولكن الكلمة قد ضعفت في أمتنا اليوم. ضعفت شكلاً ومضموناً، وضعفت أثراً ومدى. ضعفت الكلمة كما ضعفت الأمة وكما ضَعُفَتْ سائر أسْلحتها. ولكنها جولة من جولات أمة الإسلام بين ماض بعيد ومستقبل قريب. إنها جولة من الجولات ومرحلة من المراحل في تاريخ عظيم ممتد في الحياة حتى قيام الساعة. فهذا هو تاريخ المؤمنين وهذا هو مداه...!

ضَعُفَتْ الكلمة حين ضعفت اللغة كذلك. فكم من شبابنا اليوم يحملون أعلى الشهادات العلمية لا يكادون يحسنون لغتهم كما يحسِنون اللغات الأجنبية. ضعفت

لديهم لغتُهم وهان عليهم تاريخهم وهم يصيحون بشعارات العروبة، وإن شئت الإسلام. حتى كأنَّ العَمل لم يعد أكثر من شعار يُرْفع.

ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم حين استسلمت على خدَر الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتالَ يميناً وشمالاً ومن كل ناحية تاريخاً وأمجاداً، ولغة وعتاداً، ويمزّق ويسحق، ويخلف وراءه جثثاً وجيفاً...!

إنها غفوة من الغفوات في تاريخ أمتنا. لابد من صحوة بعدها إن شاء الله، ولا بد من وثبة مظفَرة في ميادين الحق والجهاد، لتشهد أمتنا جولات النصر والغلبة، عابدة لله خاضعة له، حتى تكون كلمة الله هي العليا.....!

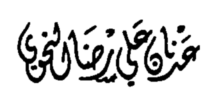
وهذا هو وعد الله لعباده المؤمنين إذا صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، إذا أسلموا وآمنوا، إذا اخبتوا وأنابوا، إذا تدبروا منهاج الله وعملوا به، إذا نهضوا إلى دعوة الحق نهضة صدق ووفاء.

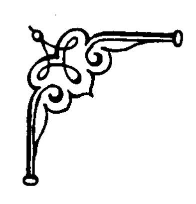
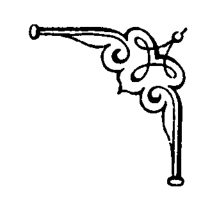
وعندئذ يكون عمل هؤلاء المؤمنين قوة وسلاحاً. عندئذ تصبح الكلمة قوة... اسَرع من نضح النبل....، وتصبح العبادة قوة أمضى من النصل الباتر. عندئذ تصبح الروحة والغدوة، والقيام والقعود، والراحة والنشاط، والعمل كله....يصبح عندئذ قوة عظيمة مباركة، وسلاحاً مظفَراً ميموناً. ويصبح العمل كله ذكراً لله في كل ساحة وميدان...!

فعلى درب الإيمان، يمضي المؤمنون مع سلاحهم وعتادهم صابرين محتسبين حتى يلقوا الجنة أو النصر، يمضون في طريقهم الطويل ومعهم كل سلاح وكل عتاد، معهم كلمةُ الحق.......!

واختم كلمتي هذه. بتقديم الشكر والتقدير إلى الإخوة الأساتذة محمد بن لطفي الصباغ على كلمته الكريمة التي ألقاها من الإذاعة السعودية والدكتور أحمد كمال زكي والأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وسائر الأساتذة الذين تفضلوا فكتبوا كلماتهم حول هذا الديوان.

الرياض ٢٥/٤/١٣٩٩هـ
٢٣/٣/١٩٧٩م



مقدمة الطبعة الأولى

من عبق هذه الأرض المباركة ومن أنفاسها الذكية، من مرابعها الطيبة ومن صفحات جهادها الكريم، خرجت هذه الأبيات من الشعر.

أرض مباركة، لم تكن بركتها في حجارة أو طين، في نبات أو طير، في مروج أو زهور، وإن كانت هذه كلها طيبة، ولكنها بركة عقيدة وجهاد، بركة رسالة ربّانيّة ونبوة، بركة تاريخ طويل يرسمه وحي السماء، لتمضي معه جنود الحق في صراع طويل مع الباطل...

ونمت بركة هذه الأرض حين أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده محمد ابن عبد الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليؤم الأنبياء ويمضي به البراق... إلى السموات. فترتبط بذلك الديار وتتصل القلوب، وتجتمع الأمة على مرابع الخير، وفي طريق النور.

ومع الطفولة المتفتحة وعلى مدارج الصبا لاقتنا الأحداث ثورات دامية وشهداء أبراراً في معارك متلاحقة ضد الاستعمار والصهيونية والمؤامرات الدولية. ولم تكن تهدأ ثورة حتى تنتفض أخرى أشد وأعتى، وكان بينها مدة راحة واسترخاء يفرضها الوضع الدولي كالحرب العالمية الثانية، تغلب فيها الشكوى والتغني بالامجاد...

وكانت فاجعة النزوح بكل مآسيها ودموعها ودمائها، ودفعتنا هذه الفاجعة لنلتقي

من جديد، وتلتقي الأمة كلها مع أحداث جسام، وصراع مرير باق مابقيت الحياة حتى تقع جولة الحق، وينتصر فيها الإيمان وتعلو كلمة الله.

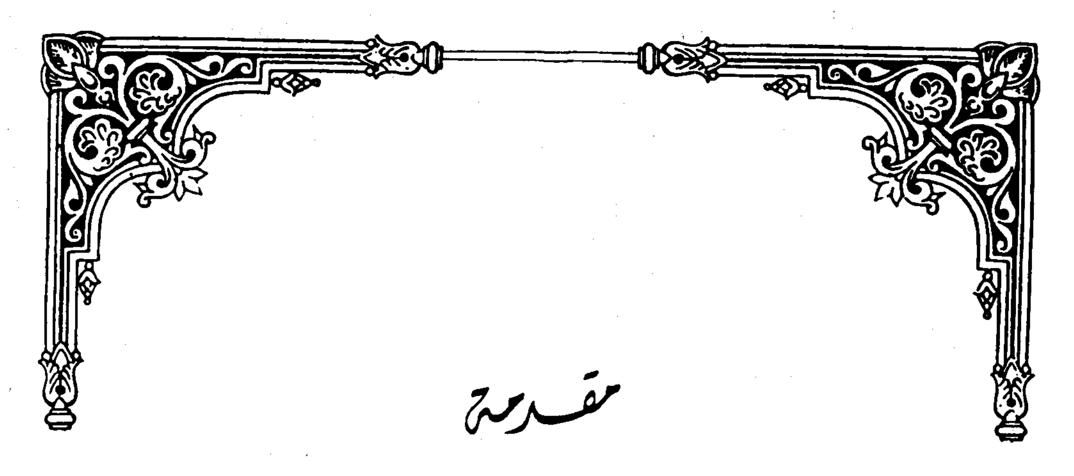
لذلك كان الشعر بالنسبة لي خلجات تضطرب مع الأحداث وأحاسيس تنطلق على غير ميعاد على هذا النحو من التعبير.

واطلع أخي الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة على هذا الديوان. فلم يكتف بقراءته أو إبداء ملاحظاته الكريمة، ولكنه تفضل مشكورا بوضع مقدمة هذا الديوان، وكأنه استشف من بين هذه الأبيات ملامح حياة واضطراب خلجات. فعاش وكأنها خلجاته وأحاسيسه وسجلها في مقدمته.

فإلى أخي الأستاذ الدكتور هدارة أقدم شكري على هديته الحلوة الكريمة.

الرياض. ٢/٧/١٣٩٦هـ
٥/٧/١٩٧٦م

عدنان علي رضا النحوي



مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير الدكتور محمد مصطفى هدارة
استاذ الأدب العربي في جامعتي الاسكندرية والرياض

صافحت عينا شاعرنا نور الوجود في بيت علم تنمى أرومته إلى عالم كانت تضاف إليه صفة علمه لرسوخه فيه حتى صارت تلك الصفة (النحوي) عَلَمًا له ولأسرته من بعده.

وقد نشأ عدنان النحوي في صفد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات وأخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الانجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية، وكانت تقدم عاماً بعد عام فلذات أكبادها شهداء حريتها وعروبتها وإسلامها، فارتبط عدنان ـ منذ صباه الباكر ـ ببلدته ووطنه وأمته ودينه، ولا انفصام في الحقيقة بين هذه الجزئيات التي تؤلف دائرة واحدة تبدأ من المركز ـ وهو مسقط رأس الشاعر صفد ـ ثم تنداح لتتسع شيئاً فشيئاً لتضم في حناياها فلسطين كلها، ثم العالم العربي بأسره، ثم العالم الإسلامي الرحيب بأمسه وحاضره وغده.

وما من شك في أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة في كل أدوار حياته، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة، فالشعر عنده ليس معاناة احتراف، ولا محاولة لإثبات وجود في كل مناسبة تسنح، وليس مطية ذلولاً يتسلى

بركوبها في رحلة الحياة، وإنما هو نبض وجدانه، ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره. إنه يسري في جسده مسرى نفسه، فليس عنه غناء، وليس منه بد.

ويبدأ شعر عدنان من مركز الدائرة الفلسطينية العربية الإسلامية التي تتداخل خطوطها في نفسه، فنراه يتغنى ببلدته صفد في كثير من قصائده، فهو يعيش في ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة في قصيدته (لوحة من صفد). فيرسم لنا تلالها ووهادها، وأشجارها وأزهارها، وأعشابها وأنهارها، وثمارها وأطيارها، إنه يتمثلها جنة مورفة ويسميها (عروس الدهر)، ونحس في كل بيت من قصيدته خفقة قلبه بحبها، ونبض وجدانه في استرجاع مشاهدها ومجاليها وأسمارها.

وحين يسمع عدنان أن شاعراً قد هجا صفدا بحكم التعصب الإقليمي الضيق، لا يسعه إلا هجاؤه ورد عاديته عن بلدته الحبيبة. ثم تجد للشاعر بعد ذلك قصيدتين ترويان أحداثاً أليمة وقعت في صفد: الأولى تتحدث عن دار كانت لأسرة الشاعر في بلدتهم فنسفها الانجليز في خلال أعوام الثورة، وعندما عادت إليها الأسرة بعد سنوات (في عام ١٩٤٣) وجدتها أطلالاً لم يبق منها غير جدار واحد، ظل شامخاً لم يتهدم، وكأنه رمز للإباء وعدم الخنوع والسقوط. وأما المناسبة الأليمة الثانية فكانت سقوط صفد في أيدي اليهود عام ١٩٤٨، وفي هذه القصيدة تتجمع أحزان الشاعر النازفة بالدم في ثورة على ما آل إليه حال العرب والمسلمين من تمزق وضياع.

وينتقل الشاعر في أرجاء بلاده فهو يكتب شعره في عكا تارة وفي القدس أخرى، ويتغنى بحيفا وينظر إلى بحيرة طبرية، فتخلب لبه وتستثير شاعريته، فيصفها كما وصفها المتنبي من قبل مفتوناً بجمالها، ولكن وصف الطبيعة عند عدنان النحوي وسيلة دائماً وليس غاية في ذاته، فهو يستنشق عبير أرض بلاده، ويستجلي مفاتنها، تأكيداً لدينه في مواجهة المد الاستعماري والتحدي الصهيوني. ولن يغيب عنك قط وأنت تعيش في صحبة ديوانه أنك أمام شاعر صاحب رسالة لا يتخلى عنها قط في أي موقف، ولا في أي طور من أطوار حياته، وهو في سبيل هذه الرسالة يضحي بمشاعره الذاتية ويكتم عواطفه الشخصية في التزام نادر يعبر عن مدى إيمانه برسالته وهي مناصرة قضايا الأمة والإسلام، يقول لصديق له :

شكوت لي غير أني لم أجد أحدا أشكو إليه وفي جنبي نيران
هواك غيد وتشكو من لواحظها لكن هوى أضلعي دين وأوطان

بل إنه يرى أن الهوى هو آسر الجهلاء ويصرح بانصرافه عنه إلى طلب الرفعة والمجد يقول:

كاتم فؤادك عن هوى لظباء وانشد مطالع رفعة وعلاء

ومن أجل ذلك لن تجد شعر غزل في ديوان عدنان النحوي إلا في مقطوعتين تعبران عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر، وكأني به لم يسعد بحبه اليتيم إذ سعت أحداث بلاده في تفرق الأحباب وانشعاب القلوب. ولن تجد حادثة أصابت فلسطين أو منعطفا يرتبط بمصيرها إلا وقد عاش في وجدان الشاعر وامتزج بدمائه وأنفاسه وخفقاته وفكره منذ بداية الأربعينات حتى اليوم. فتراه في عامي ١٩٤٣، ١٩٤٤ يحس تمزق أبناء وطنه ويسمع أنين شكواهم دون أن يرى جدا في الكفاح وضم الصفوف والقلوب، ولهذا يناشد بني وطنه الكف عن الدموع والسعي إلى النضال مستثيراً همتهم بأمجاد ماضيهم. [أنظر قصيدتيه (النذير) و (يا قومي)]. بل نراه حين يقبل العيد ينفذ ببصيرته في سجوف الزمن فيرى أن نتيجة التخاذل والتمزق ستنتهي بفلسطين إلى ما انتهت إليه دولة الإسلام في الأندلس.

ثم يحل عام النكبة سنة ١٩٤٨ ويصح ماتوقعه الشاعر - وقد ضاعت صرخات تحذيره قبل ذلك بسنوات في خضم الخلاف والتنابذ - وهنا ترتسم الكارثة بكل عنفوانها في وجدانه وفكره فيبكي سقوط صفد ويبكي ضياع فلسطين كلها، ويبكي شهداء الكفاح الذين سقطوا في أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل القسطل، ولا ترقأ دمعته، ولا تكف جراحه الفاغرة عن النزف بعد تاريخ النكبة حتى اليوم. كما يتمثل لك في قصيدته (جرحان) التي كتب بعضها في عام ١٩٤٩ وبعضها الآخر في عام ١٩٦٤ والجراح هي الجراح، واللوعة لا تزال مشبوبة الأوار. بل نجده في عام ١٩٧٤ يكتب (عودة لاجىء) بقلم يتنزى ألماً ووجدان يقطر دما :

أنا يا أخت ضائع لست أدري أين قومي وأي أرض أجوب

في ضلوعي أسىً وفي العين دمع يتنزى وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمة ظللتها غبرة الموت واعتراها شحوب
ودبيب الأيام ينزع مني نفسا خافقاً وروحا يغيب

ولا يعيش عدنان النحوي في قلب المأساة الفلسطينية وحدها، بل يعيش أيضاً في حنايا عالمه العربي، كما يعيش العالم العربي في حَنَاياه ووجدانه ويتعاظم إحساسه لدينه في قصيدتين جعل لهما عنواناً واحداً هو (أخي)[1] كتب الأولى في عام ١٩٥٧ وكتب الثانية في عام ١٩٦٦ مما يدل على ثبات إحساسه بالأخوة الاسلامية مهما تطاولت السنون، وهو يجول بمشاعره في قصيدته الأولى في أنحاء من العالم العربي يتابع قضاياه في الحرية ويشد من أزر مناضليه بروح المجاهد المتفائل المؤمن برسالته، يقول :

أخي لا تبال فهذي القلوب وهذي السواعد ثارت معك
فلا ظلمة السجن تخشى ولا جنون السياط برى أضلعك
ولا القيد، حطمه كبرياؤك قطعته دونَ أن يقطعك
وجلادك الوحش أذللته وقد كان يبغي هنا مصرعك

وهو ينزف ألماً في أحداث مؤسفة عرضت في عام ١٩٥٥ في بلد عربي. وعبر عنها في قصيدتيه (دماء بريئة) و (شفق الفجر) يقول في دماء بريئة :

أدم يُراق وفتية يتساقطو ن وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه سيف تشل به اليدان ويلجم
وترد أبواب السجون وخلفها جسد يغيب وهمة تتقدم
ويشرد الأحرار في أفواههم صوت الجهاد قصائد وَتَرنُّمُ
وتباح أسواق البلاد لغاصب يوم الجلاء وقبل ذلك مغنم

ولكن عدنان النحوي برغم كل مآسي وطنه الصغير فلسطين ووطنه العربي الكبير وعالمه الإسلامي لا يهتز إيمانه ولا يتخاذل تفاؤله بقدوم يوم النصر، وشعاره في ذلك قوله:

---

(١) في هذه الطبعة تغير عنوان إحداهما إلى «سواعد وقلوب».

لا تيأسي يا نفس إن عبس الزّما ن فما القنوط بمذهب البأساء

ومن المؤكد أن أهم ما يذكي في قلبه روح التفاؤل إيمانه القوي بدينه وشعوره القوي الجارف بعظمة الإسلام، حين تعتصم به النفوس المؤمنة فتجد فيه القوة بعد الضعف، والثبات بعد التخاذل، والاتحاد بعد التفكك، والنصر بعد الهزيمة. وهذا الشعور الديني الذي يغذو روح عدنان النحوي وفكره قديم صحب نشأته الأولى منذ كتب قصيدته (عزة الإيمان) في عام ١٩٤٤ وأخذ يتوهج في نفسه كلما تأمل حال العرب والمسلمين في كل مكان، فكتب قصيدته (فلسطين في ظلال القرآن) وكتب مطولته الرائعة (لم يبق في عرفات إلا دمعة)، وكتب بهذه الروح الدينية المتوهجة قصيدته (دعاء) ورثاء للشهيد سيد قطب.

تلك هي الموضوعات الرئيسية في شعر عدنان النحوي، إلى جانب شعره الذاتي الذي يعبر فيه أجمل تعبير وأدقه عن نفسه بحيث لا تغيب عنك سمة من سماته الخلقية أو الفكرية. وهي تبين بجلاء أنه شاعر ملتزم صاحب رسالة لا يتخلى عنها في أي دور من أدوار حياته الشعرية التي تمتد في هذه المجموعة ثلاثاً وثلاثين سنة. وصغر حجم هذا الديوان مع المقارنة بطول المدى الشعري يوضح أحد أمرين:

الأول: أن الشاعر لم يضم فيه كل ما قاله من شعر، ومن ذلك عندي وجود مقطوعات صغيرة في مناسبات مختلفة مما نطلق عليه اسم (الاخوانيات) حرص الشاعر على إثباتها.

والثاني: أن الشاعر مقل بطبعه لا يكتب إلا حين تكتمل تجربته الشعرية وينضج انفعاله بها، وهذا هو الأرجح عندي، ولهذا نجد له في عام ١٩٤٣ قصيدتين بينما نجد له في عام ١٩٤٤ عشر قصائد. وهذه الفترة الباكرة من حياته في الأربعينات كانت شديدة الخصوبة، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ هدأت وقدته الشعرية فلا تجد له شعراً في سنين كثيرة، أو تجد له في العام قصيدة أو قصيدتين على الأكثر.

وعلى الرغم من يقيني بأن الشاعر جمع في هذا الديوان كل نتاجه إلا أني أستدرك قائلاً : إنه أسقط منه بالتأكيد محاولاته الأولى في أيام الصبا، لأننا نرى في بدايات شعره في عام ١٩٤٣ جزالة وقوة في معظمه مما يوحي باجتيازه مرحلة الغرزمة.

لقد تحدثت حتى الآن عن مضمون شعر عدنان النحوي، وما من شك في أن عنصر الشكـل قد تطور في شعره تطوراً واضحاً في خلال رحلته الشعرية الـطويلة. فقـد كان شعـره في الأربعينات يحمل آثار التقليد والمحاكاة للشعراء الفحول، فتحس في قصيدته (عزة الإيمان) روح المتنبي تطل عليك بكل ما فيها من تشاؤم وسوء ظن بالناس، وبكل مافي أسلوبه من جزالة وقوة وميل إلى التصوير وجنوح إلى الحكمة، يقول عدنان :

أرى الليل غارت في السماء كواكبه فغار فؤادي والهموم نوادبه
أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت مصائبه عن عسرة ونوائبه
تسربلت جلبابا من الصبر ضافيا وللصبر جلباب تطول ذوائبه

إلى آخر القصيدة......

وحين يكتب عن العيد في فلسطين تلح عليه إلحاحاً شديداً قصيدة المتنبي المشهورة:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

قال عدنان في قصيدته الأولى عن العيد :

أيها العيد اين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

ولعلك تلاحظ أن تأثير المتنبي لم يظهر في أسلوبه ورنته التشاؤمية فحسب، بل ظهر في اصطناعه لقافيته أيضاً، أما القصيدة الثانية فقد وضح فيها تأثير المتنبي بصورة أقوى إذ حاكاه النحوي في الوزن والقافية والأسلوب، ومطلع قصيدته :

هل عدت بالأمل المحبوب ياعيد عود سعيد فهل في العود تجديد

وترى آثار شعراء آخرين تبدو في القصائد الأولى لعدنان النحوي، كأثر أبي فراس الحمداني الذي يتضح في قصيدة (شوق) وأثر أوس بن حجر الذي يبدو في قصيدة (حنين)، وأثر أحمد شوقي في قصيدة كتبها النحوى إلى صديق مطلعها:

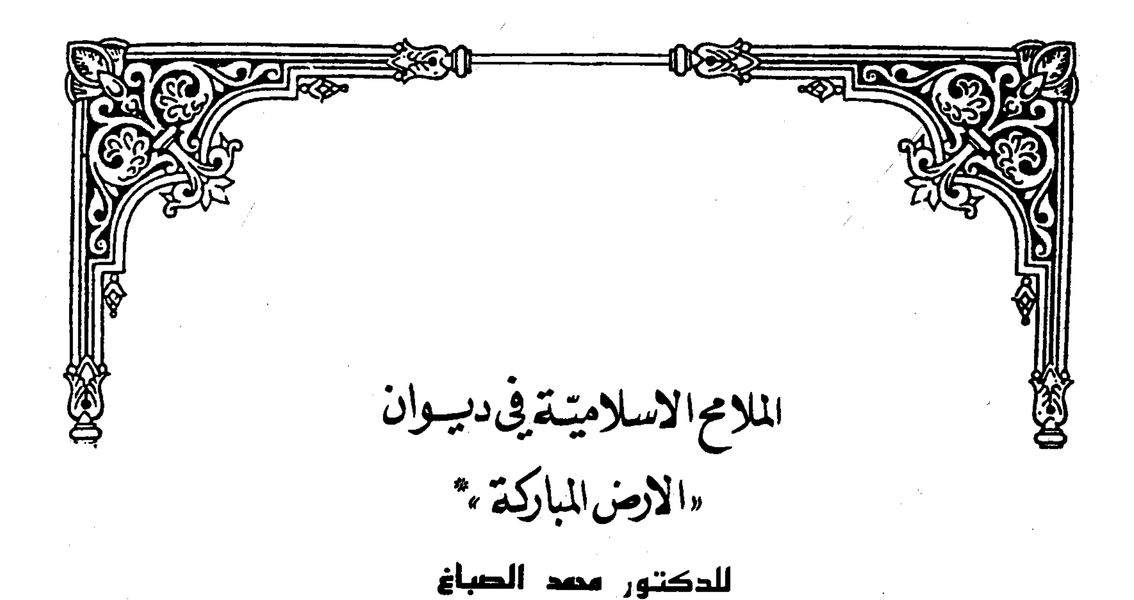
من للفؤاد إذا رَحَلْـ ـتَ ومن يحن ومن يعينه

فهى محاكـاة واضحة لقصيدة شوقي المشهورة (ياناعما رقدت جفونه) غير أن المحاكاة في هذه الفترة الباكرة من حياة الشاعر أمر طبيعي، وهي أثر من قراءاته في الشعر العربي قديمه وحديثه، وتكاد تكون محصورة في بعض طرق التعبير أو التصـوير، ثم لا يلبث الشاعر أن تتجلى شخصيته في قصائده التى توهج بها وجدانه، فأخذت صوره تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعاناة الشعورية، كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير.

وبعد فهذه ليست دراسة لديوان عدنان النحوي، ولكنها مجرد انطباع سريع آثرت أن أسجله بعد أن قرأت هذا الديوان الذي حمله إلي مشكوراً صديق كريم، فعشت معه ساعات ثرة بالأحاسيس بكل ما يحمل في ثناياه من أمجاد ماضينا الزاهر، وهموم أمتنا الراهنة، والأمل الحلو في المستقبل بقوة الإيمان والصبر.

محمد مصطفى هدارة





الملامح الاسلاميّة في ديـوان «الارض المباركة»*

للدكتور محمد الصباغ

صدر في الأيام الأخيرة ديوان «الأرض المباركة» للشاعر عدنان النحوي، وقد غنّى صاحبه فيه أمانيه وآلامه، ومعظمها يدور حول فلسطين وقد برزت فيه الروح الإسلامية بروزاً واضحاً تلمسه من :

● صدوره في معالجة هذه القضية عن وجهة النظر الإسلامية، لأننا ـ مع الأسف ـ أصبحنا نرى في دنيانا وجهات نظر متعددة تناقش قضايانا المصيرية، ومعظمها تتجاهل الإسلام أو تتجهم له.

● ومن عنوان الديوان الذي يشير إلى الآية الكريمة ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

● وتلمسه من افتتاحه بهذا الدعاء:

يارَبِّ! هذا دعائي، كيف أرفعه إليك، وهو على الآثام محمولُ؟
لولا التأمل في رحماك ما انفرجت نفس، ولا كان للملهوف تجميلُ

(*) كلمة أذيعت في برنامج أدبي من إذاعة المملكة العربية السعودية.

- وفي الديوان جوانب عدة تستحق الدراسة :

● منها الجانب الأسلوبي الذي يتصل بالصورة والموسيقى والتركيب.

● ومنها الجانب الاجتماعي الذي يتعلق بدلالة ما جاء في الديوان على العادات الاجتماعية والمآكل الخاصة.. وما إلى ذلك.

● ومنها الجانب التاريخي والسياسي الذي يبحث في الأحداث التاريخية، والمآسي المؤلمة، وهذا الجانب الأخير عني به الأدباء والنقدة والمؤرخون، وأسموه: «رثاء المدن والممالك» ومن أشهر المراثي فيه رثاء ابن الرومي للبصرة، والرندي للأندلس. ولكنني لن أبحث في شيء من ذلك الليلة، وإنما أريد أن أتحدث عن الملامح الإسلامية في هذا الديوان.

- يقرر عدنان فيما يقرر أنّ النكبة الحقة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح الكفار - وا أسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من أهلها.

وأنّ هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يمليها المكر الأسود والحقد الدفين، وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا، وأن يذلوا رجالنا، وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء، يقول :

لستُ أبكي ترابها ومروجاً نضبت، أو حجارة صمّاءَ
إنما أندب العقيدة تذوي في نفوسٍ تعيسة والإباءَ
ما هجرنا ديارنا، غير أنا قد هجرنا العقيدة السمحاءَ
لفَظتنا الديار إذ ذاك لفظاً وأحالت كرامنا غرباءَ

وهذا حق لا شك فيه، وقد قررته الآية الكريمة ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾. ويعترف به مفكرو الغرب وإن كان بعض الجهلة من أبنائنا يجادل فيه بلا حجة ولا برهان.

ـ ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله، وأعمالنا لمجافية لشرعه، وحياتنا المنحرفة بكل منطلقاتها عن الإسلام، ولذلك فقد أصابنا لذل الذليل، وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء، نطلب منهم حقوقنا، ونفرح ونتيه للحقير من العطايا نناله منهم. يقول:

عجباً! كيف قُطّعتْ أمة العرب وكانت عقيدة وإخاءَ
عجباً! كيف زلزت أسس الدار وهبّت رياحها هوجاءَ
أفلتت حبلها المتين وأرخت من عراها وبدّلت أهواءَ
وتدنّتْ لتعرق العظم من كفّ غريب يلقي به إلقاءَ
ومضت تطلب الحياة بجيفاتٍ ونتنٍ ذليلة بلهاءَ
ذلّ من يطلب الحياة من الخصـم ويرضى من كفه إعطاءَ

ـ ويصور عدنان الواقع المؤلم الذي كشرت فيه المصائب عن نابها، واستغاث الوطن المنكوب وألحّ في الاستغاثة، فإذا الذي استجاب لصرخاته قاس فاتك. ويلتفت الشاعر عن هذا الواقع المرير ليتساءل: أين حمية المسلم؟ أين كتائب الإيمان تتراكض إلى القتال، والردى يترقب، ونداؤها الحلو الله أكبر؟ أين تلك الكتائب تغيث وطني المسلم وتأسو جراح أهله المكلومين؟ أين الكتائب التي تحرص على الفوز بإحدى الحسنيين؟ يقول:

وطني ذكرتك والمصائب كشرت عن نابها واحمرّ منها المخلبُ
فصرخت مكلوماً: أما من منجد يحنو عليّ ومسعفٍ لا يرهبُ
وأتاك ينقذ من رجوت حنانه فإذا به قاسٍ عليك مجرّبُ
أين الحمية إذْ رآك ممزقاً إرباً وعرضك مستباحٌ يُثْلَبُ
أين الكتائب أقبلت ونداؤها الله أكبر! والردى يترقبُ
ومضوا لإحدى الحسنيين يشدّهم شوقٌ إلى دار الخلود ويجذبُ

ـ ويقرر عدنان النحوي طريق الخلاص في هذه الأزمة، فيبين أنه العودة إلى الله ليس غير، فهذه العودة تحيـي النفوس الخاوية وترد إلى القلوب الطمأنينة وتقيم في الحياة الاستقامة، وتخلصها من دواعي القلق والاضطراب. وهذه العودة إلى الله

هي التي تدفع إلى الجهاد، وترجع الأمة إلى سدّة القيادة وتعلي راية الحق، وتنتج للأمة أسباب المجد والعلاء. يقول :

أمتي عودة إلى الله تحيي ميت الأرض والنفوس الخواءَ
أمتي عودة ترد إلى النفس ضياء يمزق الظلماءَ
عودة ترجع الجهاد وتعلي راية الحق واليقين علاءَ

هذه أمثلة تنبىء عما يمتاز به هذا الديوان من الملامح الإسلامية، ولم يكن قصدي الاستقصاء.. وكم نتمنى أن تكثر مثل هذه الدواوين عن فلسطين، قلب أمتنا المكلوم، وأمنيتها المهيضة. وللكلمة سلطان وأي سلطان.

ونختم هذه الكلمة بهذه الأبيات التي وجهها الشاعر لأمة الإسلام :

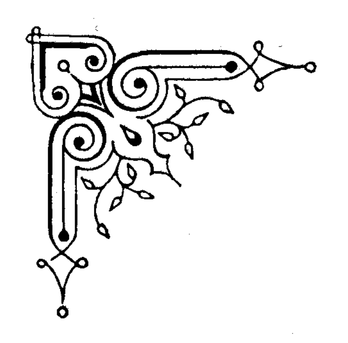
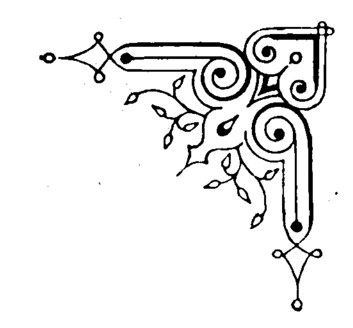
يا أمة الإسلام قد عظم البلا واربّد في ساحاتك الطغيانُ
أفلت حبل الله وارتخت العرى وجرت على ساحاتك القطعانُ
وهجرت قرآناً وسنة أحمد يا ويل من ينأى به الهجرانُ

والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد الصباغ

١٨ محرم سنة ١٣٩٨

٢٨ كانون أول سنة ١٩٧٧

كلمة

الدكتور أحمد كمال زكي

منذ قديم يعرف تاريخنا الشعري مُقَصِّدَ القصيدِ المتفرد بفن واحد.. فهو يقصر شعــره إمـا على مديح آل النبـي صلى الله عليه وسلم كما فعـل الكميت في هاشمياته، وإما على الغزل العفيف كما فعل العباس بن الأحنف، وإما على الزهد كما فعل أبو العتاهية.. وكل واحد من هؤلاء وممن أشبههم لم يُقَصِّرْ قط، ولم يُعْرف عنه إلا الإجادة، بل لقد خيف جانبهم بالرغم من أن تنوّع الفنون عند الشاعر القديم كان قاعدةً نقديةً واردةً في مجال الإجادة.. فقد قرر بشار بن برد أنّ من حسن طالعه أن شَغَلَ السيدُ الحميري نفسه بمدح آل البيت، وقرر أبو الفرجِ أن ابن الأحنفِ زاحم فحولَ عصره في مجلس الخليفة وأنه لما مات أمر هارونُ الرشيدُ ابنه المأمون فسار في جنازته.

وتطرد القاعدةُ ـ بلا استثناءٍ تقريباً ـ في عصرنا هذا، فنجد من الشعراء من يتخصص في فنٍّ واحدٍ لا يجاوزه، ونجد أيضاً أنه قد يحرز قَصَبَ السبْق دون غيره، ودون أن يقع في مغبة التكرار، ثم يُصدر من الدواوين ما لا يمل منها القارىءُ على الإطلاق.

وبين يدي ديوان من هذه الدواوين عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصَّفَدي عَدْنانُ النَّحْويُّ وقيمةُ هذا الديوان ـ في نظري ـ أنه يصور رحلةَ شاعر

مع الزمن وداخلَ دائرةٍ واحدة هي الوطنيةُ التي تتطور إلى الإنسانيةِ عابرةً بالقومية. وبعبارة أخرى انطلق عدنانُ من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته، وكانت البداية ملحميةً. . ففي أوائل الأربعينات ينسف الإنجليزُ داره وفي أواخرها ينسف الصهاينة وطنه وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضياع الضفةِ الغربيةِ والجولان وسيناء.

وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المبـاركة، وكان قد نبهها قبلُ عندما رآها تتفرق أيدي سبأ، وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

يا أخي هذه يدي وعهودي جمعتنا عقيدةٌ ودروبُ
لا تَذَرْني على الطريق وحيداً فكلانا إذا فعلتَ غريبُ
قم لنبني أمجادَنا عَزَمات صادقاتٍ وهمةٌ لا تخيب
يُمسك العروة الوثيقة إيما نٌ ووحيٌ من الجهادِ نَجيبُ
حفظ الله أمةً تتآخى من بنيها سواعدٌ وقلوبُ

نبه عدنانُ أمته ذلك التنبيه، ولكن الفُرقة ظلت، فكانت كارثةُ عامٍ سبع وستين وتسعمـائـة وألف. . ويبدو أن الشاعر وقد أعياه البحثْ طويلاً عن حل لتلك المشكلة. . يبدو أنه وَجَدَهُ في العقيدة نفسِها، ورأى أن الإسلامِ بقواعده هو الدواءُ لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوتْ تتلمس في الثرى سنداً، ومن ثم انطلق يقول :

لا يستعيد حمى الأوطان غيرُ هدىً من الكتاب وعُبّادٍ له دانوا
تَشَوَّقَتْ لجِنانِ الخُلْد أنفسُهم فأرعدت في البطاح الحمْرِ فرسانُ

وهو يؤكد ذلك المعنى في إحدى قصائده المتأخرة، أي تلك التي أنشدها سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف بعنوان «عودة لاجىء» ويقول فيها:

وتطلعْتُ والخيامُ حيارى والجراحاتُ حولها والندوبُ

فإذا بالنداءِ صلصلةُ الحقِّ وأنشودةٌ ولحنٌ حبيبُ
من ربى مكةٍ يرجِّعه الأفقُ فتبتـلُ من نـداه القلوبُ
رفعتْهُ مآذنٌ وأطلّتْ بهـداهُ مشارفٌ وسهـوبُ
وتعالت : الله أكبرُ . . يأوي لِحمـاها مضيَّـع وسروب

وبهذه الروح الإسلامية كتب الشاعر أروع قصائد الديوان وهي «لم يبق في عرفات إلا دمعة» و «دعاء» و «تبسمتَ حين أشرق فجر» في رثاء المرحوم سيد قطب . . وأرى أن الشاعر بهذه الثلاث عرف طريقه ولن يختار سواه[1].

وليس يقتصر الأمر هنا على المضمون فحسب ـ وأنا لم أتعد ذلك حتى الآن وإنما يمتد ذلك إلى الشكل أداء ووقعاً وإيقاعاً وتصويراً. والحق أنني مضطر إلى أن أحمد للشاعر بيانه، فقد فُجعْنَا كثيراً وطويلاً بذلك التسيب اللغوى الذي يصدر أغلب شعراء العصر عنه، بلغة جديدة يختلط فيها الثرى بالثريا، ويمتزج اسفلت الطريق بهالات النور، بجانب اشتقاقاته ومصادر صناعية يعلم الله أنها لا تمت إلى العربية على الإطلاق.

أما عدنان النحوي فمن المتطهرين لغوياً ـ وهو ممن يهتمون بأن للشاعر قاموساً شعرياً ينقيه أو ينخله، بحيث يظل به عصرياً في الوقت الذى يحافظ فيه على لغة القبيلة، وذلك اصطلاح غربي يعنى به الشاعر الناقد الانجليزى توماس اليوت أن يجتهد الشاعر في صنع لغة عصرية دون الخروج عن اصطلاحات اللغة التى وضعت من بعيد لتحترم.

وفي التدليل على ذلك بين يدى القارىء «لم يبق في عرفات إلا دمعة» بالرغم من أنها ليست أحلى قصائده، وهى تذكرنى بخليل مطران في كلمة ألقاها قبل أن ينشد مطولته «نيرون» في حفل تنشيط اللغة العربية بالجامعة الأمريكية في بيروت

---

(١) إلى هنا كانت الكلمة التي ألقاها الاستاذ احمد كمال زكى من إذاعة المملكة العربية السعودية في الرياض. ثم تفضل فأتمّ بعد ذلك الكلمة للديوان.

ـ فقد قال: «إنه.. يقدمها دليلاً على الطاقات الهائلة الكامنة في اللغة العربية حتى وهي تتقيد بتقاليد الشعر العربى الموحد الروى».

وأنـا أقـدم مطولـة عدنان النحوي بالشهادة نفسها وفي أبياتها المائة والثمانية والعشرين تلك السماحة اللغوية التى تتجلّى في ترسلها.

بيد أننا ما دمنا خصصنا هذه المطولة بالذكر فلا بأس من ان نجعلها ـ نموذجا على فنية الشاعر الرفيعة، وأقول رفيعة وأنا أضع في تقديري الكم النغمي الموفور الذي لا تصدره تفعيلات البحر بقدر ما تصدره تركيباته اللغوية بكل تشكيلاتها المجازية، وفي ذلك يتعانق كل من وقع الكلمة المفردة بما هي صوت، وإيقاع العبارات بما هي صرخات، كدليل على ذلك نقرأ معاً المقطع الذي يبدأ بقوله «دار السلام» وهنا الشاعر يجمع بين شعوب العالم العربي كالعراق ومصر وتونس والأردن وغيرها،وقد رسم به وبمقطع قصير من بعده ـ بفنية قادرة لبكائيه من أجل الأقصى تفيض صدقاً وعذوبة.

دار السلام وأي لحن لم يكن	شكوى بدارك إن شدت بغدان
ذكرى لدجلة والفرات وساحة	غناء تخفق عندها الالحان
تمضي رُبَى الاردن بين مياهها	ذكرى يعيد رواءها الجريان
ذكرى تمر بكل خفقة موجةٍ	أو زهرة فاحت بها عمان
ودمشق تطويها الضلوع صبابة	وتغيب بين جفوني السودان
والمغرب الزاهي أرد لساحه	طرفي فيهفو للقا إخوان
يا تونس الخضراء عهدي بالهوى	صاف وعهدي في الرُّبى ريحان
ما بال زهرك لا يرفرف بالندى	صبحا ولا تضحى به ألوان
حال الهوى عن عهد أحمد وارتخت	منك العرى وتبدلت أزمان
لولا ندى الإيمان ما حمل الثرى	نبتاً ولا غنت بك الأفنان
ردي لمصر إذا نظرت لنيلها	عتبى لمن صرعوا هناك وبانوا
الضفتان رؤى يضم شتاتها	أيك وتطوي ذكرها الأغصان
ومساجد نض الهوى بقبابها	جنحيه فانتفضت لها أحزان
الذكريات على رباها زهرة	فيطيب عند شميمها السلوان

وأما المقطع الذى أوله «ياأمة القرآن ...» فشعر صاف مجنحة ألفاظه، مهوّمة خيالاته، تطغي عليها دائمًا مواقفه الإسلامية الموضوعية .. وفي ظنّي أن الشاعر يجد دائمًا تناقضاً بين موقفه الفكري ونزوعه العاطفي، وهذا سر تقديمه مجموعة من الصور التقليدية يزجيها من تراثنا لتساعده على أن يكون الشاعر الفحل - ولعلنا لا نستكثر عليه من حيث هو شاعر محافظ - وقوعه في سلسلة من المعارضات غنى بها أوتار المتنبي وشوقي وغيرهما.

وبعد، فمن الصعب تحليل صوره في هذه الصفحات، لكن ما يمكن قوله - مع ذلك هو - أنها تشكيلات شاعر يمكن أن نعده من سلالة عبيد الشعر، وهي جماعة قديمة أخذت نفسها بتنقيح شعرها وتنويعه، لكنها لم تجتمع على أداء فني محدد.

إن عدنان النحوي - بعد كل هذا شاعر مجيد وبأدائه الهادىء الرصين يستطيع أن يقول الكثير ويلفتنا إلى الكثير، وبين هذا وذاك يهيىء لنا الجو الذي لا يُهَيِّئُه إلا فنان صادق.

الدكتور أحمد كمال زكي




الأرض المباركة (١)

عبد العليم القباني

تمر الأزمنة بما تحمل من سمات خاصة، وبما فيها من اتجاهات فنية تتفق مع التيارات المتجاوبة أو المتعارضة خلالها.

وتتوالى المناهج النقدية المختلفة لهذه الفنون، تحمل من تفسيراتها لها أيضاً، طابع العصور والأمكنة والناس.

وتتصارع الآراء حول توفية أو تقصير هذه المناهج، لما قامت من أجله، لكن هناك قاعدة واحدة تظل فوق هذه القواعد جميعاً، قد تتضاءل عند بعض الناس، وقد تتوهج عند آخرين، ولكنها تظل أبدا خالدة باقية ما بقيت فنون الأدب ومنها - إن لم يكن في مقدمتها - «الشعر».

تلك هي قاعدة التذوق الفطري التلقائي للشعر، سواء أكان مسموعا أو مقروءاً ذلك لما للشعر من مساس مباشر بالعواطف المختزنة أو المتحفزة في جوانح من يستمعون إليه أو يقرأونه.

إن الأساس الأول الذي ينبغي على الناقد أن يطبقه هو تجنب الابتداء بتطبيق

(١) نشرتها مجلة الفيصل في العدد ٥٤، ذو الحجة سنة ١٤٠١هـ

القواعد الجاهزة التي أعدها نقاد آخرون، قد تختلف أذواقهم وأفهامهم، في تذوق هذا الشعر المعروض أمامهم، ومن ثم فهم لا يشعرون إزاءه بما ينبغي الشعور به لو أنهم كانوا على صلة روحية مباشرة به.

صحيح أن التذوق يقوم على الانفعال الشخصي للمتذوق، وأن خطر النقد التذوقي يكمن في أن صاحبه قد يقدم لنا انفعاله هو إزاء العمل الفني وليس القيمة الحقيقية التي يستحقها هذا العمل، وأن على الناقد أن يأخذ بالمقاييس التي وضعها النقاد المتمرسون من قبل إن لم يكن قد أضاف عليها شيئاً من عنده، ذلك حتى يفلت من هذه الهوة.

ولكن المقاييس الجامدة لا تكون - في العادة - مقبولة تماماً في غير العلم المادي حيث يكون الهدف، هو الوصول إلى نتيجة محددة، لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تجارب مقاييس محددة هي الأخرى.

لكن العمل الأدبي قد يختلف باختلاف أذواق مبدعيه وقارئيه وكلاهما لا يمكن - بغير تعسف - فرض القواعد المسبقة على أذواقهم.

ومن هنا يجب أن يكون التذوق - فيما أرى - هو المخبار الأول في النقد، ثم - وهذا في المقام الثاني - الاستعانة بالمقاييس النقدية الجاهزة، مع الدقة اللازمة في اختيار المنهج الذي يلائم الزمان والمكان والظروف المحيطة بالقطعة المراد نقدها.

على أنه - في كل الحالات - لا يجب التجاوز عن القواعد التي اتفق الكل عليها كأساس للعمل الفني، وأهمها - بالنسبة للشعر - سلامة اللغة باعتبارها أداة التعبير، وسلامة الموسيقى، كإطار لا بد أن تتساوق الكلمات من خلاله.

أقول هذا، وقد أتحفني أخي الكريم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة الأستاذ بآداب الإسكندرية، بديوان صديقه، الذي أرجو أن يكون صديقي إن شاء الله، الشاعر عدنان النحوي، - الأرض المباركة - ذلك لأني أردت أن أستعرض ديوانه هذا، على أساس من هذا المنطلق الذي اخترته.

* * *

والشاعر «عدنان النحوي» كما يقول الدكتور هدارة في المقدمة القيمة التي قدم بها هذا الديوان «نشأ في صفد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات، وأخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية فارتبط «عدنان» منذ صباه الباكر ببلدته ووطنه وأمته ودينه.

وما من شك أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة».[١]

ويتابع الدكتور هدارة تأكيده بأن الشعر بالنسبة إلى عدنان «هو نبض وجدانه ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره فليس عنه غناء وليس منه بد..».[٢]

والحق أن هذا التعريف هو مايخرج به قارىء ديوان «عدنان» بعد أن يستعرض صفحاته جميعاً.

هذا الديوان الذي يضم أربعين قصيدة ومقطوعة تستقي من ستة مناهل غير منفصلة تماماً، بل إنها تمتزج احيانا إلى درجة يصعب معها التفريق بينها.

تلك هي الفلسطينيات والمراثي والوجدانيات والسياسيات والقوميات والإخوانيات وليس للغزل بينها إلا نصيب يمكن إغفاله.

وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها أو في القصائد الأخرى نصيباً كبيراً وليس ذلك بعجيب. ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي. وأول هذه القصائد «نذير» وقد نظمها سنة ١٩٤٣ وتحس فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله.

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت ... منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب، واخترقوا ... صفَّ العدى عصبة لا تظهروا لينا[٢]

---

(١) مقدمة الديوان صفحة ٢١ ـ ٢٢.

(٢) ص ٦٢

ويظل الشاعر يبث الشجون، ويثير العواطف، وكلما مرّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد.

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديدُ
أن نرى من شبابنا كل حُرٍّ صاعداً للردى، فذلك عيدُ[1]

أو تلسعه دالية «المتنبي» فيتنهد وهو يقول :

ما العيد إلا لحر لم يهن أبدا ولا بدا وهو في الأغْلالِ مصفودُ[2]

وهكذا تتجدد مثيرات مشاعره بتعدد المناسبات المتوالية، وتتركز بصفة خاصة، كلما دار الحديث حول بلد من البلاد التي تربطه بها الأواصر القريبة من الأسرة أو المولد فهو يناجي «حيفا» من لهفة المحب..

حيفا فديتك ما أبهى مغانيك وكم يطيب الهوى في ظل ناديكِ
ما الحسن إلا كتاب أنت أسطره أو أنه قبلة قرت على فيكِ[3]

وتنفجر الفاجعة فتعصف بكيانه حين تسقط «صفد» بلده الحبيب فيشتعل شعره لظى صارخاً وهو يرى أهله ينزحون عنها :

أنزوح، يا ويحهم، أنزوح ورضيع على الأكف ينوحُ
يبتغي قطرة، وذاك جريح وعجوز مروع، وطريحُ[4]

وهو يقبس من مصارع الشهداء الجذوات التي ينفثها في عروق الباقين، يستثير فيهم بها روح الكفاح والنضال، ومن قصائده الرائعة في هذا المجال، قصيدته التي

---

(١) ص ٦٧
(٢) ص ٧١
(٣) ص ٧٣
(٤) ص ٨٦.

يرثي بها الشهيد «عبد القادر الحسيني» والتي يختتمها موجها خطابه إلى الشهيد فيقول :

وخضت شرقّيها ترمي بوارجهم بفتية نجب لا جحفل لجبُ
والليل حولك جياش تخوض به كأنما أنت فيه جحفل عجبُ
لم يبق عندك مذخور فتقذفه أو منجد قائم يدنو ويقتربُ
وانهالت النار فاستقبلت حرتها وأنت في القسطل الحمراء تحتطبُ
حتى قضيت وفي جنبيك أوسمة حمراء لا لؤلؤ فيها ولا ذهبُ[1]

★ ★ ★

على أنه، وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على «الأرض المباركة» فلسطين لا تبتعد أحاسيسه ـ في الوقت نفسه ـ عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وارهاق، وعنت وأحداث، لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم[2] . فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافا من الأبرياء. ساقهم أولئك الذين قال فيهم شاعرنا :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهم[3]

أو كما يصف الشاعر أحد مجالس القضاء الصوري التي اقيمت في ذلك العهد، وما كانت تقوم به هذه المجالس من انتهاك لأبسط قواعد العدالة وفيها يقول.

ومحاكم التفتيش مد رواقها كف يسيل على جوانبها الدم

---

(١) ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) طرفة بن العبد حيث يقول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

(٣) ص ١٣١.

ومهازل فيها تحاك فأحمق ... يهذي وَحُرٌّ قيدوه وكمموا
ودعوه بين بنادق مصفوفة ... وقنا محددة وقيل تكلموا
وأخو القضاء أخو هوى وضغينة ... وجهالة تبدو عليه وترسمُ
ياشعب باسمك كم تباح مظالم ... والشعب لا يدري ولا هو يحكمُ (١)

وتلاحقه أطياف سوداء من ذلك العهد لا تفتأ ترسم أمام عينيه أعواد المشانق التي ارتقى إليها عدد غير قليل ممن وخزتهم شوكة الحرية. وكان أن نظم سنة ١٩٧٢ قصيدة بالغة الأسى والشجن تقع في اثنين وسبعين بيتاً يرثي بها المفكر الإسلامي سيد قطب والتي نختار منها هذه الأبيات ويقول فيها عن هذا الشهيد.

إنه خفقة اليقين، أمانيُّ ... .. جهاد، نسائم القرآن
هب - كالليث، والدياجير حمقى ... جامحات، مفلوتة الأَرْسانِ
تنزع الناس، والخلائق حيرى ... تائهات الأبصار والآذان
كتل كالعبيد ينهبها السوط ... جنونا تساق كالقطعان
الطريق الطويل شق عليها ... فهوت في مزالق وهوان
فتنة تُهدر المروءات فيها ... وتردى كرامة الإنسان
غير أن العبيد قتلها الذ ... لُ فلم ترتعش لسوط هوان
إيه يا سيد حملت إلى النا ... س سلاما وروعة من بيان
وأقاموا عليك من ظلمة الليـ ... ـل سجونا مخنوقة الجدران
وأقاموا لك المشانق أعوا ... دا ومدوا حبائل البهتان
وتبسمت حين أشرق فجر! ... وأطلّت من الخلود أماني
وتركت الذليل يقتله الحقـ ... ـد على مرجل من الغليان

ويختتم قصيدته موجهاً للشهيد سؤاله الشامت بهذه العصابة:

أين فرعون والعصابة والسـ ... ـوط وذلّ الرفاق والأعوان؟
هلكوا في متاهة الشرك أجيا ... فا وحلّقت في نعيم حاني
فمضيتم معالماً في طريق ... ومنارا للتائه الحيران (٢)

---

(١) ص ١٣٥. (٢) ص ١٣٨.

وتنطلق لواعج «عدنان» من عقالها وتتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد راعه أن :

أحنت منائرها الهضاب تفجعا وبكى على فرسانه الميدان
وتشعبت دون الظلام مسالك شتى وكان سبيلَنا القرآن [1]

ومن ثم نظم أكبر قصائده «لم يبق في عرفات إلا دمعة» في مائة وثلاثين بيتاً بكى فيها واستبكى ووقف في دروبها واستوقف وأنا هنا أنقل بعض أبياتها بلا ترتيب إذ كان هدفي هو الإشارة إلى بعض البلاد الإسلامية أو التي رفرفت عليها راية الإسلام من قبل والتي جمعها في هذه القصيدة :

ردّي روابي (الصين) أين قتيبةُ والسور تنهد حوله الفرسان
و (السند) ما للداجيات تلفه والذكريات على ذراه أذان
ردّي روابي (الهند) أين شريعة الرّ حمن من سلطانها السلطان
(دَار السلام) وأي لحن لم يكن شكوى بدارك إن شدت (بغدان)
تمضي رُبَى (الأردن) بين مياهها ذكرى يعيد رواءها الجريان
و (دمشق) تطويها الضلوع صبابة وتغيب بين جفوني (السودان)
و (المغرب) الزّاهي أردّ لساحه طرفي فيهفو للّقا إخوان
يا (تونس) الخضراء عهدي بالهوى صاف وعهدي في الرُّبَى ريحان
ردي (لمصر) إذا نظرت لنيلها عتبى لمن صرعوا هناك وبانوا
وتلفت (الأقصى) (لمكة) لوعة أختاه تنهش أضلعي الغربان
أختاه أين المسلمون وحشدهم؟ أين الملايين الغثاء أهانوا؟

يشير في الشطرة الأخيرة وفي كلمة (غثاء) بالذات إلى الحديث الشريف القائل «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصاعها، قالوا أو عن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال ولا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» أي لا غناء فيهم.

* * *

(١) القصيدة كاملة من ص ١٤٤ ـ ١٥٦.

تلك هي ثورة «عدنان» كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ ـ وقليلاً ما يكون ـ فهو وصاف يتأنق في وصفه فيجيد، وإنك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي تختاره له من قصيدته «صفد» بلده الحبيب، والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله:

يا زهرة اللوز الشّهي وطلعة النْـ نَور البهي وغرسة الأجداد
يا غرسة العناب مدت كفها الـ ـمخضوبَ من فرع لها مياد
كالغادة الحسناء خلف خبائها دفعت بنانا للمحب الصادي
يا أمسيات في «الرجوم»[1] كأنها عطر الشباب وبهجة الأعياد
و «البحرة الزرقاء»[2] دون شعابه نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نَهَدَتْ بجنبيها الربى وتوثبت نهدين مضطربين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجي غلالة سمراء تخفق في ظلال سواد
وشت حواشيها النجوم لآلئا تطوي وتنشر من بريق هادي
والبدر بين الناهدين كماسة موصولة في جيدها بقلاد [3]

★ ★ ★

وصياغة «عدنان» عربية أصيلة، لا نأخذ عليه فيها إلا القليل النادر من مثل استعماله لكلمة عجوز كمرادف لكلمة شيخ في قوله:

وفي جبهة الشيخ العجوز له يد وفي قلبه آياته ومآربه [4]

فإن كلمة عجوز لا تطلق على الرجل وفي القرآن الكريم أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً. ولعل كثرة قراءات عدنان فيما نظم الأقدمون هي التي تركت بعض آثارهم تقفز من ذاكرته لتأخذ وضعها في بعض أبياته كقوله:

---

(١) الرجوم مكان يطل على بحيرة طبرية يتنزهون به.

(٢) بحيرة طبرية.

(٣) ص ١١٧ (١٦) ص ١٦٨ (١٧) ص ١٧١

(٤) كلمة عجوز تصح للرجل والمرأة فلا خطأ.

أيتها النفس أجملي جزعا وابتسمي كل فرقة ستهون [1]

فإن صدر هذا البيت هو بذاته صدر مطلع قصيدة لشاعر قديم يقول فيه:

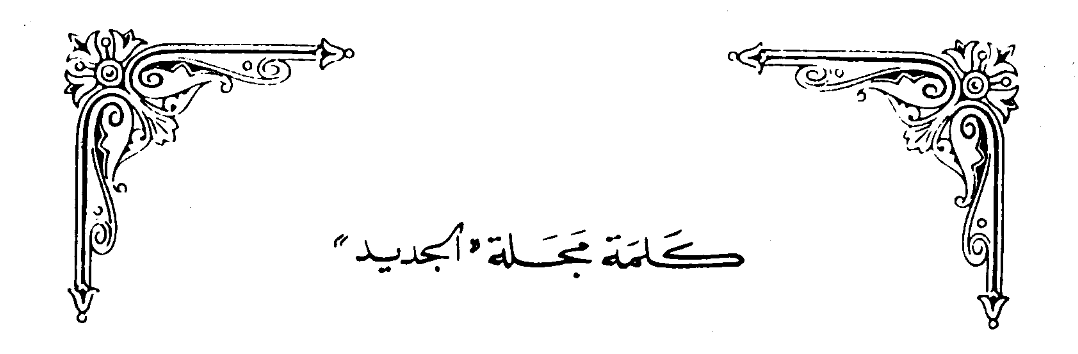
أيتها النفس أجملي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

وأخيراً أشكر للصديق الكريم الدكتور محمد مصطفى هدارة مرة أخرى أن أتاح لي هذه المتعة الأدبية التي أمتعت روحي بها بضعة أيام، عشت فيها مع أنغام الشعر الأصيل في زمن قل فيه الشعر.

الاسكندرية
[٣ شارع ابن ملاعب - الحضرة القبلية]

عبد العليم القباني

(١) البيت هو : (إيهِ يانفسُ) ولو كانت (أيَّتها) فالبيت يختل وزنه ويصبح الشطران من بحرين مختلفين والبيت في القصيدة مصحح من الخطأ.



شاعر الإيأكل من صحن القضية

بقلم زهير مارديني

نادراً ما كنت تجد إنساناً عربياً لا يتباهى بأنه يحفظ الشعر، ويتغنى به، وينشده.

كان هذا في الماضي القريب، يوم كان الشعر صناجة القضايا العربية، وعودها ونايها. ويوم كان الشاعر العربي يموت ولا يحني هامته.. ويتحدى السلطان الذي يحاول أن ينال من كبريائه. أما الآن فقد تحول الشعر في عصر الجماهير والميكروفونات إلى أرخص أنواع السلع، وذلك حين أصبح للنهد البارز شاعر، وللفخذ البض شاعر، وللخصر وما بين أعلاه وأسفله شاعر من أصحاب الاختصاص.. وأمسى شأن الشاعر يقدر بنوع الورق الفاخر الذي يطبع عليه شعره غير المقفى.. وينحط بمقدار رخص الورق.

ولقد كنا في الزمان الأول نتطلع إلى مضمون الشعر وجودته، أما عهد الانقلابات والثورات والإيديولوجيات، فقد أصبح سعر الشاعر يرتفع وينخفض بمقدار ما ينحني بوز الشاعر ليلامس الأرض وما يسير عليها عادة... لهذا أقسمت برؤوس هوشه منه وكيم إيل سونغ وتشي غيفارا على عدم الاقتراب من ديوان شعر، أو ملامسته سواء بقافية أو بدونها..

أقول قولي هذا وأنا أمسك بيدي، برضائي التام، مستغفراً ربي، ديوان شعر اسمه الأرض المباركة لمؤلفه عدنان النحوي.. أما ناشره فهو الأستاذ زهير شاويش صاحب دار نشر المكتب الإسلامي الذي لا يتسلى عادة في طبع الكتب فكيف إذا كان الكتاب ديواناً للشعر، وفي عام ١٩٧٨.. لقد استغربت أن يقوم رجل بوقار الشاويش على الاقتراب من الشعر الجديد، فلم يسبق له أن تعاطى مثل هذه الأمور، كما أنه لم يعرف عنه الاقتراب، لا في السر ولا في العلن، من شعراء مابعد الانقلابات والثورات.. فالرجل مؤمن يصلي ويصوم ويحج ويزكي، والاقتراب من أمثال شعراء العصر ينقض الوضوء... ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالكتاب الديوان نسيت الشعر والشعراء، ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي :

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

عنـدها فقط عرفت سر التسمية بالأرض المباركة، عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء، وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء..

أنا يا أخت ضائع لست أدري أين قومي وأي أرض أجوب
في ضلوعي أسى وفي العين دمع يتنزى وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمة ظللتها غبرة الموت واعتراها شحوب
ودبيب الأيام ينزع مني نفساً خافقاً وروحاً يغيب

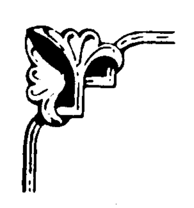
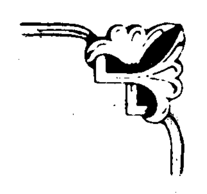
وهو حين يرى الدماء البريئة تنزف ظلماً يقول :

أدم يراق وفتية يتساقطو ن وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه سيف تشل به اليدان ويلجم

لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية،

وأنه أكبر من شعره وأنه من أهل النضال العربي والوعي الإسلامي.. وأنه فوق هذا وذاك ملتزم بقضايا بلاده، مؤمن بربه متعلق بدينه وعقيدته... وهذا كله يعتبر الآن رابع المستحيلات إذا أضفنا إليها الغول والعنقاء والخل الوفي.



كلمة جريدة اللواء الأردنية

بإشراف حلمي الأسمر

الشعر ميدان خصب يستطيع فيه الشعراء أن يبثوا من خلاله مشاعرهم، ويشحذوا مشاعر الناس وهممهم، لعلهم يعون واقعهم ويسعون إلى التغيير.

والديوان الذي بين أيدينا هو لواحد من أبناء الأرض المباركة فلسطين، وهو واحد من أبناء صفد، ولد في أواخر العشرينات. ورغم أن ميدانه الدراسي ليس الأدب بل الهندسة، فإن محاولاته في الشعر كانت منذ نعومة أظفاره... وقد نمت هذه الموهبة وصقلت وخرجت في هذا الديوان الذي هو الأول للشاعر.

وقصائد الديوان يطبعها طابع الشعور بالمأساة الفلسطينية وإدراك أن حل هذه المأساة لا يكون إلا بالإسلام، هذا إلى جانب معاناته لأحداث العالم العربي... وقد حفل الديوان بالعديد من القصائد في شتى المجالات فجمع بين الإخوانيات والوطنيات والإسلاميات والرثاء والاجتماعيات.

وقد قدم الدكتور محمد مصطفى هدارة للديوان، فتحدث عن الشاعر وعن الديوان، وتحدث عن اهتمام الشاعر بمدينة صفد ثم بالمدن الفلسطينية الأخرى... وتحدث عن ظاهرة عدم وجود شعر غزل في ديوان الشاعر إلا في مقطوعتين تعبران

عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر. . . وقارن الدكتور بين نماذج من شعر عدنان النحوي وشعر المتنبي وأحمد شوقي.

افتتاح الديوان وعقيدة الشاعر

ونطالع الديوان فنجد أن الشاعر افتتح الديوان بقصيدته الروحانية ـ دعاء ـ ولعل هذا الافتتاح مايدل على عقيدة الشاعر، وإيمانه بأن التوجه إلى الله هو السبيل للخلاص من كل الآلام التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر. . . وهو يصف حاله الذي يمثل حالة المسلمين فيقول:

يارب هذا دعائي كيف أرفعه إليك وهو على الآثام محمول
لولا التأمل في رحماك ما انفرجت نفس ولا كان للملهوف تجميل
يارب انت وليي فاهدني سبلا إلى الرشاد، دعائي فيك مأمول
يارب أنت الذي أرجو معونته في كل أمري، رجائي فيك موصول

وبعد هذا الدعاء يقدم لنا قصيدة في الرثاء. وأصدق ما يكون الرثاء حين يكون لقريب، وأي قريب هو أشد قرابة من الأم. . . توفيت والدة الشاعر سنة ١٩٥٢ فخاطبها قائلاً :

أماه أطلقها الفؤاد ومازجت صوت النواح مدامع الأجفان.

وفي هذا البيت نلمح إلى أي مدى وفق الشاعر في المزاوجة بين الأحاسيس التي اشتركت في الحزن، فالفؤاد صرخ أماه، وصوت النواح رافقه الدمع، وهكذا كانت كل الحواس حزينة. . . والقصيدة طويلة إذ جاوزت الثلاثين بيتاً واستوعبت كل مايمكن أن يقوله ابن لأم متوفية. . .

ويحس الشاعر أن أبناء قومه أغراهم الكسل فيخاطبهم قائلاً :

فيا قومي استولى النعاس عليكم وغيركم بالدهر يشقى ويتعب
فنالوا منالاً قد رواه جبينهم وَأَسَّسَهَ عزم شديد مذرَّب
وأنتم أقمتم في خباء من الكرى وقامت بنات الدهر تبكي وتندب
ولم تنهضوا حين استفز شعوركم ونبهكم هذا العدو المجرب
بني وطني هبوا فقد طال نومكم وباتت عليكم فرصة الدهر تغرب
ألا فُرَصٌ تغدو وتعدو سريعة ولست تنال اليوم ما كنت توهب

ويمر العيد على الشاعر، كما يمر على كل أبناء الوطن المشرد، ومع كل عيد يكون هناك أمل ورجاء، وفي أحد الأعياد تذكر الشاعر قصيدة المتنبي الشهيرة التي مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد.

فنظم قصيدة ـ عيد في فلسطين ـ على نفس البحر والقافية وجعل مطلعها :

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

وقد كان للشهداء نصيب في ديوان الشاعر.. فقد رثى الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل سنة ١٩٤٨ في قصيدة مطلعها :

عاد المزبر فما للقلب يضطرب وللعيون وهذا الدمع ينسكب
جاء البشير الينا والنعي معاً كلاهما خفقة: فالنصر والحرب

وإن كان الشهيد عبد القادر الحسيني قد سقط دفاعاً عن الأرض، فإن هناك شهيداً آخر استشهد لأنه كان يقول الحق ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.. هذا الشهيد هو الشهيد سيد قطب. وقد رثاه الشاعر بقصيدة طويلة جاوزت السبعين بيتاً. تحدث فيها عن الشهيد ومواجهته للإعدام... وقد اتبع في القصيدة أسلوب القدماء، فكانت هناك مقدمة ناجى فيها الشاعر الطيور والزهور وكأنه يريد أن يجعل من في الكون كله يشعر بهذا الحدث الجلل.

والمفروض أن لا يكون في الرثاء شعر طبيعة، ولكن يبدو أن الشاعر لا يريد أن يجعل من هذه القصيدة مرثية، بل قصيدة اعتزاز بالشهيد، وإنَّ الشهادة هي خير ما يتمناه الإنسان، وهو لذلك جعل عنوانها ـ وتبسمت حين أشرق الفجر ـ وجعل مطلعها. . .

غردي يا طيور والتقطي الحـ ـب وطوفي بروضة ومغاني.

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطولة ـ لم يبق في عرفات إلا دمعة. . . بدأ الشاعر القصيدة بمناجاة أرض الحرم ووصفه ومباركته، ويتألم على حاضر المسلمين، فيسأل الصين عن قُتَيْبَة بن مسلم الباهليّ ويسأل السند عن الفاتحين، ويسأل دار السلام وتونس والمغرب وباقي الدول العربية. . . ويفرد للأقصى جزءاً من القصيدة، ويقرن بينه وبين مكة في قوله :

وتلفَّت الأقصى لمكة لوعة أختاه! تنهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاء! أهانوا؟
أختاه! وانقطعت حبال ندائه واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كي تدق حياضه وهوت على أمجاده الجدران.

وتحدث عن عرفات بكلام مهذب يسيل رقة وحنانا، ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول :

عرفات ساحات يموت بها الصدى وتغيب خلف بطاحه الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمعة سقطت فبكت حولها الوديان
هي دمعة الإسلام يلمع حولها أمل وتهرق بينها الاحزان.

وبعد هذا الاستعراض السريع للديوان لا نملك إلا أن نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ الأسلوب الغالب على لغة الشاعر. هو الأسلوب الكلاسيكي ومحاولة محاكاة القدماء.

٢ ـ للشاعر نفس طويل برز في أكثر من قصيدة، هو يدل على موهبة متوقدة ولا شك أن عنده المزيد.

٣ ـ المزج بين الوطنية والتدين أمر محبوب بلا شك، وإن كان أحياناً يبدو فصل بين القضيتين، لكننا نرى في ـ لم يبق في عرفات إلا دمعة ـ المزج الرائع بين الإسلام وقضية فلسطين.

٤ ـ الألفاظ عموماً سهلة، رغم عدم وجود معجم شعري خاص للشاعر.

٥ ـ اتبع الشاعر وحدة القصيدة لا وحدة البيت مما أضفى على القصائد تماسكاً وارتباطاً.

٦ ـ شكل القصيدة هو الشكل العمودي، ولا توجد أي قصيدة من الشعر الحديث

٧ ـ نجح الشاعر في الموسيقى الداخلية والخارجية في القصائد وإن كان أغلب استعماله للأبحر الطويلة ـ الطويل، البسيط، الكامل ـ ولكنه وفق عموماً في موازنة موضوع القصيدة مع البحر الذي نظمت عليه.

بعد هذا كله نقول: إن محاولة الشاعر هي لبنة جديدة تضاف إلى الأدب الإسلامي الملتزم الذي نأمل أن يزداد أو أن نرى كل يوم ديواناً جديداً لشاعر مسلم ملتزم.

احمد عوض الشاش



الأَرْضُ المُبَارَكَةُ



دعاء

يارَبِّ! هٰذا دُعَائِي كَيْفَ أرْفَعُهُ
إِلَيْكَ وَهْوَ عَلى الآثَامِ مَحْمُول

لَوْلاَ التَّأمُّلُ في رُحْمَاكَ مَا انْفَرَجَتْ
نَفْس وَلاَ كَانَ لِلْمَلْهُوفِ تَجْمِيلُ

* * *

يَارَبِّ! أنْتَ وَلِيِّي فَاهْدِني سُبُلاً
إلَى الرَّشَادِ، دُعَائِي فِيْكَ مَأْمُول

يَاربِّ! أنْتَ الَّذِي أرْجُو مَعُونَتَهُ
في كُلِّ أمْرِي، رَجَائِي فِيْكَ مَوْصُولُ

* * *

كَمْ دَمْعَةٍ سُفِحَتْ فِي اللَّيْلِ سَارِيَةٍ
وَكَمْ تَرَدَّدَ فِي جَنْبَيَّ تَعْلِيْلُ

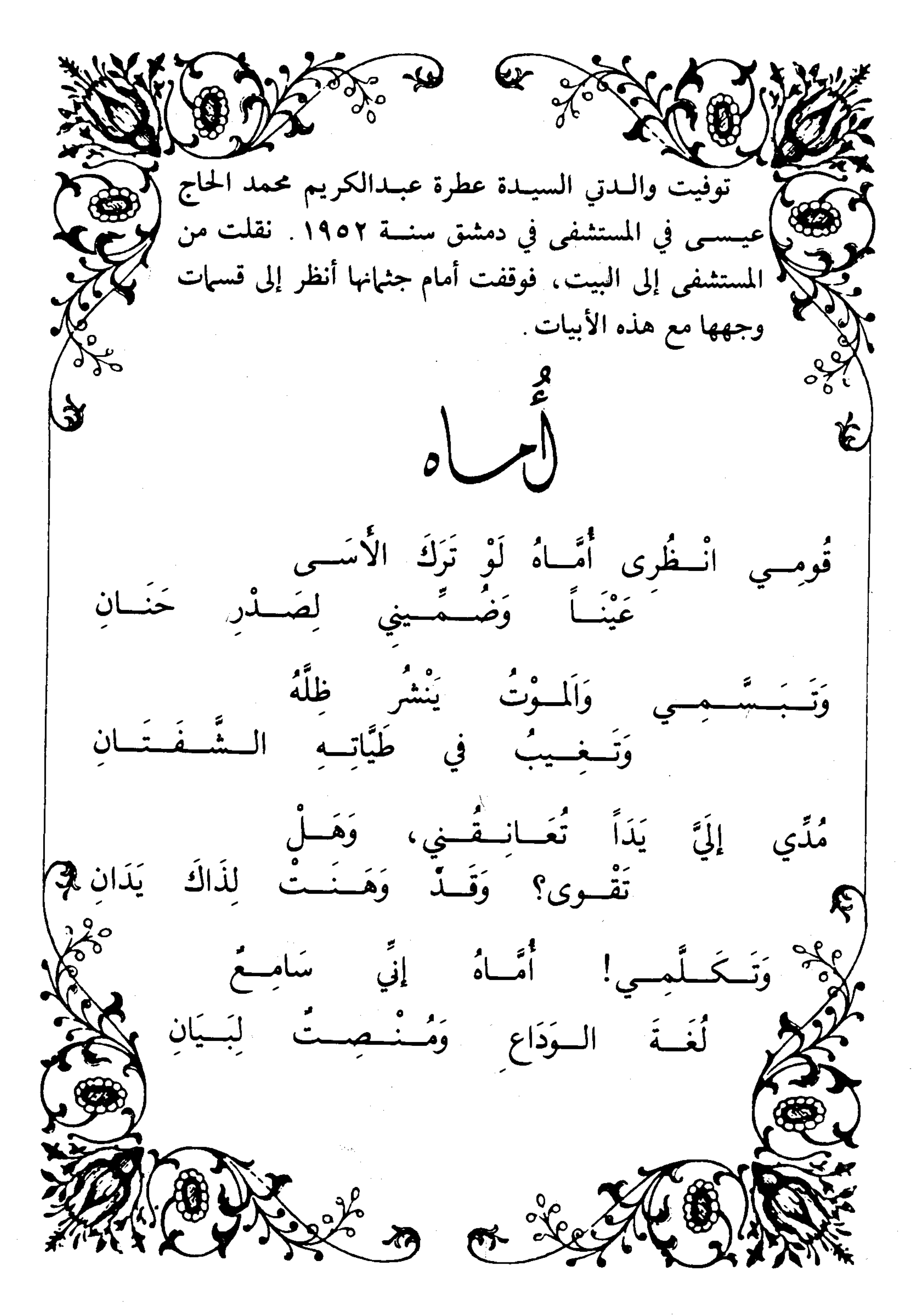
وَكَـمْ تَنَـفَّسَ صُبْـحُ مَا نَسَـائِـمُـهُ
إلاَّ ابْـتِـهَـالٌ إلَى الـرَّحْمَـنِ مَتْـبُـولُ

وَمَـا نَدَاهُ سِوَى دَمْـعٍ أُكَـفْـكِـفُـهُ
يَا رَبِّ! عَلَّ دُعَـائـي مِنْـكَ مَقْـبُـولُ

خَفْـقُ الـقُـلُوب دُعَـاءٌ أَنْـتَ تَسْـمَـعُـهُ
وَلِـلْجَـوَارِحِ تَسْـبِـيحٌ وَتَهْـلِيْلُ

★ ★ ★

١٩٦١



توفيت والدتي السيدة عطرة عبدالكريم محمد الحاج عيسى في المستشفى في دمشق سنة ١٩٥٢. نقلت من المستشفى إلى البيت، فوقفت أمام جثمانها أنظر إلى قسمات وجهها مع هذه الأبيات.

أُمّاه

قُومِي انْظُرِي أُمَّاهُ لَوْ تَرَكَ الأَسَى
عَيْنَاً وَضُمِّينِي لِصَدْرٍ حَنَانِ

وَتَبَسَّمِي وَالَموْتُ يَنْشُرُ ظِلَّهُ
وَتَغِيبُ في طَيَّاتِهِ الشَّفَتَانِ

مُدِّي إِلَيَّ يَدَاً تُعَانِقُنِي، وَهَلْ
تَقْوى؟ وَقَدْ وَهَنَتْ لِذَاكَ يَدَانِ

وَتَكَلَّمِي! أُمَّاهُ إِنِّي سَامِعٌ
لُغَةَ الوَدَاعِ وَمُنْصِتٌ لِبَيَانِ

حتَّى سَكَنْتِ إلى الخُلُودِ وَخَالَطَتْ
قَسَمَاتِ وَجْهِكِ عَبْرَةُ الحَدَثَانِ

وَتَمَثَّلَتْ صُوَرُ المَنِيَّةِ وَانْطَوَى
أَمَلٌ وَغَابَ بِلُجَّةِ الأَحْزَانِ

أُمَّاهُ! أَطْلَقَهَا الفُؤَادُ وَمَازَجَتْ
صَوْتَ النُّوَاحِ مَدَامِعُ الأَجْفَانِ

وَنُقِلْتِ لِلْبَيْتِ الَّذِي غَادَرْتِهِ
حِينَاً! مُحَمَّلَةً عَلَى الأَكْفَانِ

وَقَضَيْتِ فِيهِ لَيْلَةً وَكَأَنَّهَا
عُمْرٌ وَبَعْضُ العُمْرِ لَيسَ بِفَانِي

يُلْقِي عَلَيْكِ بَنُوكِ مِنْ أَكْبَادِهِمْ
قِطَعَاً تَذُوبُ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ

وَأَسَىً إذَا مَا مَسَّ جَانِبَ صَخْرَةٍ
لأَذَابَهَا فِي ثَوْرَةِ البُرْكَانِ

★ ★ ★

يا أيُّها الجَسدُ المُسجَّى أيْنَ ما
حمَّلْتَهُ في خافِقٍ وجَنانِ

وجَوارِحٍ بَرَدَتْ وعَينٍ أُغْمِضتْ
وفَمٍ يُكتِّمُ سِرَّهُ وبَنانِ

أيْنَ الرِّوايَةُ إذْ تلَوْتِ فُصُولَها
وطَوَتْ صَحائِفَها يَدُ الأزْمانِ

★ ★ ★

يَا ايُّها الإخْوانُ أيْنَ جُمُوعُكُمْ
تسْعَى تُقِلُّ مُطيَّبَ الجُثْمانِ

والطَّرْفُ مُنْكَسِرٌ أسىً ومُبلَّلٌ
والخَطْوُ فِيهِ تمَهُّلُ الرُّهْبانِ

يَا أُمُّ تبْكِيْكِ الرِّجالُ كأنَّما
هُمْ نِسْوَةٌ بَكَتْ عَلى شُبَّانِ

ألِحُفْرَةٍ يَطْوي السُّعاةُ بِساطَهُمْ
يَتَسابَقُونَ فَوارِسَ المَيْدانِ

مَا لِي عَجِبْتُ وَكَمْ أُوَدِّعُ صَاحِبَاً
في التُّرْبِ أُوْدِعُهُ بِدَمْعٍ قَانِي

يَا قَبْرُ كَمْ هَطَلَتْ عَلَيْكَ مَدَامِعٌ
سَبَقَتْ وَكَمْ حَرَّكْتَ مِنْ أَشْجَانِ

وَاليَوْمَ أُوْدِعُكَ الأُمُومَةَ إِنَّهَا
دُنْيَا تَنَفَّسُ عَنْ هَوَىً وَمَعَانِي

يَغْفُو عَلَيْكَ مِنَ النَّسِيمِ عَلِيْلُهُ
وَيُظِلُّ فَوْقَكَ وَارِفُ الأَغْصَانِ

يَا أُمُّ أَيْنَ مَرَابِعٌ بَسَمتْ لَنَا
وَمَنَازِلٌ سَعِدَتْ وَطِيْبُ مَكَانِ

كَانَتْ تَهِشُّ إِذَا نَزَلْتِ ظِلاَلَهَا
وَتَمُوجُ في طَرَبٍ وَحُلْوِ أَمَانِي

وَلَكَمْ مَسَحْتِ لِيَ الدُّمُوعَ بِرَاحَةٍ
نَشَرَتْ عَلى خَدَّيَّ ظِلَّ أَمَانِ

فَإِذَا سُرِرْتُ فَبَسْمَتِي وَطَلاَقَتِي
وَإِذَا شَكَوْتُ فَمَدْمَعِي وَلِسَانِي

وَدَفَعْتِنِي لَمَّا خَشِيْتُ وَقُدْتِنِي
لَمَّا ضَلَلْتُ وَزِدْتِ مِنْ إِيمَانِي

عَجَباً إِذاً مَنْ لِلْدُمُوعِ يَرُدُّهَا
يَوْمَ الفِرَاقِ وَمَنْ يُعِيدُ جَنَانِي

بِالأَمْسِ أَضْحَكَنِي وَأَنْسَانِي الأَسَى
أَمَلٌ ذَوَى وَالْيَوْمَ قَدْ أَبْكَانِي

★ ★ ★

يَا أُمُّ فَكَّ المَوْتُ قَيْدَاً قَاسِيَاً
وَطَرَحْتِ عَنْكِ غَلاَئِلَ الإِنْسَانِ

وَتَرَكْتِ خَلْفَكِ غَيْرَ آبِهَةٍ لَهَا
دُنْيَا وَآثَرْتِ النَّعِيمَ الثَّانِي

١٩٥٢



هدأت الثورة الفلسطينية مع نشوب الحرب العالمية الثانية وفي حدود عام ١٩٤٣ شعرت أن الشكوى أكثر من العمل والتغني بالأمجاد أسلوب القاعدين، وبدأت أفكار بعيدة عن أمتنا غريبة عن عقيدتنا.

نذير

يَا لَلْدِّيَارِ وَيَا لَلْمَـجْـدِ مِنْ زَمَـنٍ
هَاجَـتْ نَوَائِـبُـهُ تَطْوِي بَوَادِيْنَـا

شَادَ الأُلَى غَبَرُوا صَرْحَـاً فَقَـامَ لَهُمْ
وَغَـارَ فِي لَهَوَاتٍ مِنْ تَوَانِـيْنَـا

لَا يَدْفَـعُ الـدَّمْـعُ عَنَّـا أَيَّ نَازِلَـةٍ
وَلَا يُعِـيدُ الـتَّـغَـنِّي زَهْـوَ مَاضِـينَـا

نَرْقَـى إلى المَـجْـدِ إنْ صَحَّـتْ عَزَائِـمُـنَـا
وَبَـارَكَ الـلَّهُ مَا تَبْـنِي مَسَـاعِـينَـا

★ ★ ★

مَالِي أَرَى الأَرضَ ثَارَتْ مِنْ تَقَـاعُـسِـنَـا
وَرَجَّـعَـتْ بَيْنَـنَـا صَوْتَـاً يُنَـادِيْنَـا

كَأَنَّمَا اتَّقَدَتْ أَحْشَاؤهَا جَزَعاً
وَوَلْوَلَتْ رَهَباً مِنْ وَاقِعٍ فِينا

وَهَبَّتِ الرِّيحُ أَنْسَاماً مُعَطَّرَةً
قَدْ دَاعَبَتْ عَبَقَ المَاضِي رَيَاحِينَا

وَمَرَّتِ اليَومَ بِالأَطْلَالِ فَامْتَلأَتْ
شِعَابُهَا مِنْ رُؤَى الآتِي سَرَاحِينَا

★ ★ ★

قِفْ، حَاسِرَ الرَّأْسِ، وَاخْشَعْ فِي مَنَاكِبِهَا
فَكُلُّ نَاحِيَةٍ ذِكْرَى أَمَانِينَا

وَامْشِ الهُوَيْنَا وَنَاجِ القَلْبَ فِي وَلَهٍ
مَا ضَرَّنَا لَوْ حَفِظْنَا العَهْدَ وَالدِّيْنَا

هُنَاكَ قِفْ وَتَلَقَّنْ وَامْتَلِئْ شَجَنَا
وَانْشُرْ مَبَادِئَ صِدْقٍ فِي نَوَادِينَا

هُنَاكَ مِنْهَا تَسَلَّمْ وَحْيَ صَادِقَةٍ
وَحْيَ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ تُحْيِينَا

★ ★ ★

هُبُّوا سِرَاعاً إِلَى حَوْمَاتِ مُعْتَرَكٍ
مِنَ الجِهَادِ يُدَوِّي مِنْ رَوَابِينَا

هَلْ تَحْسَبُونَ بِأَنَّ اللَّيْلَ مُنْعَقِدٌ
فَنِمْتُمُ وَضَلَلْتُمْ في دَيَاجِيْنَا

الشَّمْسُ وَضَّاحَةٌ في الأُفْقِ فَانْتَبِهُوا
وَسَارِعُوا فَغُرُوبُ الشَّمْسِ دَاعِينَا

لَا تُذْهِبُوا فُرَصَ الأَيَّامِ عَاطِلَةً
وَقَدْ أَتَتْكُمْ حُلَاهَا مِنْ أَمَانِينَا

وَحَقِّقُوا أَمَلاً في الصَّدْرِ مُضْطَرِماً
لَوْلَاهُ مَا نَبَضَتْ أَعْرَاقُنَا فِينَا

★ ★ ★

مَاذَا يُفِيدُ نُوَاحٌ فَوْقَ غَالِيَةٍ
مِنَ التُّرَاثِ تَدَاعَتْ مِنْ تَدَاعِينَا

أَنْتُمْ تَنُوحُونَ وَالأَعْدَاءُ قَدْ بَلَغَتْ
مِنْكُمْ وَجَاسَتْ خِلَالَ المُلْكِ تَطْوِيْنَا

شُدُّوا العَزِيمَةَ، شُقُّوا الدَّرْبَ وَاخْتَرِقُوا
صَفَّ العِدَى عُصْبَةً لَا تُظْهِرُوا لِيْنَا

عَلَّ الزَّمَانَ الَّذِي غَابَتْ طَلَائِعُهُ
يَعُودُ يُشْرِقُ شَمْساً في لَيَالِينَا

١٩٤٣





دارلنا

كان لنـا دار في صفـد، نسفهـا الانكليز خلال اعوام ثورة ١٩٣٦ . وعندما عدنا إليها بعد سنوات كانت أطلالا ، إلا جداراً واحدا بقي شامخاً لم ينهدم. وقفت أمامها مع هذه الابيات سنة ١٩٤٣ .

وعنـدما تلقينا خبر نسف الدار كنّا في دمشق وكنت بحدود الحادية عشرة من العمر. مازلت أذكر مع حداثة السّنِّ آنذاك أن والدي رحمه الله سأل عن شيء واحد: «ماذا حدث للمكتبة؟». ولقـد كانت عزيزة عليه تحمل ثمرة جهود وتاريخ أجداد وكتبا ومخـطوطـات. ولما قيل له أخرجها أحد الأصدقاء قبل النسف ونجت المكتبة سُرَّ سروراً عظيًا وحمد الله على فضله. وقد ذكر هذه المكتبة الأستاذ محمد كرد علي في كتابه خطط الشام.





داريّا

مَجْدٌ تَهَدَّمَ إلَّا حَائِطاً هَرِمَاً
وَالمَجْدُ أَخْلَدُهُ مَا عَهْدُهُ القِدَمُ

وَقَفْتُ أَسْتَنْطِقُ الأَحْجَارَ أَسْأَلُهَا
وَالصَّخْرُ يَتْلُو حَدِيثاً كُلُّهُ حِكَمُ

سَأَلْتُهَا عَنْ بِلَادِي وَهْيَ نَازِفَةٌ
عَنِ الدِّمَاءِ وَعَنْ صِيْدٍ وَمَا رَسَمُوا

قَالَتْ - وَرَدَّدَت الأَصْدَاءَ أَوْدِيَةٌ
وَالسَّهْلُ وَالرَّوْضُ وَالسَّاحَاتُ وَالْقِمَمُ

في كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِنَا عَلَمٌ
بَاقٍ على صُعُدِ الأَيَّامِ يُسْتَلَمُ

★ ★ ★



لَمَّا أَتَوْكَ وفي إقْبَالِهِمْ صَلَفٌ
وَأَشْعَلُوا النَّارَ وَالبَارُودَ وَانْهَزَمُوا

تَفَرَّقُوا وَكَأَنَّ البِشْرَ ظَنُّهُمُ
بالابْتِسَامَةِ وَجْهٌ مُشْرِقٌ وَفَمُ

وَلَم يَبِنْ أَثَرٌ في الدَّارِ أَوْ ضَرَرٌ
كَأَنَّمَا الدَّارُ للأَهْوَالِ تَبْتَسِمُ

عَادُوا إلَيْكِ بأَحْقَادٍ مُؤَجَّجَةٍ
مَا أُسُّهُ الحَقُّ بَاقٍ لَيْسَ يَنْهَدِمُ

وَكَرَّرُوا فِعْلَهُمْ في كُلِّ نَاحِيَةٍ
حَتَّى غَضِبْتِ وَفَارَتْ دُونَكِ الحِمَمُ

رَشَقْتِهِمْ بِعَظِيمِ الصَّخْرِ يَصْرَعُهُمْ
وَيَصْرَعُ الظُّلْمَ! كَمْ جَارُوا وَكَمْ ظَلَمُوا

★ ★ ★

الجَرْمَقُ اليَوْمَ عَنْ بُعْدٍ رَأَى وَبَكَى
طَوْداً أَشَمَّ يُضَاهِيهِ بِهَا الشَّمَمُ

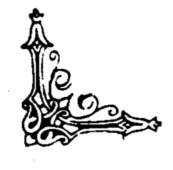
وَسْطَ المَدِينَةِ دَارٌ قَدْ زَهَتْ شَرَفاً
وَزانَهَا الدِّينُ وَالأَخْلَاقُ وَالشِّيَمُ

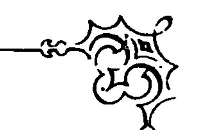
فِدَىً لِدِيني وَأَوْطَـاني ذَهَـبْـتِ فَلَا

حُزْنٌ عَلَيْكِ وَلَا دَمْـعٌ وَلَا أَلَمُ

★ ★ ★

١٩٤٣





يا قومي

فَيَا قَوْمِيَ اسْتَوْلَى النُّعَاسُ عَلَيْكُمُ
وَغَيْرُكُمُ بِالدَّهْرِ يَشْقَى وَيَتْعَبُ

فَنَالُوا مَنَالاً قَدْ رَوَاهُ جَبِينُهُمْ
وَأَسَّسَهُ عَزْمٌ شَدِيدٌ مُذَرَّبُ

وَأَنْتُمْ أَقَمْتُمْ فِي خِبَاءٍ مِنَ الكَرَى
وَقَامَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ تَبْكِي وَتَنْدُبُ

وَلَمْ تَنْهَضُوا حِينَ اسْتَفَزَّ شُعُورَكُمْ
وَنَبَّهَكُمْ هَذَا العَدُوُّ المُجَرِّبُ

أَمَا رَاعَكُمْ صَوْتٌ مِنَ الغَرْبِ نَاعِبٌ
وَمَا هَزَّكُمْ صَوْتٌ مِنَ الدِّينِ يُطْرِبُ

أَمَـا أَضْرَمَـتْ تِلْكَ الـرُّبُـوعُ حَمَاسَـةً
تَجِيشُ بِصَـدْرِ الْحُـرِّ، وَالْحُـرُّ يَغْـضَـبُ

أَرَاكُـمْ بِلَفْظٍ تُضْرَمُ الـنَّـارُ فِيْكُـمُ
وَتَـذْوي سَرِيعَـاً بَعْـدَ ذَاكَ وَتَـذْهَـبُ

أَرَى لِيَدِ الأَحْـزَابِ فِيْكُـمْ مضَـارِبَـاً
وَأَيدِي الـوِئَـامِ الْحُـرِّ فِيْكُـمْ تُشَـذَّبُ

فَهَـذا سَنَامُ الـدَّهْـرِ صَعْـبٌ ركـابُـهُ
وَكُـلُّ عَظيمٍ إِنْ أَرَدْتَ سَيَقْـرُبُ

كذلِـكَ مَنْ رَامَ الْمَـعَـالي مَكَـانَـةً
فَصَـعْـبَ المـطَايَا وَالْمَسَـالِـكِ يَرْكَـبُ

فَدُونَـكُـمُ الأَيَّامَ فَاشْـقَـوْا وَجَـاهِـدُوا
فَما الـعُـمْـرُ إلاَّ أَنْ تُعَـانُـوا وَتَـطْلُبُـوا

★ ★ ★

بَني وَطَـني هُبُّـوا فَقَـدْ طَالَ نَوْمُـكُـمْ
وَبَـاتَـتْ عَليْكُـمْ فُرْصَـةُ الـدَّهْـرِ تَغْـرُبُ

أَلاَ فُرَصٌ تَغْـدُو وَتَـغْـدُو سَرِيعَـةً
وَلَـسْـتَ تَنَـالُ الـيَوْمَ مَا كُنْـتَ تُوهَـبُ

١٩٤٤

مرت علينا أعياد في فلسطين ومع كل عيد كان لنا أمل ورجاء، حتى كان عيد ١٩٤٥ فهبت الذكريات وتحركت الشجون.

عيد في فلسطين

أَيُّهَا العِيدُ أَيْنَ مِنْكَ الوُعُودُ
طالَ فِيكَ الرَّجَاءُ والتَّرْدِيْدُ

بَسَمَ الكَوْنُ إِذْ طَلَعْتَ عَلَيْهِ
وَزَهَا في مَدِيحِكَ التَّغْرِيدُ

كُلَّمَا أَقْبَلَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
غَرَّرَتْ بِالْفُؤَادِ مِنْكَ العُهُودُ

فَهَلِ العِيدُ حُلَّةٌ مِنْ حَرِيرِ
وَشَبَابٌ يَلْهُو وَلَيْلٌ وَغِيدُ

إِنَّمَا العِيدُ أَنْ تُدَوِّي السَّرَايَا
وَتُدَمَّى مِنَ الطِّعَانِ النُّجُودُ

أَنْ نرى مِنْ شَبَابِنَا كُلَّ حُرٍّ
صَاعِداً لِلرَّدَى! فَذَلِكَ عِيدُ

★ ★ ★

هَلْ هَفَا القَلْبُ حِينَ مَرَّتْ بِهِ الذِّكْـ
رى وَعَادَ التَّحْنَانُ والتَّغْرِيدُ

هَلْ شَجَاهُ خَفْقُ البُنُودِ إذَا مَا
رَجَّعَتْ خَفْقَهَا هُنَالِكَ بِيدُ

هَلْ شَجَاهُ أَعْطافُ مُلْكٍ تَناءَتْ
حِينَ كانَ الإِسْلاَمَ مِنْهَا العَمُودُ

هَلْ رَأَى المُلكَ حِينَما ثَبَّتَ المُلْـ
ـكَ جِهَادٌ مِنْ أَهْلِهِ مَحْمُودُ

هَلْ بَكَى الرَّوْضَ حِينَما اقْتُطِفَ الزَّهـ
ـرُ وَلَمَّا قَدْ جَفَّ مِنْهُ العُودُ

هَلْ بَكَى الصَّرْحَ حِينَ أَوْدَى به الدَّهْـ
ـرُ وَأَوْدَتْ بِسَاكِنِيهِ الجُدُودُ

★ ★ ★

ذاكَ عَهْدٌ مَضَى! وَمَا كَانَ فِيْه
مَنْ يُقَاسِي، وَلاَ تَأَسَّى شَرِيدُ

حِينَمَا جَمَّعَ العُرُوبَةَ دِينٌ
وَدِيَارٌ، فَذَاكَ ثَمَّةَ عِيدُ

هِيَ ذِكْرَى بَيْنَ الفُرَاتِ وَبَيْنَ النْـ
نِيلِ مِنْهَا دَمْعٌ وَنَوْحٌ شَدِيدُ

هِيَ ذِكْرَى مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ وَالشَّـ
شَرْقِ قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا المَشْهُودُ

★ ★ ★

أُمَّةَ الحَقِّ! مَا دَهَاكِ وَأَوْهَى
جَمْعَكِ الصَّدْعُ وَاسْتَتَبَّ الجُمُودُ

خَدَعَتْكُمْ وُعُودُهُمْ! فَلَكُمْ مِنْـ
ـهُمْ عُهُودٌ مِنْ بَعْدِهَا وَعُهُودُ

كَمْ مَضَى! كَمْ مَضَى وَأَنْتُمْ أُسَارَى
فِي حِبَالٍ قَدْ طَالَ فِيهَا الرُّقُودُ

فِتْنَةٌ بَعْدَ فِتْنَةٍ بَعْدَ أُخْرَى
وَهِيَاجٌ مِنْ بَعْدِهِ تَشْرِيْدُ

فُرِّقَ الأَهْلُ عَنْ حِمَاهُمْ فَهذا
يَتَأَسَّى بِغَيْرِهِ مَنْكُودُ

تَسْمَعُ الأَنَّةَ المَرِيرَةَ مِنْهُ
وَتَرَانَا يَرْثي الشَّهِيْدَ شَهِيدُ

وَاخْتِلافُ الأَحْزَابِ في حَلِّ أَمْرٍ
لَيْسَ في حَلِّ أَمْرِهِ تَعْقِيدُ

كُلُّنَا يَرْتَجِي خَلاَصَ بِلاَدٍ
هَاَهَا الخَطْبُ! أَيُّ شيءٍ جَدِيْدُ

جَمِّعُوا أَمْرَكُمْ وَهُبُّوا فَمَنْ جَمْـ
ـمَعَ أَمْراً تَرْعَى هَوَاهُ الجُدُودُ

★ ★ ★

أَيُّهَا الشِّعْرُ هَلْ مَلَكْتَ زِمَامِي
فَيَطِيبُ الهَوَى وَيَحْلُو النَّشِيْدُ

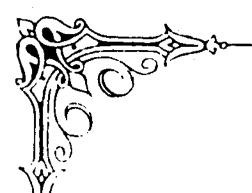
نَفَثٌ شَاعِرٌ وَوَحْيٌ كَرِيمٌ
وَفُؤَادٌ مُحَرَّقٌ مَوْقُودُ

فَأَزُفُّ الأَنَّاتِ حَيْرَى لَعَلَّ الْـ
ـقَوْمَ يَصْحُو مِنْ غَفْوَةٍ وَيَعُودُ

فَيَرَى مَا يَحِلُّ بِالْوَطَنِ الغَا
لِي وَكَمْ تَذْوِي مِنْ صَانِعِيْهَا الجُهُودُ

١٩٤٥

★ ★ ★



ما العيد إلا لحر لم يهن أبدًا

هَلْ عُدْتَ بِالأَمَلِ المحْبُوب يَاعِيْدُ
عَوْدٌ سَعِيدٌ فَهَلْ في العَوْدِ تَجْدِيدُ

مَا زِلْتُ أَرْجِعُ لِلْذِّكْرَى فَتُؤْلِمُني
وَفي التَّذَكُّرِ تَعْذِيْبٌ وَتَسْهِيدُ

مَا زِلْتُ أَذْكُرُ أَيَّاماً مَضَتْ وَخَلَتْ
وَالعِزُّ فِيْهَا عَلى الأَرْجَاء مَمْدُودُ

قَدْ كانَ يَجْمَعُنَا دِينٌ وَيُسْعِدُنَا
عِيْدٌ وَيَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ مَشْهُودُ

لَمْ يَبْقَ فِيْهِ حَزِيْنٌ في مُلِمَّتِهِ
وَلاَ تَشَتَّتَ في البُلْدَانِ مَنْكُودُ



مَا الـعِـيْدُ إلاَّ إذَا قَامَـتْ دَعَـائِـمُـنَـا
وَفَـوْقَـهَـا عَلَمٌ لِلدِّينِ مَعْـقُـودُ

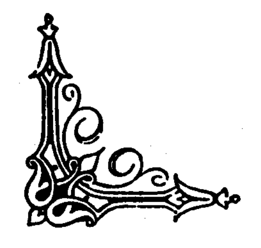
مَا الـعِـيْدُ إلاَّ لِحُرٍّ لَمْ يَهُنْ أَبَـدَاً
وَلاَ بَدَا وَهْـوَ في الأَغْـلاَلِ مَصْـفُـودُ

أيَّامُ هَارُونَ تَدعُـونِيَ فَأَنْـدُبُهَـا
وَأَشْـتَـكِـي كَيْفَ أَنَّ الـوَصْـلَ مَحْدُودُ

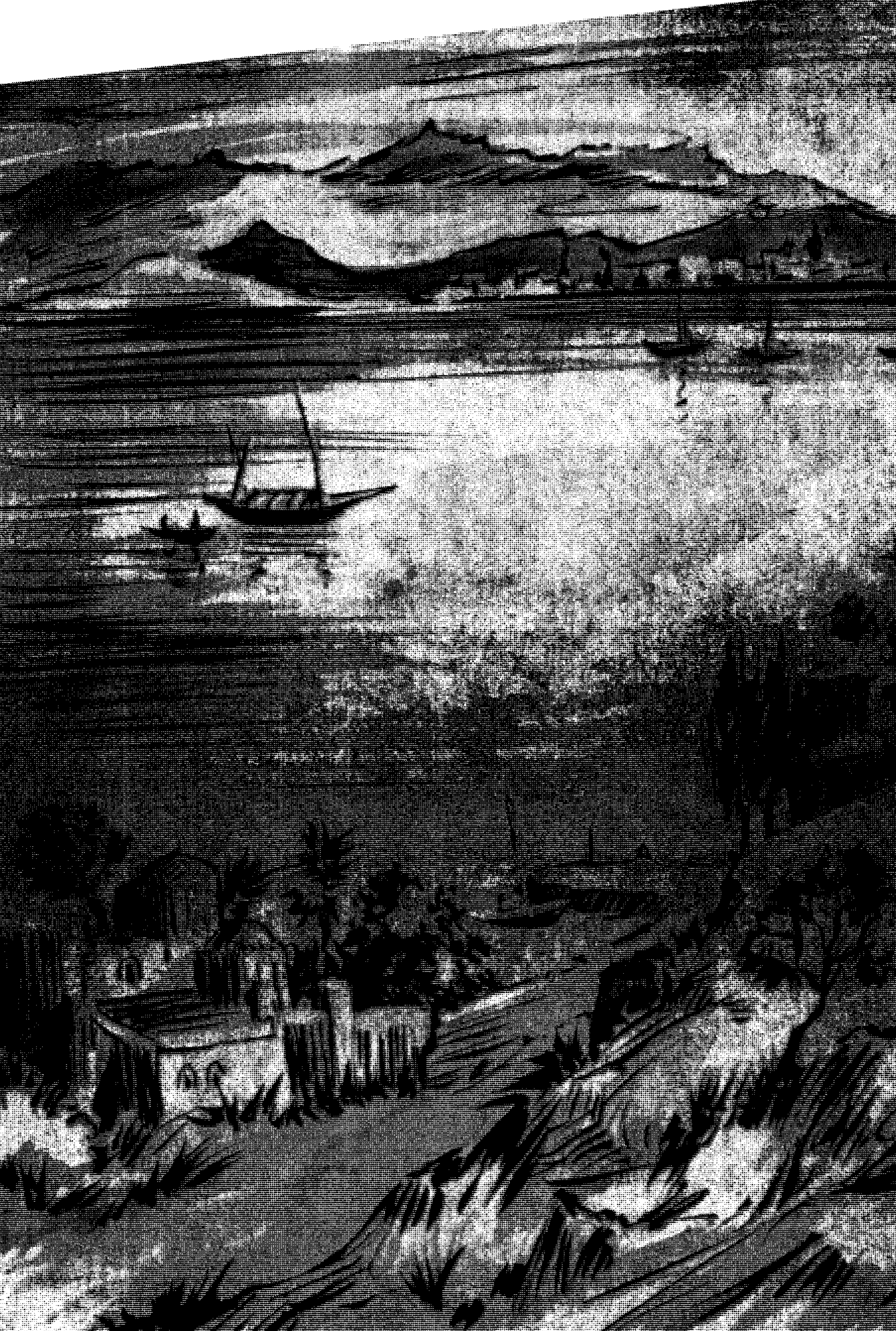
حَدَائِـقُ الـشَّـامِ وَالـفُـسْـطَاطِ أُغْـنِـيَةٌ
وَأَرْضُ أَنْـدَلُسٍ ذِكْـرَى وَتَمْـجِـيْدُ

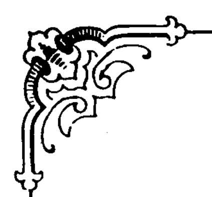
١٩٤٤

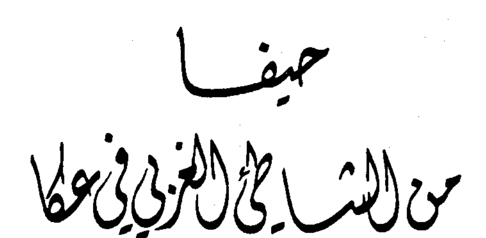
★ ★ ★



حيفا
من الشاطئ الغربي في عكا







حَيْفَـا! فَدَيْتُـك مَا أَبْهَـى مَغَـانِـيْكِ
وَكَـمْ يَطِيْبُ الهَـوى في ظِلِّ نَادِيْكِ

مَا الحُـسْـنُ إلَّا كِتَـابٌ أَنْـت أَسْـطُرُهُ
أَوْ أَنَّـهُ قُبْـلَةٌ قَرَّتْ عَلى فِيكِ

مَا أَنْـتِ إلَّا عَرُوسُ الـبَـحْـرِ مِنْ قِدَمٍ
عَلَوْتِ كِبْرَاً فَمَالَ الـبَـحْـرُ يغْـرِيكِ

لَمْ يَهْوَ غَيْرَكِ مِنْ شَتَّـى عَرَائِـسِـهِ
فَخَـفَّ نَحْـوَكِ في هَمْسٍ يُنَـاجِـيكِ

سعَـتْ عَرَائِـسُـهُ تُهْدِي تَهَانِـيهَـا
وَمَـا عَرَائِـسُـهُ إلَّا جَوَارِيكِ

هلاّ رَضِيتِ! فَكَمْ أَلْقَى جَواهِرَهُ
عَلَيْكِ لَيْلاً وَكَمْ شَعَّتْ لآلِيكِ

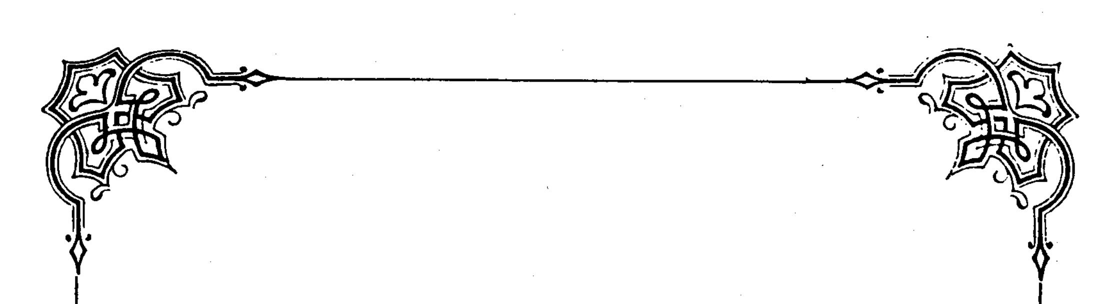
حَبَاكِ مِنْ قَلْبِهِ حَبَّاتِهِ كَرَماً
وَلَمْ يَنَلْ غَيْرَ لَثْمٍ مِنْ أَيادِيكِ

تُبْدِينَهَا في الدُّجَى وَاللَّيْلُ لَيْلُ هَوَى
لَيْسَتْ لَيَالِي الهَوَى إلاَّ لَيَالِيكِ

وَبِتِّ حَالِمَةً! إِنَّ الهَوَى حُلُمٌ
وَقُمْتِ نَاطِقَةً رَقَّتْ مَعَانِيك

١٩٤٦

★ ★ ★



الربيع في عكا

رَقَّ الهـوى وَسَـعَـى إلَـيْك بمَـنْـظَرٍ
عَجَـبٍ، فقَـدْ وَرَدَ الـرَّبـيعُ ولاَحَـا

وزكَـتْ خمَائِـلُهُ وفَـوَّحَ عُودُهُ
وَغَـدَا عَلى هَذِي الـرُّبُـوعِ وَرَاحَـا

فَانْـظُرْ لِزَهْـرٍ قَدْ تمَايَلَ عِطْفُـهُ
بَيْنَ الـنَّـسيمِ وَطَـائِـرٍ قَدْ صَاحَـا

الـطَّيْرُ فَوْقَ غُصُـونِه صَدّاحَـةٌ
وَالـرِّيحُ أَوَّدَ عِطْفَـهُ وَأَبَـاحَـا

حَتَّـى إذَا ثَمِـلَ الـنَّـسِيمُ فَلَمْ يَعُـدْ
مُتَـكَـتِّـماً بِهَوَى الـزُّهُـورِ فَبَـاحَـا

وَيُقِيمُ عَهْدَ الوُدِّ طِيلَةَ لَيْلِهِ
وَيَحُولُ عَنْ عَهْدِ الوِدَادِ صَبَاحَا

هَذِي الدُّمُوعُ تَرَقْرَقَتْ بِجُفُونِهَا
لَمَّا تَحَوَّلَ عَنْ هَوَاهُ وَفَاحَا

مَا زَالَ يَخْدَعُهَا النَّسِيمُ بِحُبِّهِ
وَيُذِيقُهَا الأَحْزَانَ وَالأَفْرَاحَا

فَاحْمَرَّ مَا صَبَغَ الحَيَاءُ جَبِينَهُ
وَازْرَقَّ مَا لَطَمَ الخُدُودَ وَنَاحَا

وَاصْفَرَّ مَا كَتَمَ الهَوى بِفُؤَادِهِ
وَجْداً وَمَالَ عَلى الثَّرَى أَشْبَاحَا

١٩٤٥

★ ★ ★

إستشهد القائد عبد القادر الحسيني في ٨ نيسان ١٩٤٨ في معركة القسطل بعد أن عاد من دمشق دون أن تمده اللجنة العسكرية بالسلاح اللازم لتلك المعركة. خاضها بما لديه من رجال وسلاح واستشهد.

الشهيد عبد القادر الحسيني

في القسطل

عَادَ الهِزَبْرُ فما لِلْقَلْبِ يَضْطَرِبُ
وَلِلْعُيُونِ وَهَذَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ

جَاءَ البَشِيرُ إِلَيْنَا وَالنَّعِيُّ مَعاً
كِلاهُمَا خَفْقَةٌ فَالنَّصْرُ والْحَرَبُ

لَمْ يَقْبَلِ القَلْبُ غَيْرَ البِشْرِ مِنْ خَبَرٍ
وَلَمْ يَرَ النَّعْيَ إِلَّا وَهُوَ يَقْتَرِبُ

قَالُوا: الرَّصَاصُ يُحَيِّي بشْرَ عَوْدَتِهِ
وَهَذِهِ القُدْسُ خَفَّتْ نَحْوَهُ تَثِبُ

عَلى الأكُفِّ مُسَجًّى في مَهَابَتِهِ
وَحَوْلَهُ ثُلَّةٌ أَوْ فِتْيَةٌ نُجُبُ

لَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ هَلْ حَيٍّ يَقُودُهُمُ
إلى المَعَارِكِ؟ أَمْ مَوْتٌ وَمُحْتَرَبُ

لَمْ يَلْمَسُوا فِيهِ إلَّا أَنَّهُ بَطَلٌ
حَيٌّ يَقُودُ وَلَا يُثْنَى لَهُ أَرَبُ

فَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ قَالَ قَائِلُهُمْ :
مَوَاكِبُ النَّصْرِ فِيهَا المَنْظَرُ العَجَبُ

لَا يَبْلُغُ الفِكْرُ مَا جَازَ المَمَاتُ بِهِ
وَلَا يَرَاهُ خَيَالٌ وَهُوَ يَحْتَجِبُ

★ ★ ★

وَيْحِي! أَهَذَا جِدَارٌ كَيْفَ يَنْزِلُهُ
ضِيقاً وَكَانَ يَضِيقُ المَنْزِلُ الرَّحِبُ

كَأَنَّمَا بَاتَ يَرْمِي مِنْ مَرَاقِدِهِ
على العدى فأتاه البِشْرُ والغَلَبُ

أَمْسِ الَّذِي مَاتَ قَدْ أَحْيَيْتَهُ أَبَداً
نُوراً يُضِيءُ وَأَمْجَاداً لَهَا نَسَبُ

★ ★ ★

قَدْ كُنْتَ في «الشَّام» لا تُلْهِيكَ بَانَتُهَا
عَنْ هِمَّةٍ ورَعَاكَ النَّجْمُ يَرْتَقِبُ

سَأَلْتَهُمْ مَدْفَعاً يا لَيْتَهُمْ دَفَعُوا
عَنْكَ الرَّدَى وَأَجَابُوا غيْرَ مَا طَلَبُوا

لا يَبْذُلُونَ عَنِ التَّقْصِيرِ مَعذِرَةً
وَلا يَقُومُ عَلَى تَسْوِيغِهِمْ سَبَبُ

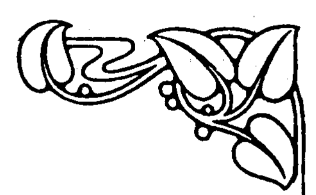
فما هُمُ غَيْرَ آلاتٍ تُحَرِّكُهَا
سِيَاسَةٌ كَيْفَ مَا مَالُوا أَوِ انْقَلَبُوا

كَذَاكَ عُدْتَ سَرِيعاً لا تُبَادِلُهُمْ
سُوءاً بِسُوءٍ وَلَمْ تَغْضَبْ كَما غَضِبُوا

لَكِنَّهَا عِزَّةٌ لَيْسَتْ عَلَى حَمَقٍ
حُمِّلْتَهَا وَكَذاكَ الفِتْيَةُ النُّجُبُ

حَلَفْتَ بِاللَّهِ أَنْ تَغْدُو بِكَوْكَبَةٍ
في رَبْوَةِ القَسْطَلِ الهَوْجَاءِ تَحْتَطِبُ

تَرَكْتَ «مُوتْزَا» تُدَاوي النَّارُ أَنَّتَهَا
وَبَاتَ يُشْرِقُ في الكَسَّارَةِ اللَّهَبُ



بَعَثْتَ مِنْ «كامِلٍ» سَهْمَ القَضاءِ لَهُمْ
وَذَا «أَبُو دِيَّةٍ» فِي ساحِهِ يثِبُ

كِلاَهُمَا أَمَلٌ فِي الْحَرْبِ ذُو ثِقَةٍ
وَمِنْ مَوالِيدِهَا يُدْنِيهِمَا النَّسَبُ

وَخُضْتَ شَرْقِيَّهَا تَرْمِي بَوارِجَهُمْ
بِفِتْيَةٍ نُجُبٍ! لاَ جَحْفَلٌ لَجِبُ

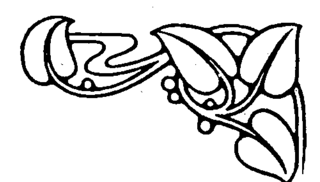
خَمْسٌ وَعِشْرُونَ لَمْ تُنْجِدْ مَطِيَّتَهُمْ
مَدَافِعٌ وَسِوَاهُمْ مَعْقِلٌ أَشِبُ

وَاللَّيْلُ حَوْلَكَ جَيَّاشٌ تَخُوضُ بِهِ
كَأَنَّما أَنْتَ فِيهِ جَحْفَلٌ عَجَبُ

دَخَلْتَ حَامِيَةً فِيهَا فَمَا عَرَفُوا
غَيْرَ الرَّصَاصِ طَعَاماً مِنْكَ أَوْ شَرِبُوا

لَمْ يَبْقَ عِنْدَكَ مَذْخُورٌ فَتَقْذِفَهُ
إلا فَتىً صَابِرٌ لله مُحْتَسِبُ

وَانْهَالَتِ النَّارُ فَاسْتَقْبَلْتَ حَرَّتَهَا
وَأَنْتَ فِي القَسْطَلِ الحَمْرَاءِ تَحْتَطِبُ

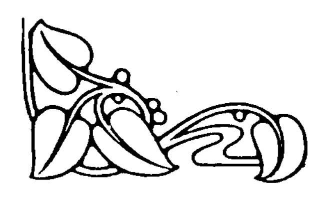


حَتَّـى قَضَـيْتَ وَفِي جَنْـبَـيْكَ أَوْسِـمَـةٌ
حَمْرَاءُ لَا مَاسَـةٌ فِيهَـا وَلَا ذَهَـبُ

فَخْـرٌ! فَمَا جَادَ فِي تَعْـلِيقِـهَـا أَحَـدٌ
يَلْهُـو وَلَا هِيَ نِيْشَـانٌ وَلَا لَقَـبُ

١٩٤٨

★ ★ ★





بعد النزوح وآمال العودة بدأت تذوي والحسرة تشتد.

وطن يضيع

وَطَـني ذَكَـرْتُـكَ وَالـقَـنَـا طَعَّـانَـةٌ
وَجَمـيلُ سَاحِـكَ بِالـدِّمَـاءِ مُخَضَّـبُ

فَإذَا شَكَـوْتَ تَهُبُّ دُونَـكَ عُصْبَـةٌ
وَإذَا رَغِـبْـتَ فَفـي عَلاَئِـكَ نَرْغَـبُ

عِشْرُونَ عَامَـاً أَوْ تَزِيدُ قَضَـيْتَـهَـا
وَالـنَّـارُ تَخْطَفُ وَالـدِّمَـاءُ تَسَرَّبُ

وَأَبَـى شَبَـابُـكَ أَنْ تَلِينَ قَنَـاتُهُـمْ
فَغَـدَوْا لُيُوثَـاً في الحِـمَـى تَتَـوَثَّـبُ

وَسَـقَـوْكَ مِنْ مَاءِ الحَـيَاةِ حَيَاتَهُـمْ
لَمَّا ظَمِئْـتَ وَقَـدْ يَعِـزُّ المَشْرَبُ

وَسَعَوا إلَيْكَ عَلى الأَكُفِّ مِنَ النَّدَى
مُهَجُ الكُماةِ وَأَنْفُسٌ لَكَ تُوهَبُ

وَثَبُوا عَلى دُهْمٍ فَشَقَّ ظَلاَمَهَا
وَمْضُ العَزِيمَةِ وَالبَرِيقُ المُلْهِبُ

وَمَدَافِعٌ كَمْ وَلْوَلَتْ أَنْغَامُهَا
فَيُجِيبُهَا نَغَمٌ أَشَدُّ وَأَعْذَبُ

وَمِنَ الحُسَيْنِيِّ الغَضَنْفَرِ ضَرْبَةٌ
حَمْرَاءُ تَعْمَلُ في الظُّهُورِ وَتَنْشُبُ

سَوَّى بُرُوجَهُمُ وَمُنْبَسِطَ الثَرَى
وَبَنَى القُبُورَ فَهَلْ يَحِنُّ وَيَغْضَبُ

لَكِنَّهُ قَدَرٌ خَضَعْتَ لأَمْرِهِ
فَحَلَلْتَ في الأَقْصَى يَحِنُّ وَيَحْدُبُ

وَأَخُوكَ[1] جَرُّوا خَلْفَهُ أَشْلاَءَهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ وَرَقٌ يَسِيرُ فَيُشْذَبُ

لَمَّا تَرَكْتَ أَخَاكَ حَرَّكَهُ الهَوَى
فَسَلاَهُ عَنْكَ هَوًى أَرَقُّ وَأَقْرَبُ

(١) الشيخ حسن سلامة.

وَأَتَى قَضَاءُ اللَّهِ يَحْكُمُ فِيكُمَا
وَدَعَاكُمَا وَطَنٌ يَئِنُّ وَيَنْدُبُ

كَيْمَا تَدُومَا في هَوَاهُ لأَنَّهُ
عَرَفَ الأَحِبَّةَ جُلَّهُمْ فَتَذَبْذَبُوا

لَوْلاَ الحَيَاءُ لَقُلْتُ تِلْكَ جَرِيمَةٌ
وَإِذَا يَئِسْتُ أَقُولُ : هَذَا المُذْنِبُ

لكِنْ بَقِيَّةُ مَأْمَلٍ وَتَعَلُّلٍ
قَطَعْتُ جَهِيرَى ما أَلُومُ وَأَشْجُبُ

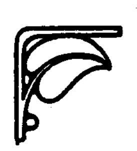
فَكَأَنَّهَا ضَوْءٌ يَكَادُ يُذِيبُهُ
نَوْءُ الظَّلاَمِ وَحُلْكَةٌ تَتَسَعَّبُ

★ ★ ★

وَطَنِي ذَكَرْتُكَ وَالمَصَائِبُ كَشَّرَتْ
عَنْ نَابِهَا وَاحْمَرَّ مِنْهَا المِخْلَبُ

وَوَقَعْتَ تَدْمَى في عِرَاكِكَ بَعْدَ مَا
ذَهَبَ النَّصِيرُ وَسَاءَكَ المُتَقَلِّبُ

فَصَرَخْتَ مَكْلُوماً أَمَا مِنْ مُنْجِدٍ
يَحْنُو عَلَيَّ وَمُسْعِفٍ لاَ يَرْهَبُ



فَهْـيَ الجَـحَـافِـلُ أُطْـبِـقَـتْ! لا نَارُهَــا
نَارٌ! وَلاَ فِتْـيَانُهَا تَتَسَرَّبُ

وَأَتَـاكَ يُنْـقِـذُ مَنْ رَجَـوْتَ حَنَـانَـهُ
فَإِذَا بِهِ قَاسٍ عَلَيْكَ مُجَرِّبُ

أَيْنَ الحَـمِـيَّةُ إِذْ رَآكَ مُمَزَّقَـاً
إِرَبـاً وَعِـرْضُـكَ مُسْـتَـبَـاحٌ يُسْـلَبُ

أَيْنَ الـكَـتَـائِـبُ أَقْـبَـلَتْ وَنِـدَاؤُهَـا
اللَّهُ أَكْـبَرُ، وَالـرَّدَى يَتَرَقَّـبُ

وَمَـضَـوْا لإِحْـدَى الحُـسْـنَـيَيْنِ يَشُـدُّهُمْ
شَوْقٌ إِلَى دَارِ الخُـلُودِ وَيَجْـذِبُ

فَإِذَا هُمُ، وَالـنَّصْرُ لاَحَ بَشَـائِـرَاً
تَهْفُـو، وَصَـفَّـقَ مَشْرِقٌ أَوْ مَغْـرِبُ

شَدَّ الـطِّعَـانَ عَلَيْهِـمُ فِي ظَهْـرِهِـمْ
رَحِـمٌ وَمَـزَّقَـهُـمْ قَرِيبٌ أَكْـذَبُ

وَيَسُـوقُـهُـمْ لِلْسِّـجْـنِ! إِلاَّ أَنَّهُمْ
سَيْفٌ يُرَقَّـقُ نَصْلُهُ وَيُجَـرَّبُ

وَإِذَا شُمُــوعُ الــلَّيْلِ تَذْوي وَالْمُــنَــى
تَضْــوِي وَأَحْــلَامُ هُنَــالِــكَ تَذْهَــبُ

١٩٤٨





سقوط صفد

في ١٣ ايار ١٩٤٨

دَمْعَةٌ حَرَّقَتْ مِنَ الأَجْفَانِ
وَزَفِيرٌ تَبُثُّهُ الشَّفَتَانِ

وَفُؤَادٌ يَثُورُ كالبُرْكَانِ
وَنِدَاءٌ يَضِجُّ في الآذانِ
صَفَدُ! حَدِّثي بِغَيْرِ لِسَانِ

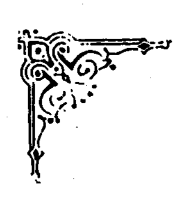
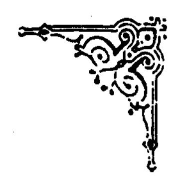
★ ★ ★

كَيْفَ تَهْوِي مَعَاقِلُ الأَبْطَالِ
وَتَمُوتُ الرِّجَالُ دُونَ قِتَالِ

لَا ضَحَايَا هَوَتْ عَلَى الأَطْلَالِ
أَوْ دِمَاءٌ زَكِيَّةٌ في الجِبَالِ
فَجَّرتْ نَبْعَةً مِنَ الإِيمَانِ

★ ★ ★

بَلْ شَرِيدٌ لَمْ يَعْتَصِمْ بِبِنَائِهْ
مُرْغَمٌ لِلنُّزُوحِ عَنْ أَرْجَائِهْ

خَلَّفَ الـدَّمْـعَ جَارِياً فِي فِنَـائِـهْ
جَرَّدُوهُ وَأَخْـرَسُـوا مِنْ نِدَائِـهْ
سَحَبُـوهُ مِنْ غَمْـرَةِ المَيْدَانِ

★ ★ ★

اتْـرُكُـوه تَرَوْا بَلَاءً أَكِـيدَاً
وَرَدَىً يَخْطَفُ الـنُّـفُـوسَ مُبِـيدَا

فِتْـيَةٌ أُغْـضِـبُـوا فَكَـانُـوا أُسُـودَا
أُلْهِـبُـوا فَانْـبَرَوْا رَدَىً وَوَقُـودَا
إِنْ قَضَوا خَلَّدُوا هَوَى الأَوْطَانِ

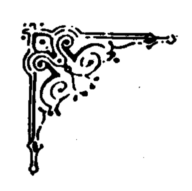
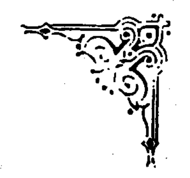
★ ★ ★

أَنُـزُوحٌ! يَا وَيْحَـهُـمْ أَنُـزُوحُ
وَرَضِـيعٌ عَلَى الأَكُـفِّ يَنُـوحُ

يَبْـتَـغِـي قَطْرَةً وَذَاكَ جَرِيحُ
وَعَـجُـوزٌ مُرَوَّعٌ وَطَـرِيحُ
بَيْنَ وَادٍ وَهَـضْـبَـةٍ أَوْ جِنَـانِ

★ ★ ★

ذِكْـرَيَاتٌ وَرَاءَهُـمْ كَيْفَ تُمْحَـى؟
وَهِـيَ تُدْمِـي الجِـرَاحَ جَرْحَـاً فَجَـرْحَـا

وَعَـذَابٌ يَنِـزُّ فِي الـقَـلْبِ قَرْحَـا

كَيْفَ أَلْـقَـى عَلَى رُبُـوعِـكِ صَفْـحَـا

أَنْ طَوَيْنَـا القَنَـا وَحُمْـرَ السِّنَانِ

★ ★ ★

مُصْـحَـفٌ مزَّقَـتْـهُ أَيْدِي الـبُـغَـاةِ

وَأَهَـانُـوا مَرَابِـعَ المَـكْـرُمَـاتِ

ورَضِـيعٌ يُنَـاشُ بَيْنَ الـكُـمَاةِ

وَاسْـتَـهَـانُـوا بِعِـزَّةِ الـفَـتَـيَاتِ

أَيَّ هَـوْنٍ مِنْ بَعْـدِ ذَاكَ الهَـوانِ

★★★

كُلُّ هَذَا مُؤَامَـراتٌ تُحَاكُ

وَخِـدَاعٌ وَغَـفْـلَـةٌ وَعِـرَاكُ

وَكَـرَاسٍ تَزَاحَمَـتْ وَشِرَاكُ

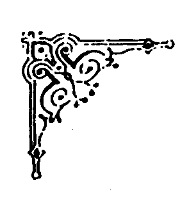
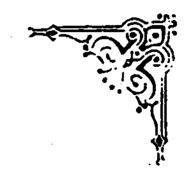
نَصَـبُـوهَـا وَهَـذِهِ أَشْـوَاكُ

ثُمَّ قَالُـوا سِيرُوا بِكُـلِّ أَمَـانِ

★ ★ ★

لَمْ يَطُفْ فِي الـفُـؤَادِ غَيْرُ خَيَالٍ

لِمثَـالٍ مِنَ الـتُّـقَـى وَالجَـلَالِ

وَجِـهَـادٍ لَمْ يَتَّـصِـفْ بكَـلَالٍ
إنَّـهُ سَيِّدُ الـبِـلَادِ الـغَـالِي
وَأَمِـينٌ مُسْـتـعْـصِمٌ بِأَمَـانِ

★ ★ ★

هَذِهِ بَلْدَتِي يَضِـجُّ نِدَاهَـا
صَرْخَـةٌ رُدِّدَتْ وَهَـذِي صَدَاهَـا

وَفِـلَسْـطِينُ رُوِّعَـتْ مِنْ رَدَاهَـا
كُلُّنَـا! كُلُّنَـا! فِدَاهَـا فِدَاهَـا
اخْرَسُوا لَنْ يُفِيدَ رَجْعُ الحَنَانِ

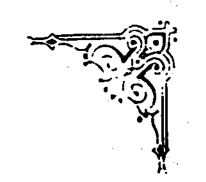
★ ★ ★

أَفِـلَسْـطِينُ! هَلْ جَفَـاكِ بَنُـوكِ
حَمَلًا لِلْذِّئَـابِ هَلْ تَرَكُـوكِ

فِي غِمَارِ الجِـهَـادِ هَلْ خَذَلُـوكِ
حَدِّثِـي إنَّـمَا أُولَئِـكَ فُوكِ
نَـاطِقٌ فِي رُبًى وَفِي وِدْيَـانِ

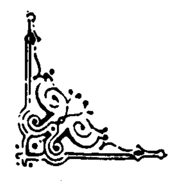
★ ★ ★

مِنْ شَبَـابٍ كَالـنَّـارِ حِينَ تُمَدُّ
وَاقْـتِـحَـامِ الـطُّوفَـانِ حِينَ يَشُـدُّ

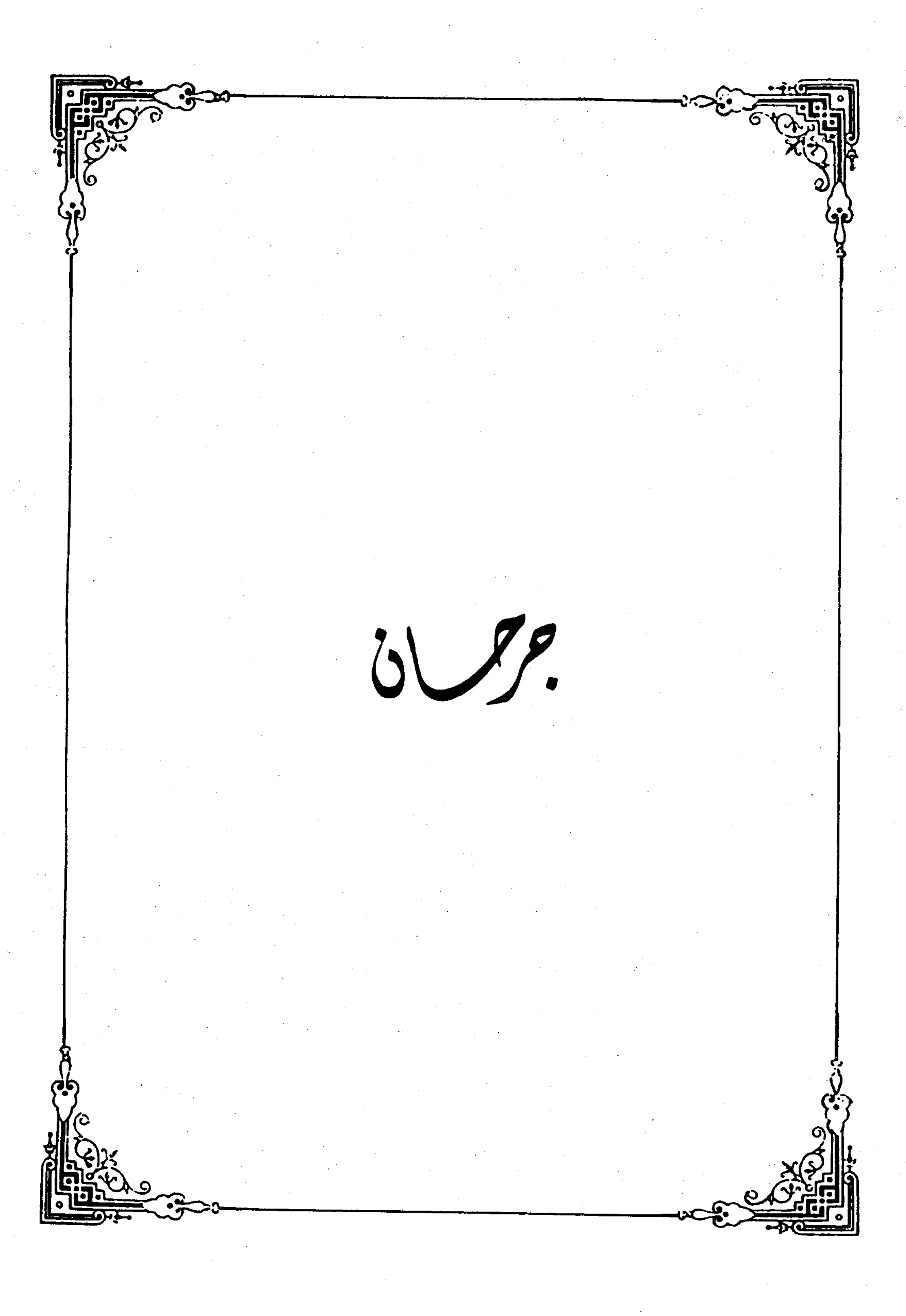


قَدْ أَبَــوْا ذِلَّــةً فَثَــارُوا وَجَــدُّوا
وَسَــقَــوْا تُرْبَهَــا فَذَلِــكَ مَجْدُ
ثَـابِتٌ فَوْقَ مَصْـرَعِ الشُّبَـانِ

١٥ أيار ١٩٤٨







جرجان



أرسل صديق لي من الأردن رسالة سنة ١٩٤٩م بعد انقطاع طويل، فأجبته بأبيات من الشعر، زدت عليها أبياتاً أخرى سنة ١٩٦٤.

جرحان

يَا طَائِرَ الأُرْدُنِّ حَرَّكَهُ
شَجْوٌ فَأَسْمَعَ صَوْتَهُ بَرَدَى

يا طَيْرُ قَصَّ جَنَاحَهُ زَمَنٌ
كَمْ قَصَّ أَجْنِحَةً وَشَلَّ يَدَا

لَا تَحْسَبَنَّ مَوَارِدِي عَذُبَتْ
أَسْعَى لَدَى لَذَّاتِهَا رَغَدَا

فَدِمَشْقُ جَنَّاتٌ تَرِفُّ بِهَا
حُورٌ تَمِيسُ وَمَاؤُهَا بَرَدَا

طَابَتْ لِمَنْ يَسْعَى لِطَيِّبِهَا
وَقَسَتْ إِذَا مَا هَمُّهُ انْعَقَدَا

لَا مَاؤُهَا يُطْفِي لَنَا ظَمَأً
أَوْ حَبُّهَا يَجْرِي رِضىً وَنَدَى

يُذْكِي الحَنِينُ إِلَى الطُّلُولِ أَسىً
عَصَرَ الضُّلُوعَ وَمَزَّقَ الكَبِدَا

جُرْحَانِ : نَحْمِلُ مِنْ نَزِيفِهِمَا
أَلَماً يَجُذُّ الرُّوحَ وَالْجَسَدَا

جُرْحَانِ : يَعْتَصِرُ الأَسَى بِهِمَا
عُمْرَ الفَتَى وَالشَّيْخَ وَالوَلَدَا

جُرْحَانِ : جُرْحٌ غَارَ فِي جَسَدٍ
رَوَّتْ دِمَاهُ مَرَاقِدَ الشُّهَدَا

وَكَذَاكَ جُرْحٌ غَارَ فِي شَرَفٍ
وَيَدُ النُّزُوحِ تَدُورُ فِيهِ مُدَى

* * *

عَجَباً! أَيَغْدُرُ صَاحِبٌ بِأَخٍ
وَيَسُوقُهُ لِمَهَالِكٍ وَرَدَى

وَيَشُدُّهُ عَبْرَ الحُدُودِ أَخٌ
الصَّدْرُ رَحْبٌ وَاليَدَانِ نَدَى

وَتَسِيرُ قَافِلَةُ النُّزُوحِ رُؤىً
مَوْصُولَةً فَتَقَطَّعَتْ بَدَدَا

الطِّفْلُ وَدَّعَ مِنْ مَلَاعِبِهِ
ظِلًّا وَهَاجَ حَنَانُهُ وَبَدَا

يُلْقِي بِأَنْظَارٍ مُمَزَّقَةٍ
لَمْ يَدْرِ مَا أَبْقَى وَمَا فَقَدَا

تَحْنُو الأُمُومَةُ وَهْيَ ذَابِلَةٌ
شَدَّتْ لِثَدْيَيْهَا هَوىً وَدَدَا

يَتَلَمَّسُ المِسْكِينُ قَطْرَتَهَا
جُوعاً! فَتَعْصِرُ مِنْ أَسىً كَبِدَا

تَغْذُوهُ مِنْ أَمَلٍ يُخَالِطُهَا
وَهَوىً وَتُرْقُبُ فِي العُيُونِ غَدَا

الشَّيْخُ مَرَّ عَلَى مَدَامِعِهِ
بِيَدٍ وَأَفْلَتَ لِلْزَّمَانِ يَدَا

ثِقَلُ السِّنِينَ يَشُدُّ كَاهِلَهُ
وَهْناً، وَتَدْفَعُهُ المُنَى صُعُدَا

وَخُــطًى تَدِبُّ مَضَــتْ مُوَزَّعَــةً
لِتَشُــقَّ مِنْ أَحْــلَامِــهَــا جُدُدَا

يَطْوِي الــشَّــبَــابُ ضُلُوعَــهُــمْ أَسَــفَــاً
أَنْ لَمْ يَكُــونُــوا دُونَ ذاكَ فِدَا

أَلْــقَــىٰ الــسِّــلَاحَ وَفِي جَوَارِحِــهِ
أَمَــلٌ! سَأَرْجِــعُ لِلْجِــهَــادِ غَدَا

هٰذِي أُخُــوَّةُ أَحْمَــدٍ سَبَــقَــتْ
عَهْــداً لِتُــطْلِقَ دُونَــنَــا الْمَــدَدَا

مَا كُنْــتُ أَتْــرُكُ مِدْفَــعِــي وَدَمِــي
يَجْرِي وَزَغْــزَعَــةُ الجِــلَادِ نِدَا

وَالــرَّايَةُ الحَــمْــرَاءُ خَافِــقَــةٌ
نَصْراً تَضُــمُّ مَوَاكِــبَ الــشُّــهَــدَا

فَمَــضَــى! وَتَــلْتَــفُّ الــدِّمَــاءُ شَجًــى
وَتُــطِلُّ فِي الــصُّــبْــحِ الــبَــلِيلِ نَدَى

أَطْــيَافُ قَافِــلَةٍ مُمَزَّقَــةٍ
غَابَــتْ تَشُــقُّ مَسَــالِــكَــاً وَمَــدَى

الأُفْــقُ يَطْوي مِنْ مَعَـالِمِـهَـا
ذِكْــرَى وَيَرْجِـعُـهَـا إِلَـيكَ صَدَى

★ ★ ★

يَا خَيْمَــةً مَفْـجُـوعَـةً طُعِـنَـتْ
تَطْوي الأَنِـيـنَ وَتُــفْـرِدُ الــسَّـهَـدَا

نَزَّ الــنَّـجِـيعُ عَلى جَوَانِــبِـهَـا
وَالــنَّــصْـلُ غَارَ وَمَــزَّقَ الجَــسَـدَا

تَمضِي الــسِّـنُـونَ تَهُزُّ مِنْ طُنُــبِ
وَالــشَّــوْقُ هَاجَ وَزَعْــزَعَ الــوَتَــدَا

يَا أُمَّــةً طُعِـنَـتْ بِعِــزَّتِهَـا
فَهَــوَتْ تَلَمَّسُ فِي الــثَّـرَى سَنَــدَا

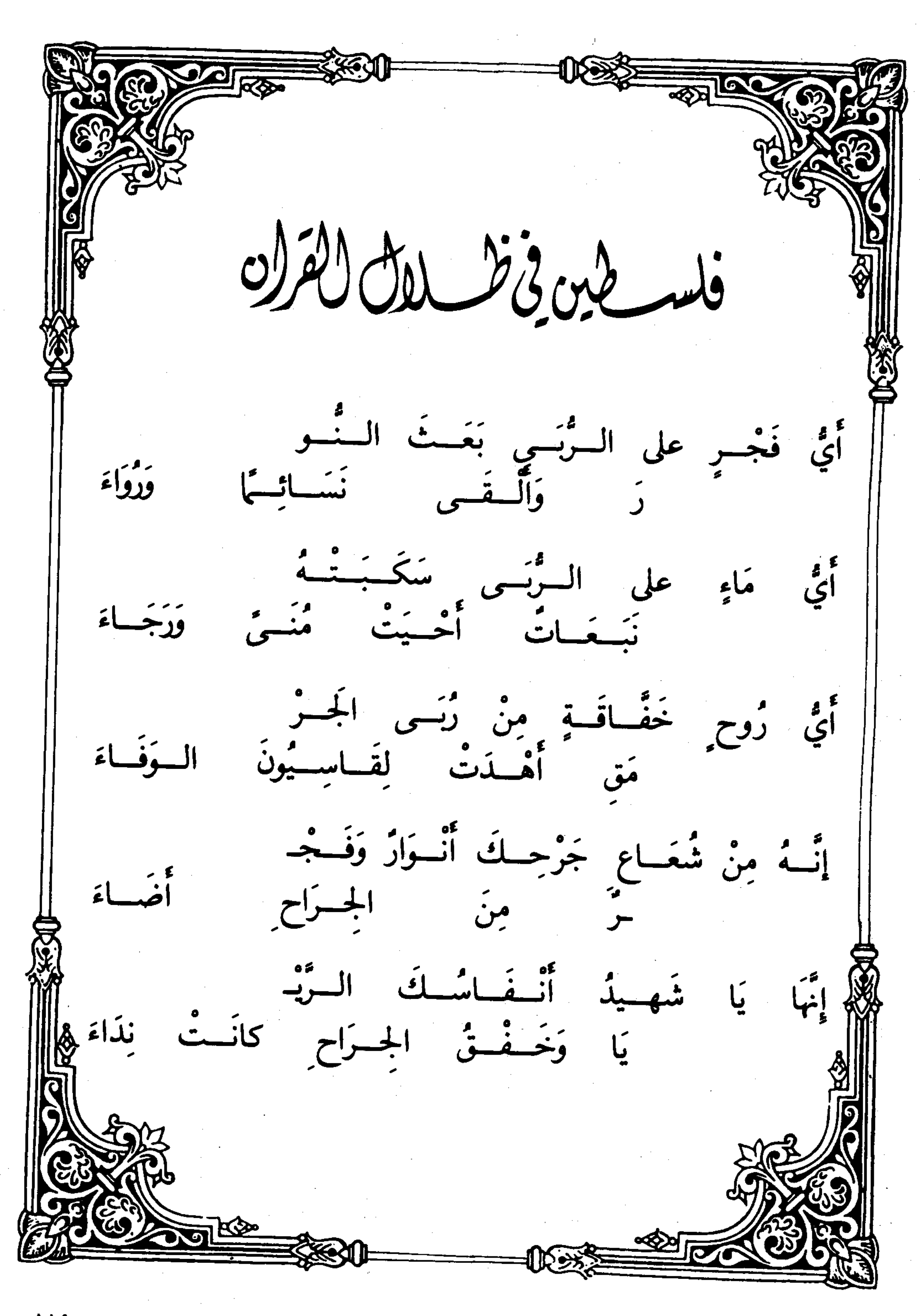
تَهْوي وَيَهْــوي مِنْ شَوَامِخِــهَـا
قُلَلٌ وَيَذْرُوهَــا الــنَّـوَى بَدَدَا

تَهْوي تَعَــفَّــرُ في مَذَلَّــتِـهَـا
وَالــرِّيحُ تُعْــوِلُ وَالــطُّلُولُ صَدَى

١٩٦٤

★ ★ ★





فلسطين في ظلال القران

أيُّ فَجْرٍ على الرُّبَى بَعَثَ النُّو
رَ وَأَلْقَى نَسَائِمًا ورُوَاءَ

أيُّ مَاءٍ على الرُّبَى سَكَبَتْهُ
نَبَعَاتٌ أَحْيَتْ مُنىً وَرَجَاءَ

أيُّ رُوحٍ خَفَّاقَةٍ مِنْ رُبَى الجُرْ
مَقِ أَهْدَتْ لِقَاسِيُونَ الوَفَاءَ

إنَّهُ مِنْ شُعَاعِ جَرْحِكَ أَنْوَارٌ وَفَجْـ
ـرٌ مِنَ الجِرَاحِ أَضَاءَ

إنَّهَا يَا شَهِيدُ أَنْفَاسُكَ الرَّيْـ
ـيَا وَخَفْقُ الجِرَاحِ كَانَتْ نِدَاءَ

مَا رَأَيْنَـا على مُحَيَّاكَ إلَّا
قَبَسَ المَـجْـدِ مُلْهِـمَاً وَضَّـاءَ

أَمَمَـاتٌ يُعْـطِي الحَـيَاةَ وَفَـقْـدٌ
مَنَـحَ الخُـلْدَ! ما أَجَـلَّ الـعَـطَاءَ

مَا تَقُـومُ الحَـيَاةُ إلَّا لِتَـتْـلُو
آيَةً أَوْ بُطُولَـةً شَمَّاءَ

كُلُّ مَا فِي الحَـيَاةِ يَقْـبِسُ مِنْ نُو
رِكَ نُوراً وَمِـنْ سَنَـاكَ سَنَـاءَ

هَكَـذَا تَمْنَـحُ الـعَـقِـيدَةُ مَنْ مَا
تَ : حَيَاةً وَجَـنَّـةً وَرِضَـاءَ

هَكَـذَا أُمَّـةٌ تُرِيدُ حَيَاةً
فِي ظِلَالِ الـقُـرْآنِ تُعْـلِي الـبِـنَـاءَ

★ ★ ★

كَمْ دَفَـعْـتَ الخُـطَى يُسَـابِـقُـهَـا الـعَـ
ـزْمُ وَتَمْضِي إِلَى الجِـهَـادِ مَضَـاءَ

لَفَّـكَ الـلَّيْلُ، وَالأَمَـانِيُّ تَحْدُو
كَ، وَآمَـالُـكَ الـكِـبَـارُ تَرَاءَى

وَعَلَى جَانِبَيْكَ إِخْوَانُكَ الغُرْ
رُ تَنَادَوْا لَهَا فَلَبَّوا نِدَاءَ

وَسِلاَحُ يَشُقُّ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْـ
ـلِ دُرُوباً مَمْدُودَةً حَمْرَاءَ

وَمَضَى...! وَالقُلُوبُ تَهْفُو لِلُقْيَا
كِ، فَلَسْطِينُ! مَا أَعَزَّ اللِّقَاءَ

هَلَكَ الشَّوْقُ نَفْسَهُ فَتَرَاهَا
فَجَّرَتْ شَوْقَهُ عَلَيْهَا دِمَاءَ

لَمْ يُطِقْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ لِقَاءٍ
دِينُنَا عَلَّمَ الرِّجَالَ الوَفَاءَ

فَانْحَنَى! ثَغْرُهُ يُقَبِّلُ تُرْباً
وَعَلَتْ رُوحُهُ تَضُمُّ السَّمَاءَ

* * *

يَا شَهِيداً تَضُمُّهُ مُهَجَاتٌ
وَحَنَانٌ يُلْقِي عَلَيْكَ الرِّدَاءَ

أَيُّ غُصْنٍ يُظِلُّ فَوْقَكَ مَيْمُو
نَاً وَيُرْخِي ظِلاَلَهُ إِرْخَاءَ

هَمَسَاتٌ لَهُ تُدِيرُ حِكَايَا
تٍ وَتُحْيي مِنْ ذِكْرِهِ إِحْيَاءَ

زَقْزَقَاتُ الطُّيُورِ تَنْقُلُ عَنْهُ
نَفَحَاتٍ تُلَقِّنُ الأَبْنَاءَ

رَفْرَفَاتُ النَّسِيمِ تَغْفُو على قَبْـ
ـرِكَ وَلْهَى وَتَنْشُرُ الأَنْدَاءَ

حَمَلَتْ مِنْ رُبَى فِلَسْطِينَ آما
لاً فَكَانَتْ مِنَ اللُّحُودِ نِدَاءَ

وَسَرَتْ في دُنَا العُرُوبَةِ تُحْيِيـ
ـهَا فَكَانَتْ عَوَاصِفاً هَوْجَاءَ

إِيه يَا قَبْرُ! كَمْ وَقَفْنَا عَلَيْهِ
أَعْيُنَاً وَدَّعَتْ بِكَ الرُّفَقَاءَ

غَيْرَ أَنِّي وَقَدْ ضَمَمْتَ شَهِيداً
لاَ أَرُدُّ الدِّمَاءَ فِيكَ بُكَاءَ

لَسْتُ مِنْ يَنْدُبُ الشَّهِيدَ وَلَكِنْ
هُوَ حَقٌّ أَنْ نَنْدُبَ الأَحْيَاءَ

★ ★ ★

يَا فِلَسْطِينُ وَالرُّبَى حَانِيَاتٌ
وَثَنَايَاكِ خَافِقَاتٌ رَجَاءَ

مُهَجٌ في ظِلاَلِ وَادِيكِ أَرْجَعْـ
ـتِ هَوَاهَا وَخَفْقَهَا أَصْدَاءَ

وَسُفُوحٌ يَلُفُّهَا الأَمَلُ الحُلْـ
ـوُ فتَمتَدُّ في الزَّمَانِ رِضَاءَ

كَمْ دَرَجْنَا على رُبُوعِكِ نَلْقَى
ظِلَّهَا أَوْ مُرُوجَهَا الخَضْرَاءَ

كَمْ زَرَعْنَا بِأَرْضِهَا غَرَسَاتٍ
وَسَقَيْنَاكِ بالدِّمَا كُرَمَاءَ

أَيْنَ «كَنْعَانُ» مُلْتَقَى الأُفُقِ الوَا
سِعِ وَالمَجْدُ في ذُرَاهُ أَفَاءَ

أَيْنَ يَا مَرْبَعَ الصِّبَا دَرَجَتْ فِيْـ
ـهِ طُفُولاَتُنَا عُلاً وَإِبَاءَ

وَنَشَرْنَا مِنَ الشَّبَابِ جَنَاحَيْـ
ـنِ عَلَيهِ فَرَفْرَفَا أَنْدَاءَ

وَنَــزَلْــنَــا على «الـطَّوَاحِــين»[١] نَجْــني
ثَمَــرَاتٍ وَنَــصْــعَــدُ «الحَــمْــرَاءَ»[٢]

صَفَــدُ مُهْــجَــةُ الحَــيَاةِ، عَرُوسٌ
تَتَــجَــلَّى جَوَاهِــراً وَسَــنَــاءَ

أَيْنَ مِنِّي ذُرَاكَ يَا جَبَــلَ الــكَــرْ
مِلِ قَامَــتْ تَسْتَــنْهِضُ الأَبْــنَــاءَ

وَظِــلاَلٌ مِنَ الــصَّــنَــوْبَــرِ أَلْــقَــتْ
فِي رُبَــاهُ غِلاَلَــةً سَمْــرَاءَ

أَيْنَ يَافَــا يَضُــمُّــهَــا شَاطِــئُ الــبَــحْــ
ــرِ حَنَــانَــاً وَرِقَّــةً وَغَــنَــاءَ

كُلَّمَا ضَمَّــهَــا الــدجــى وَهَــبَــتْــهُ
مِنْ حُلاَهَــا نُجُــومَــهُ الــزَّهْــرَاءَ

إِيه يَا قُدْسُ! مَهْــبِطَ الــوَحْــيِ ! هُبِّــي
نَفَــحَــاتٍ وَأَشْرِقِــي أَضْــوَاءَ

وَالــنُّــبُــوَّاتُ فِي رِحَــابِــكِ تَسْــعَــى
وَهِــيَ تَتْــلُــو آيَاتِهَــا الــعَــصْــمَاءَ

---

(١)، (٢) الطواحين والحمراء مكانان مشهوران بجمال المناظر الطبيعية، يرتادهما الناس للنزهة.

وَالنَّبِيُّ العَظِيمُ يَعْرُجُ مِنْهَا
قَبَساً يَمْلأُ الزَّمَانَ ضِيَاءَ

أَيْنَ يَا غَزَّةَ الجِهَادِ أَطِلِّي
أَيْنَ أَلْقَى الخَلِيلَ أَوْ عَكَّاءَ

★ ★ ★

لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهَا وَمُرُوجاً
نَضَبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَّاءَ

إِنَّمَا أَنْدُبُ العَقِيدَةَ تَذْوِي
فِي نُفُوسٍ تَعِيسَةٍ وَالإِبَاءَ

مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّا
قَدْ هَجَرْنَا العَقِيدَةَ السَّمْحَاءَ

لَفَظَتْنَا الدِّيَارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظاً
وَأَحَالَتْ كِرَامَنَا غُرَبَاءَ

قُلُلٌ، أَمْسِ! مَا عَهِدْنَاكِ إِلَّا
شَامِخَاتٍ تُعَانِقُ الجَوْزَاءَ

ما دَهَاهَا فَرَدَّتِ الطَّرفَ عَنَّا
وَتَوَارَتْ عَنِ العُيُونِ حَيَاءَ

وَبَنُوهَا تَقَاذَفَتْهُمْ بِطَاحٌ
وَرِيَاحٌ وَزَمْجَرَتْ أَنْوَاءَ

وَأَيَادٍ تَمُدُّهُمْ بِكِسَاءٍ
وَالوِكَالاَتُ أَلْقَمَتْهُمْ غِذَاءَ

خِيَمٌ مَا تَضُمُّ إِلاَّ بَقَايَا
تِكَ يَا شَعْبُ رُضَّعاً وَنِسَاءَ

وَشَبَاباً تَحَفَّزَتْ قَدَمَاهُ
لِوُثُوبٍ وَزَمْجَرَتْ كِبْرِيَاءَ

★ ★ ★

عَجَباً! كَيْفَ قُطِّعَتْ أُمَّةُ العُرْ
بِ وَكَانَتْ عَقِيدَةً وَإِخَاءَ

عَجَباً! كَيْفَ زُلْزِلَتْ أُسُسُ الدَّا
رِ وَهَبَّتْ رِيَاحُهَا هَوْجَاءَ

أَفْلَتَتْ حَبْلَهَا المَتِينَ وَأَرْخَتْ
مِنْ عُرَاهَا وَبَدَّلَتْ أَهْوَاءَ

وَتَدَنَّتْ لِتَعْرِقَ العَظْمَ مِنْ كَفْـ
ـفِ غَرِيبٍ يُلْقِي بِهِ إِلْقَاءَ

وَمَضَتْ تَطْلُبُ الحَيَاةَ بِجِيفَا
تٍ وَنَتْنٍ ذَلِيلَةً بَلْهَاءَ

ذَلَّ مَنْ يَطْلُبُ الحَيَاةَ مِنَ الخَصْـ
ـمِ وَيَرْضَى مِنْ كَفِّهِ إِعْطَاءَ

فِئَةٌ مِنْ بَنِي العُرُوبَةِ ضَلَّتْ
وَتَمَادَوْا بِغَيِّهِمْ جُبَنَاءَ

وَفِلَسْطِينُ لَمْ تَعُدْ غَيْرَ لَفْظٍ
لَمْ تُجَاوِزْ شِفَاهَهَا الخَرْسَاءَ

أَوْ شِعَارٍ يَسُوقُهُ مَهْرَجَانٌ
أَوْ أَغَانٍ تَهُزُّهَا خُيَلَاءَ

★ ★ ★

أُمَّتِي! هَبَّتِ السَّوَافِي غِضَابَاً
وَجُنُونَاً مُرَوِّعَاً وَفَنَاءَ

حَمَلَتْ فِي عَجَاجِهَا الدَّارَ وَالأَهْـ
ـلَ وَأَيْكَاً وَالغَرْسَةَ الخَضْرَاءَ

وَالشَّبَابَ النَّدِيَّ وَالأَمَلَ الحُلْـ
ـوَ وَخَلَّتْ وَرَاءَهَا الأَصْدَاءَ

وَالخَـرِيفَ الـكَئِيبَ وَالـوَرَقَ الـيَا
بِسَ وَالـدَّوْحَ خَلَّفَـتْـهُ هَبَـاءَ

★ ★ ★

أُمَّـتِي عَوْدَةً إلَى اللهِ تُحْيِي
مَيِّتَ الأَرْضِ وَالـنُّـفُـوسَ الخَـوَاءَ

أُمَّـتِي! عَوْدَةً تَرُدُّ إلَى الـنَّـفْـ
ـسِ ضِيَاءً يُمَـزِّقُ الـظَّلْمَاءَ

أُمَّـتِي! عَوْدَةً تَرُدُّ إلَى الأَيْـ
ـكِ رُوَاهُ وَلِـلـغُـصُـونِ الْمَـاءَ

تَرْجِـعُ الـبُـلْـبُـلَ الـصَّـدُوحَ يُغَـنِّي
مُطْمَئِـنَّـاً وَالـدَّوْحَـةَ الـغَـنَّـاءَ

عَوْدَةً تَرْجِـعُ الجِـهَـادَ وَتُـعْـلِي
رَايَةَ الحَـقِّ وَالـيَقِـينَ عَلاَءَ

★ ★ ★

يَا فِلَسْـطِينُ هَذِهِ سُبُـلُ الـنَّـصْـ
ـرِ فَهُـبِّـي وَرَدِّدِيهَـا نِدَاءَ

يَا فِلَسْـطِينُ! أَقْـبِـلِي! عَانِـقِـي رَا
يَةَ نَصْرٍ وَهَـلِّلِي كِبْرِيَاءَ

عَانِقِي رَايَةً وَضُمِّي حَنَانَاً
مُهَجاً فَجَّرَتْ عَلَيْكِ الدِّمَاءَ

عُصْبَةُ الحَقِّ مَا تَزَالُ تُدَوِّي
وَتَمُدُّ الكَتِيبَةَ الخَضْرَاءَ

★ ★ ★

يَا فَلَسْطِينُ! كَمْ ضَمَمْتِ شَهِيداً
وَرُبَى الشَّامِ فَوَّحَتْ أَشْذَاءَ

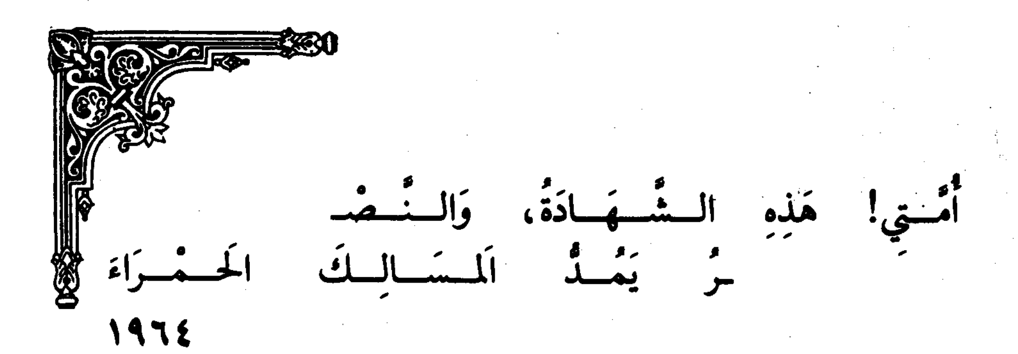
فَعَلَى كُلِّ رَبْوَةٍ زَهَرَاتٌ
كَمْ حَسِبْنَاكَ قَبْلَ ذَا أَشْلاَءَ

هَكَذَا! أُمَّةٌ تُرِيدُ حَيَاةً
فَهْيَ يَرْثِي شَهِيدُهَا الشُّهَدَاءَ

حَمَلَتْ فِي فُؤَادِهَا آيَةَ اللّـ
ـهِ يَقِينَاً وَفِي اليَدَيْنِ مَضَاءَ

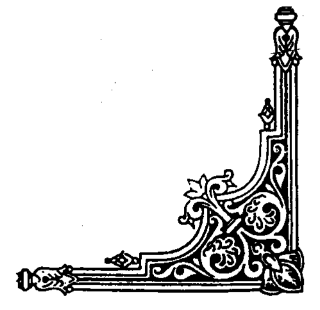
وَمَضَتْ تَدْفَعُ الكَتَائِبَ لِلْمَجْـ
ـدِ وَتُعْلِي رَايَاتِهَا إِعْلاَءَ

فِي ظِلاَلِ القُرْآنِ يَهْدُرُ زَحْفٌ
مَلأَ الأَرْضَ وَاسْتَظَلَّ السَّمَاءَ



أُمَّـتِي! هَذِهِ الـشَّـهَـادَةُ، وَالـنَّـصْـ
ـرُ يَمُـدُّ المَـسَـالِـكَ الحَـمْـرَاءَ

١٩٦٤



رجل فلسطين، مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين الحسيني توفي في ٥ تموز سنة ١٩٧٤ في بيروت. علم من أعلام العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة.

دمعة على رجل

هَلْ غَبَّرَ الأُفْقَ فُرْسَانٌ وَرُكْبَانُ
أَمْ رَوَّعَتْهُ مِنَ الأَنْبَاءِ أَشْجَانُ

أَمْ حَيَّرَ الدَّمْعَ في العَيْنَيْنِ نَازِلَةٌ
فَاغْرَوْرَقَتْ مِنْهُ أَهْدَابٌ وَأَجْفَانُ

الدَّارُ، وَالأَهْلُ كَمْ فَاضَتْ مَحَاجِرُهُمْ
مِنَ الأَسَى وَبَكَى في الحَيِّ خِلَّانُ

وَالأُفْقُ وَالرَّوْضُ وَالسَّاحَاتُ وَاجِفَةٌ
وَالطَّيْرُ لَوَّتْ عَلَى جُنْحَيْهِ أَحْزَانُ

وَغَصَّةُ المَسْجِدِ الأَقْصَى وَصَخْرَتُهُ
وَعَبْرَةٌ نَزَفَتْهَا دُونَهُ البَانُ

وَالـظِّلُّ مِنْ شَجَـرِ الـزَّيْتُـونِ مُنْـحَسِرٌ
وَالـغُـصْـنُ وَاهٍ كسِـيفُ الـبَـالِ حَيْرَانُ

أَيْنَ اخْضِرارُكَ يَا زَيْتُـونُ وَارِفَـةً
أَغْـصَـانُـهُ وَيَحُـوطُ الـسَّـاحَ أَلْـوَانُ

يَحْنُـو على ذِكْـرَيَاتٍ في مَرَابِـعَـه
مِنَ الـدَّمِ الحُـرِّ : أَشْـوَاقٌ وَتَحْـنَـانُ

ثَوى هُنَـالِـكَ أَبْـطَالٌ غَطارِفَـةٌ
وَرَجَّـعَ الـذِّكْـرَ وُدْيَانٌ وَشُـطْآنُ

هَذِي فِلسْـطِينُ كَمْ حَنَّـتْ مَرَابِـعُـهَـا
إلى ابْـنِهَـا الـبَرِّ يُذْكـي الـشَّـوْقَ حِرْمَـانُ

كَمْ هَاجَـهَـا الـشَّـوْقُ لِلُّقْـيَا تُرجِّـعُـهُ
على الـرُّبَـى زَقْـزَقَـاتُ الـطَّيْرِ وَالـبَـانُ

كَمْ زَيَّنَـتْ مِنْ رَوَابِـيهَـا مُعْـطَرَةً
وَفَـوَّحَـتْ بَحَـنَـانِ الـشَّـوْقِ وُدْيَانُ

حَتَّـى أَتَـى الـنَّـعْـيُ! مَا أَخْـلَفْتَ مَوْعِـدَهَـا
وَلاَ تَدَنَّـى لَهُ جُـهْـدٌ وَإِيمَانُ

نَزَلْــتَ في الــقَــبْرِ جُثْـمَانــاً وَقُــمْـتَ لَهَا
رُوُحَــا، فَخَــفَّ لَهُ رَوْضٌ وَبُــسْــتَــانُ

وَخَــفَّــتِ الحُــورُ أَتْــرَابَــاً تَزفُّ لَهُ
بُشْرَى وَيَخْــفِــقُ في جَنْــبَــيْهِ رِضْــوَانُ

لُقْــيَا. . . ! وَمَــا تَشْــتَــهِــي نَفْس أَعَــزَّ وَلاَ
أَحْــلَى وَقَــدْ حَفَّــهَــا رَوْحٌ وَرَيْحَــانُ

أَرْخَــى جِهَــادُكَ أَفْــيَاءً لَهَا وَمَــضَــتْ
يَهُزُّهَــا بِالْــنَّــدَى صَبْرٌ وَإِيمَانُ

وَحَــوْلَــكَ الــشُّــهَــدَاءُ الــصَّــادِقُــونَ على
وُجُــوهِــهِــمْ فَرَحَــاتُ الــبِشْرِ إِخْــوَانُ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَــا الجَــســدُ الــثَّــاوِي على شَرَفٍ
أَكْــبَــادُنَــا لِشَــهِــيدِ الحَــقِّ أَكْــفَــانُ

تُرْخِــي عَلَيْكَ حَنَــانــاً مِنْ جَوارِحِــنَــا
ظِلًّا وَتَــسْــكُــبُ قَطْرَ الــغَــيْثِ أَجْــفَــانُ

يَجْرِي الــنَّــسِــيمُ عَلَيْهِ مِنْ صَبَــابَــتِــهِ
طِيبَــاً وَيَنْشُرُ مِنْــهُ الــطِّيبَ عِرْفَــانُ

يَظَلُّ قَبْرُكَ يَرْوي كُلَّما وَقَفَتْ
أَمَامَهُ خاشِعَاتِ الطَّرْفِ أَزْمَانُ

يَرْوي صَحَائِفَ أَمْجَادٍ مُعَطَّرَةٍ
لَهَا مِنَ الخُلُقِ المَيْمُونِ عُنْوَانُ

★ ★ ★

سِتُّونَ عَاماً وَمَا لاَنَتْ شَكِيمَتُهُ
وَلاَ اسْتَكَانَ، وَهَذَا العُودُ رَيَّانُ

عَطَاؤهُ مِنْ ثَنَايَا القَلْبِ يُفْرِغُهُ
وَجُودُهُ الصِّدْقُ إِيفَاءٌ وَإِحْسَانُ

أَوْقَدْتَ مَعْرَكَةً لِلْحَقِّ صَابِرَةً
تَقُودُهَا، وَيُنِيرُ الدَّرْبَ قُرْآنُ

دَوَّى الأَذَانُ مِنَ الأَقْصى وَرَدَّدَهُ
مِنَ الكَتَائِبِ عُبَّادٌ وَفُرْسَانُ

وَأَقْبَلَتْ مِنْ جِبَالِ النَّارِ زَاخِرَةً
كَتَائِبٌ وَرَصَاصُ المَوْتِ أَلْحَانُ

وَالشَّاطِئُ الأَزْرَقُ الغَافِي اسْتَحَالَ إلى
مَوْجٍ، كَأَنَّ عَظِيمَ المَوْجِ بُنْيَانُ

كَأَنَّمَا اللَّيْلُ أَلْقَى فَوْقَهُ قِطَعاً
أَوِ احْتَوَى جَوْفَهُ نَارٌ وَبُرْكَانُ

رُبَى الجَلِيلِ أَضَاءَتْ مِنْ مَشَارِفِهَا
دَرْبَ الجِهَادِ وَشَقَّ الدَّرْبَ فِتْيَانُ

وَغَـزَّة! أَطْلَقَتْ أُنْشُودَةً وَمَضَتْ
يَهُزُّ شُطْآنَهَا صِيدٌ وَمُرَّانُ

كَمْ أَطْلَقَ البَطَلُ القَسَّامُ غَضْبَتَهُ
وَزَمْجَرَتْ دُونَهُ بِيدٌ وَكُثْبَانُ

رَدَّ الحُسَيْنِيُّ وَجْهَ الكُفْرِ مُنْدَحِراً
يَجُرُّهُمْ مِنْ نَوَاصِي الذُّلِّ خُسْرَانُ

وَضَمَّخَ الأَرْضَ مِنْ عِطْرِ الدِّمَا أَرَجٌ
وَزَيَّنَ الأَرْضَ يَاقُوتٌ وَعِقْيانُ

وَأَقْبَلَ النَّصْرُ خَفَّاقاً على أَمَلٍ
يَحُوطُهُ مِنْ بَدِيعَ الدُّرِّ تِيجَانُ

حَتَّى أَتَتْ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ دَاهِيَةٌ
وَأَطْبَقَتْ مِنْ دِيَارِ الغَرْبِ غِرْبَانُ

وَاسْـتَـنْـفَـرَتْ مِنْ عَوَادِي الشَّرِّ عُصْـبَـتَـهَـا
بَنُـو الـيَهُـودِ وَقَـادَ الأَمْـرَ طُغْـيَانُ

وَزَيَّفَ الحَـقَّ عَنْ إِشْرَاقِـه دُوَلٌ
وَشَـوَّهَـتْـهُ أَكَـاذِيبٌ وَبُهْـتَـانُ

وَهَـانَ حَوْلَـكَ مَنْ تَرْجُـو مَعُـونَـتَـهُ
وَغَـابَ فِي ظُلْمَـةِ الأَرْزَاءِ جِيَرانُ

وَقُـمْـتَ وَحْـدَكَ تَدْعُـو، لَا تَلِينُ وَلَا
يَرُدُّكَ الـيَأْسُ أَوْ يَثْـنِـيكَ خِذْلَانُ

وَأَقْـوَتِ الـدَّارُ لَا أَهْـلٌ بِسَـاحَـتِـهَـا
وَلَا أَطَـلَّتْ عَلَى وَادِيكِ أَفْـنَـانُ

تَجَرَّدَتْ مِنْ بَنِـيهَـا فَهْـيَ خَاوِيَةٌ
كَمَا تَجَرَّدَ دُونَ الأَيْكِ أَغْـصَـانُ

مُصِـيبَـةٌ لَا يُحِيطُ الـقَـلْبُ صُورَتَهَـا
وَقَصَّرَتْ عَنْ مَدَى الأَرْزَاءِ أَذْهَـانُ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَـا الجَـسَـدُ الـثَّـاوِي وَقَـدْ سَكَـنَـتْ
مِنْـكَ الجَـوَارِحُ : هَلْ وَعْظٌ وَتِـبْـيَانُ

فَنُورُ وَجْهِكَ آيَاتٌ مُعَبِّرَةٌ
كَأَنَّهُ مِنْ بَهَاءِ النُّورِ يَقْظَانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ مِنْكَ الثَّغْرُ حِكْمَتَهُ
كَمَا تَعَوَّدَهَا شِيبٌ وَشُبَّانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ وَالخِلَّانُ خَاشِعَةٌ
فَهَلْ وَعَتْ مِنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ آذَانُ

نَصَحْتَ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَشْتَرُوا عَرَضاً
وَقَدْ شَرَى مِنْهُمُ الأَرْوَاحَ رَحْمَانُ

لَا يَرْتَضِي الوَطَنُ الغَالِي مُسَاوَمَةً
وَلَا تَقُومُ عَلَى التَّقْسِيمِ أَوْطَانُ

مَنْ يَقْسِمِ القَلْبَ تَجْرِي مِنْهُ أَوْرِدَةٌ
وَيَحْمِلُ الدَّمَ فِي الأَوْصَالِ شِرْيَانُ

* * *

وَاهاً فِلَسْطِينُ! تَدْمِيكِ الجِرَاحُ أَسًى
وَيَدْفَعُ الدَّمْعَ فِي العَيْنَيْنِ هِجْرَانُ

تَنَاوَشَتْهَا ذِئَابُ الحَيِّ عَاوِيَةً
وَأَطْبَقَتْ فَوْقَهَا رُخْمٌ وَعُقْبَانُ

رُبَى الخليل تُنَادِي وَهِيَ نَازِفَةٌ
وَالمِنْبَرُ الحُرُّ قَدْ نَاشَتْهُ نِيرانُ

وَصَعَّدَ الكَرْمِلُ المَحْزُونُ صَرْخَتَهُ
وَرَدَّدَ الصَّرَخَاتِ الحُمْرَ «كَنْعَانُ»

نَادَتْ، وَقَدْ رَدَّدَ الأَصْدَاءَ أَوْدِيَةٌ،
أَبَا صَلَاحٍ! طَغَى زَيْفٌ وَعُدْوَانُ

تَكَادُ تَنْهَضُ كَي تَمضِي لِمَعْرَكَةٍ
وَيَحْتَوِيكَ مِنَ السَّاحَاتِ مَيْدَانُ

مَا كُنْتَ تَتْرُكُ مَيْدَانَ القَنَا وَهَنَاً
لَكِنَّهُ قَدَرٌ يُمضِيهِ رَحْمَانُ

لَا يَسْتَعِيدُ حِمَى الأَوْطَانِ غَيْرُ هُدَىً
مِنَ الكِتَابِ وَعُبَّادٍ لَهُ دَانُوا

تَشَوَّقَتْ لِجِنَانِ الخُلْدِ أَنْفُسُهُمْ
فَأَرْعَدَتْ فِي البِطَاحِ الحُمْرِ فُرْسَانُ

١٩٧٤

خرج هذا اللاجىء من فلسطين سنة ١٩٤٨ وأخذ يتلمس المعاني التي غناها في طفولته وفي صباه وهو يتنقل في العالم العربي .

ومن بين الخيام والدماء أخذ ينظر للمستقبل ولطريق العودة . . .

عودة لاجىء

سَأَلَتْ مَنْ تُرَاهُ ذَاكَ الغَرِيبُ
مَنْ هُوَ الشَّاعِرُ الحَزِينُ الكَئِيبُ

وَمَنِ البُلْبُلُ الصَّدُوحُ الَّذِي قَصْـ
ـصَ جَنَاحَيْهِ صَاحِبٌ وَقَرِيبُ

يَنْقُلُ الخَطْوَ، يَبْعَثُ النَّغَمَ البَا
كِي، وَيَشْكُو جِرَاحَهُ وَيَنُوبُ

حَمَلَ الزَّهْرُ مِنْ مَدَامِعِهِ القَطْـ
ـرَ، وَمِنْ جُرْحِهِ خِضَابٌ وَطِيبُ

* * *

أَنَـا يَا أُخْـتُ ضَائِـعٌ لَسْـتُ أَدْرِي
أَيْنَ قَوْمِـي وَأَيَّ أَرْضٍ أَجُـوبُ

فِي ضُلُوعِـي أَسَـىً! وَفِي الـعَـيْنِ دَمْـعٌ
يَتَـنَـزَّى وَفِي الـفُـؤادِ نُدُوبُ

وَعَـلى الـوَجْـهِ بَسْـمَـةٌ ظَلَّلَتْـهَـا
غَبْرَةُ المَـوْتِ وَاعْـتَرَاهَـا شُحُـوبُ

وَدَبِـيبُ الأَيَّامِ يَنْـزِعُ مِنِّي
نَفَـسَـاً خَافِـقَـاً وَرُوحَـاً يَغِـيبُ

حَيْثُـمَا مِلْتُ أَدْبَـرُوا وَأَشَـارُوا
بِيَدٍ وَانْـطَوَوا وَقَـالُـوا غَرِيبُ

لاَجِـىءٌ! أَطْـعِـمُـوهُ كِسْرَةَ خُبْـزٍ
وَدَعُـوهُ إِذَا بَدَا مَا يَرِيبُ

وَضَـعُـوهُ فِي خَيْمَـةٍ كُلَّمَا حَنْـ
ـنَ إِلى الـدَّارِ طَرْفُـهُ وَالـوَجِـيبُ

وَاتْـرُكُـوهُ إِلى الـوَكَـالَـةِ يَغْـذُو
شَفَـتَـيْهِ لِبَـانُهَا وَالحَـلِيبُ

كُلَّما أَقْبَلَتْ ضُلُوعِيَ بِالحُبْـ
ـبِ أَشَاحَتْ وجُوهُهُمْ وَالقُلوبُ

أَنَا يَا أُخْتُ غيْرُ مَا كُنْتُ بِالأَمْـ
ـسِ فَلِلأَمْسِ مِنْ صِبَانَا نَصِيبُ

وَأَمَانٍ على جَنَاحَيْ شَبابِي
وَظِلالُ الصِّبا وَعُودٌ رَطِيبُ

ظَلَّلَتْنِي مَرَابِعٌ وَسَقَتْنِي
حَانِيَاتٌ مِنَ السُّفُوحِ تَطِيبُ

سَكَبَتْ فِي دَمِي العَقِيدَةَ وَالدِّيـ
ـنَ فَطَابَ الهوى وَطَابَ النَّسِيبُ

طَلْعَةُ النُّورِ عَلَّمَتْنِي مَعَانِيْـ
ـهِ وَحَقْلٌ وَمَشْرِقٌ وَغُرُوبُ

خُضْرَةُ الوَادِ، أَمْ جَدَاوِلُهُ الزُّرْ
قُ، أَمِ الزَّهْرُ مُورِقٌ وَسَلِيبُ

حَيْثُمَا مِلْتُ طَالَعَتْنِيَ آيَا
تٌ فَآبَتْ بَصَائِرٌ وَقُلُوبُ

★ ★ ★

كانَ في غَفْـوَةِ الـطُّفُـولَـةِ لي دا
رٌ وَسَـفْـحٌ وَكَـرْمَـةٌ وَقَـرِيبُ

كانَ لي زَهْـرَةٌ يَفُـوحُ شَذاهَـا
وَبِـسَـاطٌ مُنَـمَّـقٌ وَعَـشِـيبُ

كانَ لي بُلْبُـلٌ يُغَـنِّي على الـغُـصْـ
ـنِ وَيَنْـأى عَنْ عُشِّـهِ وَيَؤُوبُ

كَمْ حَلا شَدْوُهُ فَغَـنَّـتْ دِمَـشْـقٌ
وَسَـعَـتْ مِصْرُ كُلَّما فَاحَ طِيبُ

كَمْ زَكـا رَوْضُـهَـا فَأَقْـبَـلَ مِنْ دِجْـ
ـلَةَ شَادٍ وَسَـامِـرٌ وَنَـجِـيبُ

وَحَـنَـا ظِلُّهَـا فَمَالَـتْ إِلَـيْهِ
وَاسْـتَـحَـنَّـتْ مِنَ الهَـوَاجِـرِ نِيبُ

وَسَـعَـى مَرْجٌ عَامِـرٌ يَتَـثَـنَّـى
ضَمَّـهُ شَاهِـقٌ وَوَادٍ خَصِـيبُ

جَمَعَـتْـهُـمْ رِحَـابُ أَحْـمَـدَ في الأَقْـ
ـصَـى فَخَـفَّـتْ رِجَـالُهُـمْ وَالـرُّكُـوبُ

★ ★ ★

كُنْتُ في غفْوَةٍ فلَمَّا صَحَا الجَفْـ
ـنُ بَكَى! أيْنَ مَلْعَبي وَالدُّرُوبُ

أيْنَ رَوْضِي وَأيْنَ وَادٍ ظَلِيلٌ
ضَمَّنَا! أيْنَ ماؤُهُ المَسْكُوبُ

لَمْ أجِدْ غيْرَ خَيْمَةٍ في ثَنَايَا
هَا رَضِيعٌ وَنِسْوَةٌ وَالشِّيبُ

وَشَبَابٌ! بَقِيَّةٌ مِنْ شَبَابٍ
يَتَلَوَّى وَجُرْحُهُ المَخْضُوبُ

نَزَّ مِنْهَا النَّجِيعُ طِيبًا كما نَزْ
زَ مِنَ الوَرْدِ عِطْرُهُ المَحْبُوبُ

خِيَمٌ تَنْبُتُ الأمَانيُّ فِيهَا
وَيَضُمُّ الوَلِيدَ صَدْرٌ حَدُوبُ

★ ★ ★

كُنْتُ في غفْوَةٍ فلَمَّا صَحَا القَلْـ
ـبُ دَعَا! أيْنَ مُصْرِخٌ أوْ مُجِيبُ

أيْنَ قَوْمِي! وَضَاعَ صَوْتِي كأنْ لَمْ
يَكُ في الدَّارِ صَاحِبٌ أوْ عَرِيبُ[1]

---

(١) أي ليس فيها أحد

شَغَـلَتْـهُـمْ لَعَـاعَـةٌ وَرَمَـاهُـمْ
شَرَرٌ وَاسْـتَـحَـرَّ فِيهِـمْ لهِيبُ

بَدَّلُـوا مِنْ هَواهُـمُ فَاسْـتَـدَارَتْ
بَيْنَ أَحْـنَـائِـهِـمْ قَنَـاً وَكُـعُـوبُ

أَسْـلَمَـتْـهُـمْ إِلَى الـضَّـلاَلَـةِ أَوْثَـا
نٌ فَهَاجَـتْ نَوَائِـبٌ وَكُـرُوبُ

نَحَـرُوا دُونَهَا «الأَمَـانَـةَ» قُرْبَـاً
نَاً فَسَـالَـتْ أَنْـصَـابُهَـا وَالـدُّرُوبُ

* * *

وَتَـلَفَّـتُّ... أين غابـت أَنَـاشِيـ
ـدُ صِبَـانَـا ولحنُهـا الَمـشْـبُـوبُ

أين أُنْـشُـودَةٌ عَنِ الـعُـرْبِ هَزَّتْ
مِنْ رُبَـانَـا وَهَـزَّنَـا الـتَّـشْـبِـيبُ

وَتَـلاَشَـتْ... وغَـابَ مِنْهَـا صَدَاهَـا
وَطَـوَاهَـا مِنَ الـطُّلُولِ جَدِيبُ

لَمْ أَجِـدْ غَيْرَ خَيْمَـةٍ تَتَـلَوَّى
مَزَّقَـتْـهَـا الـرِّيَاحُ وَالـشُّـؤْبُـوبُ

* * *

وَتَــطَلَّعْــتُ وَالخِيَامُ حَيَارَى
وَالجِــرَاحَــاتُ حَوْلَهَــا وَالــنُّــدُوبُ

فَإِذَا بِالــنِّــدَاءِ صَلْصَــلَةُ الحَــقْـ
ـقِ وَأُنْــشُــودَةٌ وَلَحْــنٌ حَبِــيبُ

مِنْ رُبَــى مَكَّــةٍ يُرَجِّــعُــهُ الأُفْـ
ـقُ فَتَــبْــتَــلُّ مِنْ نَدَاهُ الــقُــلُوبُ

رَفَــعَــتْــهُ مَآذِنٌ وَأَطَــلَّتْ
بِهُدَاهُ مَشَــارِفٌ وَسُــهُــوبُ

وَتَــعَــالَــتْ الــلَّهُ أَكْــبَرُ يَأْوِي
لِحِمَاهَــا مُضَــيَّعٌ وَسَرُوبُ

وَحَــنَــا ظِلُّهَــا عَلَيْنَــا فَآوَا
نَا وَأَرْخَــى مِنَ الشَّــذَا مَا يَطِيبُ

يَقْــرَعُ الــقَــلْبُ كُلَّمَا مَالَ بِالــقَــلْـ
ـبِ هَوَاهُ وَأَغْــلَقَــتْــهُ الــذُّنُــوبُ

دَعْــوَةٌ لَمْ تَزَلْ تُقَــارِعُ وَالأَيْـ
ـيَامُ فِي الــنَّــاسِ دُوْلَــةٌ وَنَــصِــيبُ

سُنَّــةُ الــلَّهِ غيْرَ أنَّ لجُنْــدِ الــلَّـ
ـهِ وَعْــدَاً مُصَــدَّقَــاً لَا يَريبُ

مَعْــرَكٌ تَرْفُــدُ المَــلَائِــكُ فِيهِ
خَاطِــرَاتٍ طِعَــانُهَا لَا يَخِيبُ

مِنْ ذُرَى الــصِّيــنِ صَيْحَــةٌ وَمِــنَ الهِـنْـ
ـدِ نِدَاءٌ مَعَ الــدِّمَــاءِ مَشُــوبُ

وَمِــنَ الــنِّيــلِ أَنَّــةٌ وَمِــنَ الــشَّــا
مِ جِرَاحٌ وَغَــصَّــةٌ وَكُــرُوبُ

وَمِــنَ المَــغْــرِبِ المُــنَــوَّرِ بالــزَّهْـ
ـرِ رَوَابٍ مَصْــبُــوغَــةٌ وَكَــثِــيبُ

سَاحَــةُ الحَــقِّ! كُلُّ حَبَّــةِ رَمْــلٍ
مِنْ دِمَــانَــا مِسْــكٌ يَفُــوحُ وَطِــيبُ

هَذِهِ يَا أُخَــيَّةُ الــيَوْمَ دَاري
دَارَ فِيهَــا الــقَــنَــا وَجُــنَّ الــقَــضِــيبُ

جَمَعَــتْــنَــا عَقِــيدَةٌ يَرْجِــعُ الــدَّهْـ
ـرُ صَدَاهَــا وَجَمَّــعَــتْــنَــا خُطُوبُ

هَذِهِ دَارُنَا نَفِيءُ إِلَيْهَا
وَفِلَسْطِينُ رَوْضُهَا وَالشَّبُوبُ

جَمَعَتْ في رِحَابِهَا قَبَسَ الوَحْـ
ـي فَشَعَّتْ نُجودُهَا وَالشُّهوبُ

فَمِنَ الصِّدْقِ أَنْ نُغَنِّي هَوَاهَا
وَمِنَ الحَقِّ أَنْ تَرِفَّ القُلُوبُ

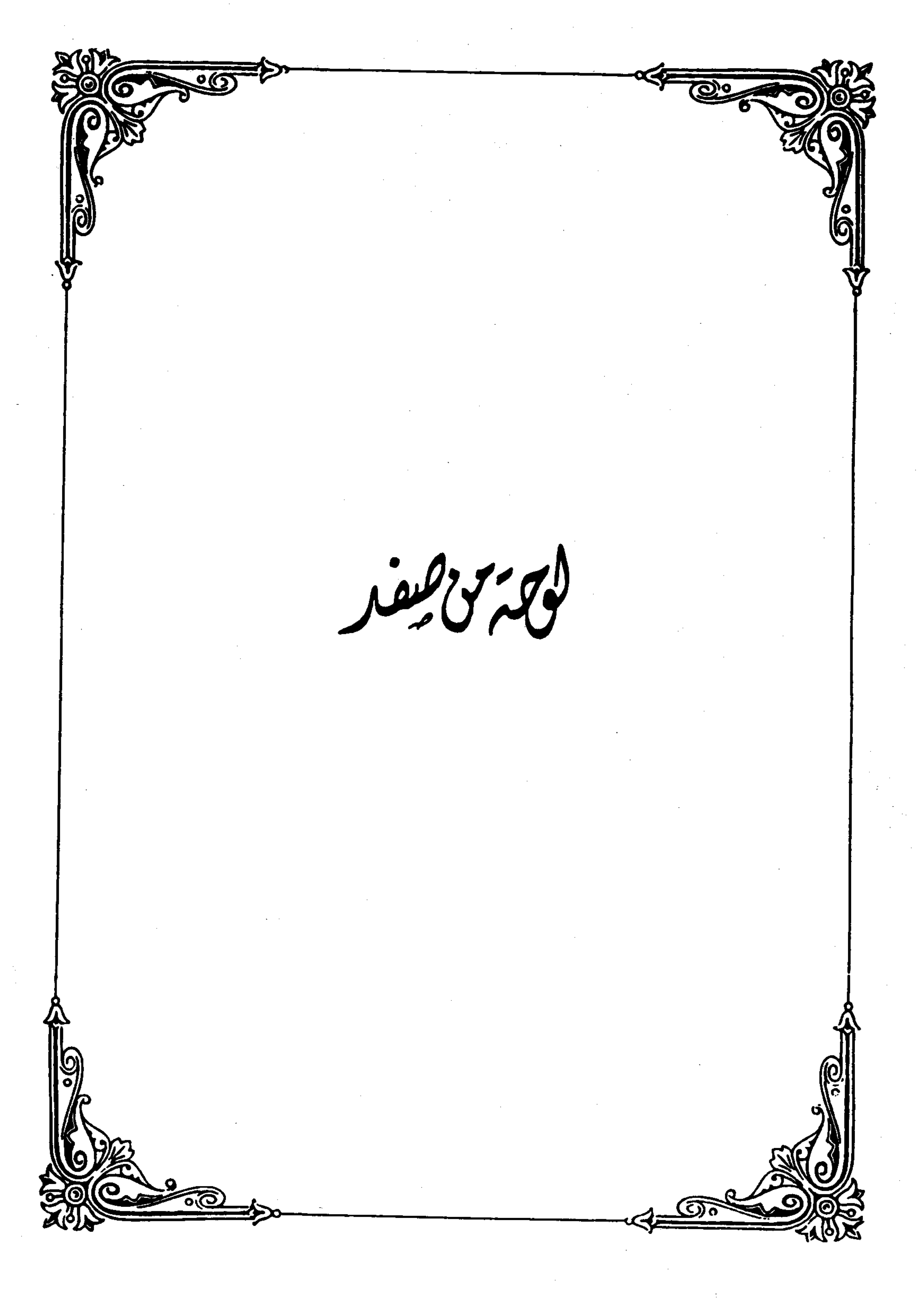
وَجُنُودُ الرَّحْمَٰنِ يُبْرِقُ مِنْهَا
خَاطِفٌ مُلْهِبٌ وَنَصْرٌ قَرِيبُ

١٩٧٤

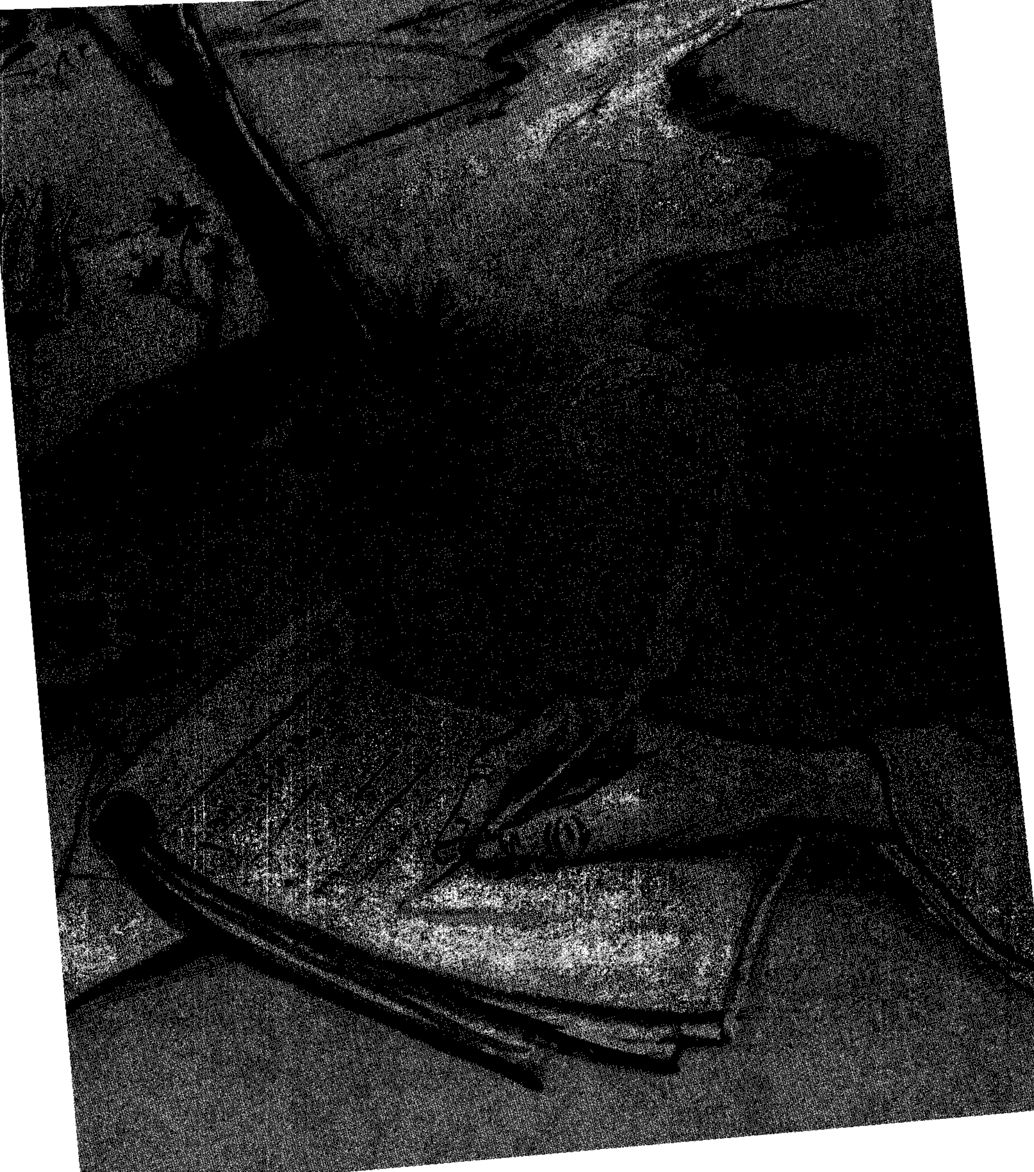
★ ★ ★

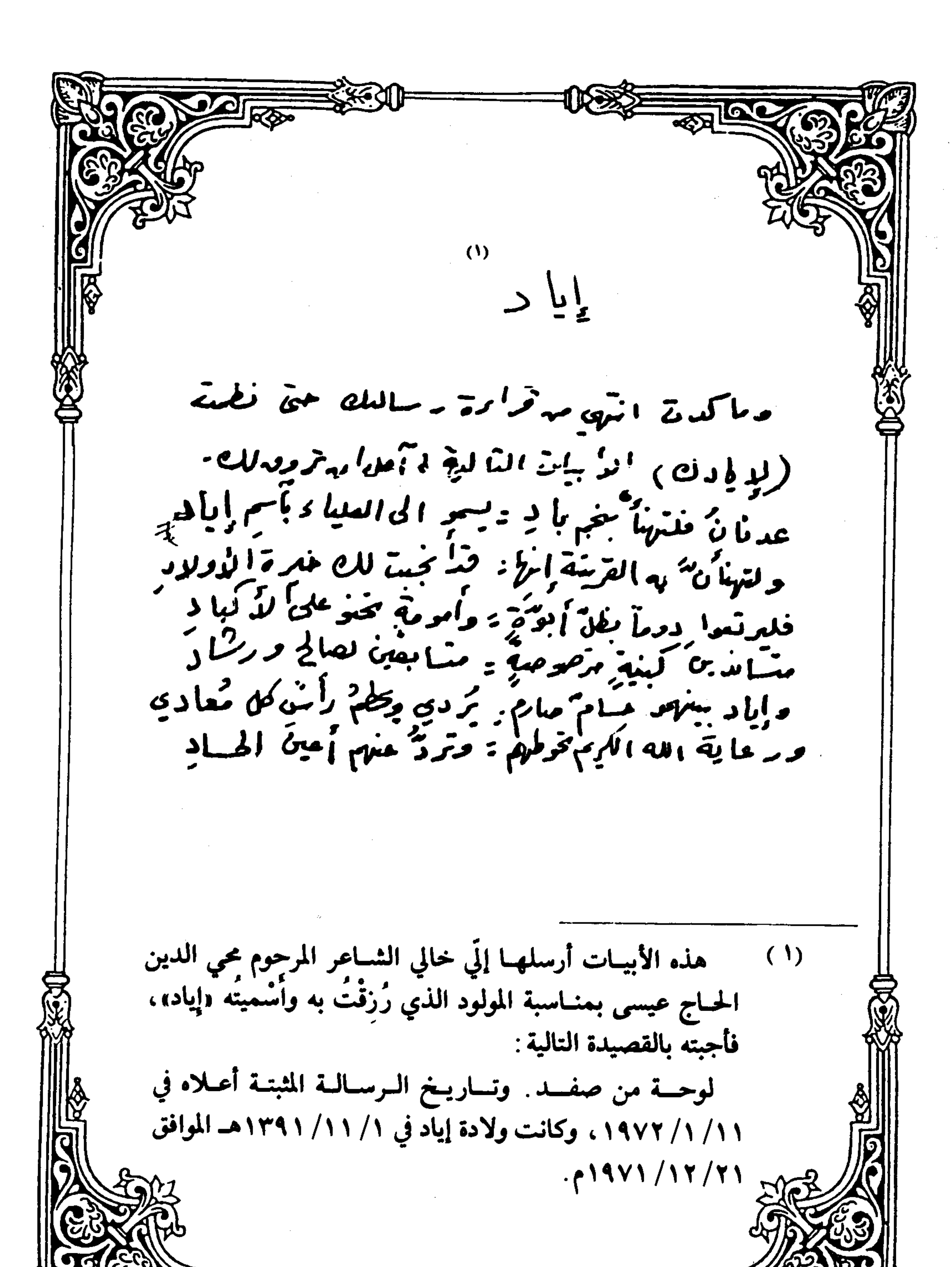






لوحة من صفد





إياد [1]

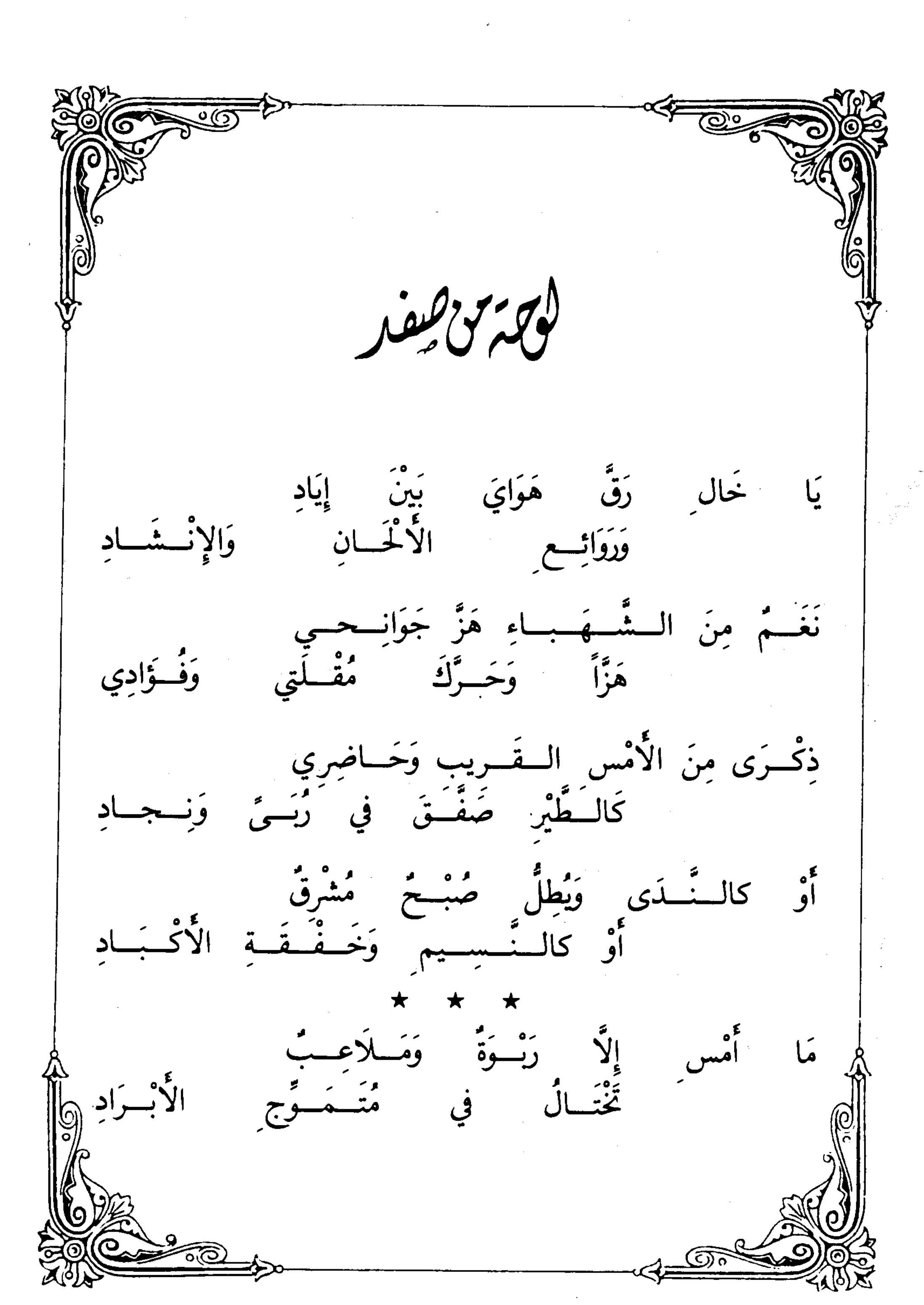
وما كدت انتهي من قراءة رسالتك حتى نظمت
(للإياد) الأبيات التالية لي آمل به تزويدك.

عدنانُ فلتهنأْ بنجمٍ بادِ ... يسمو الى العلياء باسمِ إيادِ
ولتهنأنَّ به القرينة إنها ... قد أنجبت لك خيرة الأولادِ
فليرتعوا دوماً بظل أبوةٍ ... وأمومةٍ تحنو على الأكبادِ
متساندين كبنيةٍ مرصوصةٍ ... متسابقين لصالحٍ ورشادِ
وإياد بينهمُ حسامٌ صارمٌ ... يُردي ويحطمُ رأس كل مُعادي
ورعاية الله الكريم تحوطهم ... وتردُّ عنهم أعينَ الحسادِ

---

(١) هذه الأبيـات أرسلهـا إليّ خالي الشـاعر المرحوم محي الدين الحـاج عيسى بمنـاسبة المولود الذي رُزِقْتُ به وأسْميتُه «إياد»، فأجبته بالقصيدة التالية:

لوحـة من صفـد. وتـاريخ الرسالة المثبتة أعلاه في ١١/ ١/ ١٩٧٢، وكانت ولادة إياد في ١/ ١١/ ١٣٩١هـ الموافق ٢١/ ١٢/ ١٩٧١م.



لوحة من صفد

يَا خَالِ رَقَّ هَوَايَ بَيْنَ إِيَادِ
وَرَوَائِـعِ الأَلْحَـانِ وَالإِنْـشَـادِ

نَغَـمٌ مِنَ الـشَّـهَـبـاءِ هَزَّ جَوَانِـحِـي
هَزًّا وَحَـرَّكَ مُقْـلَتِي وَفُـؤَادِي

ذِكْـرَى مِنَ الأَمْسِ الـقَـرِيبِ وَحَـاضِرِي
كَالـطَّيْرِ صَفَّـقَ فِي رُبَـىً وَنِـجَـادِ

أَوْ كَالـنَّـدَى وَيُطِلُّ صُبْـحٌ مُشْرِقٌ
أَوْ كَالـنَّـسِـيمِ وَخَـفْـقَـةِ الأَكْـبَـادِ

★ ★ ★

مَا أَمْسِ إِلَّا رَبْـوَةٌ وَمَـلَاعِـبُ
تَخْتَـالُ فِي مُتَـمَـوِّجِ الأَبْـرَادِ

يَغْفُو على «كَنْعَانَ»[1] حُلْمُ صَبَابَتي
كالطِّفْلِ في أُرْجُوحَةٍ وَتَهادِي

يَصْحُو على البَرْقُوقِ[2] في جَنَبَاتِه
فَيَلُمُّهُ وَيَلُمُّ بَعْضَ الزَّادِ

مِنْ عُشْبَةٍ خَضْرَاءَ تُلْقي دُونَهُ
بُسُطاً مُنَمَّقَةً وَطِيبَ وِسَادِ

«العِلْتُ»[3] «وَالعَكُّوبُ» بَيْنَ صُخُورِه
وَالزَّهْرُ بَيْنَ تِلَاعِهِ وَوِهَادِ

وَالتِّينُ وَالزَّيْتُونُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
نَغْدُو وَنَمْرَحُ في هَنَاءٍ بَادِي

وَعلى غُصُونِ التُّوتِ نَبْني عُشَّنَا
وَنُعِيدُ زَقْزَقَةَ الهَزارِ الشَّادِي

---

(١) كنعان: جبل يطل على جبال سوريا ولبنان والأردن، ويشرف على سهل الحولة وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا.

(٢) البرقُوق: زهر أحمر.

(٣) العلت والعكوب: نباتان يستخدمان للطبخ والطعام مشهوران في صفد.

يَا زَهْرَةَ اللَّوْزِ الشَّهِيِّ وَطَلْعَةَ النْـ
ـنُورِ البَهِيِّ وَغَرْسَةَ الأَجْدَادِ

يَا غَرْسَةَ العِنَّابِ مَدَّتْ كَفَّهَا الْـ
ـمَخْضُوبَ مِنْ فَرْعٍ لَهَا مَيَّادِ

كالغَادَةِ الحَسْنَاءِ خَلْفَ خِبَائِهَا
دَفَعَتْ بَنَاناً لِلْمُحِبِّ الصَّادِي

يَا أُمْسِيَاتٍ فِي «الرُّجُوم»[1] كَأَنَّهَا
عِطْرُ الشَّبَابِ وَبَهْجَةُ الأَعْيَادِ

وَ«البَحْرَةُ الزَّرْقَاءُ»[2] دُونَ شِعَابِهِ
نَزَلَتْ فَأَنْزَلَهَا سَوَادَ فُؤَادِ

نَهَدَتْ بِجَنْبَيْهَا الرُّبَى وَتَوَثَّبَتْ
نَهْدَيْنِ مُضْطَرِبَيْنِ فَوْقَ مِهَادِ

أَهْدَى لَهَا اللَّيْلُ الشَّجِيُّ غِلاَلَةً
سَمْرَاءَ تَخْفِقُ فِي ظِلاَلِ سَوَادِ

---

(١) الرجوم: مكان تقوم فيه نزهة الشباب وقريباً منه احتفالات الأعياد. ويطل على بحيرة طبريا

(٢) البحرة الزرقاء: بحيرة طبريا.

وَشَّتْ حَوَاشِيَهَا النُّجُومُ لآلِئاً
تَطْوي وَتَنْشُرُ مِنْ بَرِيقٍ هَادِي

حَتَّى أَزَاحَ اللَّيْلَ صَبٌّ وَانْثَنَى
يَنْسَابُ مِنْهُ نُورُهُ الْمُتَهَادِي

نَزَعَ الغِلالَةَ وَاسْتَقَرَّ بِصَدْرِهَا
وَهْجٌ يُبَدِّلُ وَجْدَهُ بِوِدَادِ

وَالبَدْرُ بَيْنَ النَّاهِدَيْنِ كَمَاسَةٍ
مَوْصُولَةٍ فِي جِيدِهَا بِقِلَادِ

* * *

وَالجَدْوَلُ الرَّقْرَاقُ وَالرُّمَّانُ وَالْـ
ـكَرْمُ النَّدِيُّ على ضِفَافِ الوَادِي

تَخْتَالُ فِي أَعْطَافِهِ الغَادَاتُ وَالْـ
أَنْسَامُ بَيْنَ رَوَائِحٍ وَغَوَادِي

وَالطَّيْرُ بَيْنَ غُصُونِهِ أُنْشُودَةٌ
وَالمَاءُ رَجَّعَ خَفْقَةَ الأَعْوَادِ

* * *

أَيْنَ «الصَّوَاوِينُ» الَّتِي أَلْقَيْتُ فِي
سَاحَاتِهَا كَرَّاسَتِي وَعَتَادِي

مَعْ صِبْيَةٍ أَرْخى الزَّمَانُ عِنَانَهُ
لَهُمُو فَضَجُّوا في رَكَائِبِ حَادِي

وَعَلَى مَدَارِجِهَا جَلَسْنَا صِبْيَةً
نُمْلي الحُرُوفَ بِرِيشَةٍ وَمِدَادِ

وَبِلَثْغَةٍ نَشْوَى وَسِحْرِ بَشَاشَةٍ
كَالنُّورِ بَيْنَ شَقَائِقِ الأَنْجَادِ

ضَاقَتْ بِنَا حُجَرُ الدُّرُوسِ وَصَفَّقَتْ
عِنْدَ السَّرَاحِ مَلاَعِبٌ وَنَوَادِي

عُلِّمْتُ فِيهَا الحَرْفَ آياً مُحْكَماً
فَمَلَكْتُ مِنْ رَحْلِي زِمَامَ قِيَادِي

★ ★ ★

أَيْنَ المَنَازِلُ رَدَّدَتْ في سَاحِهَا
بِيضُ الحَمَائِمِ أُغْنِيَاتِ بِلاَدِي

أَيْنَ العَصَافِيرُ الَّتي نَزَلَتْ بِهَا
عُشّاً لِتَأْمَنَ طَلْقَةَ الصَّيَّادِ

وَالْحَبُّ مَنْثُورٌ عَلى أَعْطَافِهَا
وَالزَّهْرُ فَوَّاحُ الشَّذَا مُتَهَادِي

★ ★ ★

يَا مَنْـقَـلاً لِلْنَّـارِ حَلَّقَ حَوْلَـهُ
أَهْـلِي وَمَـدُّوا فَوْقَـهُ بِأَيَادِي

يُعْـطِيكَ مِنْ خَلَلِ الـرَّمَـادِ عَطَاءَهُ
كَالـشَّـمْسِ يَحْجُـبُـهَـا سَحَـابٌ غَادِي

وَالـرَّكْـوَةُ الـصَّـفْـرَاءُ مِنْ أَنْـفَـاسِـهَـا
سَمَـرُ الخَـلِيِّ وَنَـشْـوَةُ الـسُّـهَّـادِ

يَنْـسَـابُ مِنْ رَشَـفَـاتِـهِ الـفِـنْـجَـانُ فِي
أُقْـصُـوصَـةِ الـسُّـمَّـارِ وَالـعُـوَّادِ

★ ★ ★

صَفَـدُ! عَروسَ الـدَّهْـرِ! دُونَـكِ فَانْـظُري
هَذِي وُفُـودُ حَوَاضِرٍ وَبَـوَادِي

تَسْـعَـى إِلَـيْكِ من الـشَّـآمِ شَوَامِـخٌ
وَجِـبَـالُ لُبْـنَـانٍ عَلى مِيْعَـادِ

وَالـسَّـهْـلُ وَالـنَّـهْـرُ الـبَـدِيعُ وَخُضْرَةٌ
أَلِـقَـتْ كَأَسْـوِرَةٍ لَها بِزِنَـادِ

وَالجَـرْمَـقُ الخَـفَّـاقُ لُؤْلُـؤَةٌ على
تَاجٍ ودُرَّةِ قَدِّكِ المَـيَّادِ

يَا خفقَةَ الأَبْناءِ! يَا دَمْعَ الحَيَا
يَا مُهْجَةَ الآبَاءِ وَالأَحْفَادِ

صَفَدٌ! وأَنْتِ مَعَ العُلاَ في مَوْعِدٍ
مَوْصُولَةُ الأَمْجَادِ بِالأَمْجَادِ

* * *

تَتَلَفَّتِينَ وَبَيْنَ عَيْنَيْكِ الهَوى
لِمَرابِعٍ مَمْدُودَةٍ وَوِهَادِ

فَالْقِي دِيَارَ الشَّامِ عِطْفَةَ جِيدِهَا
نُعْمَى السَّمَاءِ وَلَفْتَةَ الآبَادِ

فَرُبَى الخَلِيلِ يُطِلُّ في جَنَبَاتِهَا
وَحْيٌ يُوَشِّيهَا وَرُوحٌ هَادِي

أَهْدَى لَهَا الرَّحْمٰنُ طِيبَ خَلِيلِهِ
نَفْحَ الحَنِيفَةِ عَاطِرَ الإِمْدَادِ

وَالمَسْجِدُ الأَقْصَى عَلى سَاحَاتِهِ
وُلِدَ الزَّمَانُ فَعَزَّ بِالْمِيلاَدِ

جُمِعَتْ بِسَاحَتِهِ النُّبُوَّةُ وَالتَقَتْ
بِالْغَيْبِ فِيهِ مَعَالِمُ الأَشْهَادِ

أَلْـقَـتْ لأَحْـمَـدَ بالإِمَـامَـةِ فَارْتَـقَـى
سَبْـعـاً بِوَمْـضَـةِ بَارِقٍ صَعَّـادِ

فَإِذَا رُبَـاكِ جَمِيعُـهَـا مَجْلُوَّةٌ
بِالـنُّـورِ في عُرْسٍ وَفي أَعْـيَادِ

أُهْـدِيتِ للإِسْـلَامِ مُلْكـاً خَالِـصَـاً
يَلْقَـاكِ في بِشْرٍ وَفي إِسْـعَـادِ

مَنْ ذَا يُنَـازِعُـهُ وَمَـهْـرُكِ في الـوَرَى
غَالٍ وَدُونَـكِ حَوْمَـةُ الآسَـادِ

تَسْـعَـى إِلَـيْكِ على الـزَّمَـانِ كَتَـائِـبٌ
نَفَـحَـتْ على عِطْفَـيْكِ عِطْرَ جِهَـادِ

وَفَـوَارِس لَمَعَ الـقَـنَـا بِيَمِـينِـهَـا
فَانْـشَـقَّ لَيْلُكِ عَنْ جَمَالٍ بَادِي

فَجُـنُـودُ أَحْـمَـدَ أَرْعَـدَتْ عَطَّافَـةً
تَخْتَـالُ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَتِـلَادِ

وَتَـصُـوغُ مِنْ مُهَـجَـاتِـهَـا لَكِ خَاتَمـاً
مَهْـرَ الهَـوَى وَقَـلَائِـدَ الأَجْـيَادِ

رَصَّعْتِهَا بِدَمِ الشَّهِيدِ لآلِئاً
فَتَوَهَّجَتْ فِي لَيْلِكِ الوَقَّادِ

دَفَعَتْ على كَفَّيْكِ أَغْلَى جَوْهَرٍ
فَنَثَرْتِهِ فِي زَاهِرِ الأَبْرَادِ

وَعَلى جَبِينِكِ مِنْ أَسَاكِ مُلاَءَةٌ
فَرَفَعْتِهَا لِلْفَارِسِ الرَّعَادِ

وَتَعَطَّرَتْ دُنْيَا المَرُوءَاتِ الَّتِي
أَغْنَيْتِهَا بِمَكَارِمٍ وَأَيَادِ

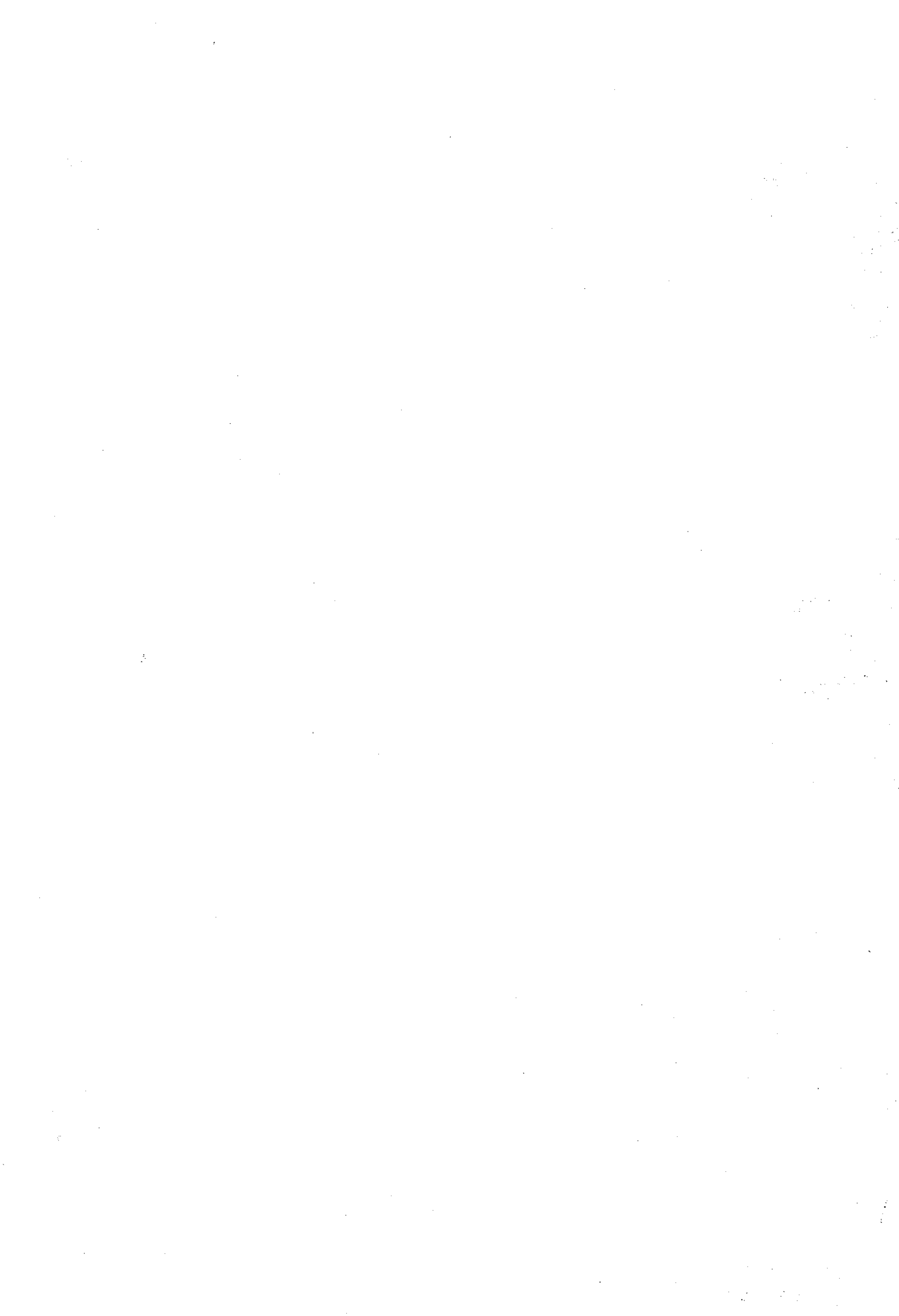
لِتَرُدَّ عَنْكِ أَذَى العُدَاةِ وَتَجْتَلِي
مِنْ نَاظِرَيْكِ رِضَىً وَصِدْقَ وِدَادِ

وَتَرُدَّ مِنْ دَنَسِ اليَهُودِ وَتَغْتَلِي
بِالطُّهْرِ وَالإِيمَانِ أَيَّ نِجَادِ

وَتَعُودُ آيَاتُ الكِتَابِ وَنُورُهَا
أَلَقَ الرُّبَى وَنَضَارَةَ العُبَّادِ

١٣٩٢هـ.
١٠/٢/١٩٧٢م.

★ ★ ★



كلمات قليلة إلى هذه الأمة التي تمزقت كيف تتآخى وتلتقي...... عقيدة وجهاد، سواعد وقلوب.

سواعد وقلوب

يَا أَخِي هَذِهِ يَدِي وَعُهُودِي
جَمَعَتْنَا عَقِيدَةٌ وَدُرُوبُ

لَا تَذَرْنِي على الطَّرِيقِ وَحِيدَاً
فَكِلَانَا، إذا فَعَلْتَ، غَرِيبُ

قُمْ لِنَبْنِي أَمْجَادَنَا عَزَمَاتٍ
صَادِقَاتٍ وَهِمَّةً لَا تَخِيبُ

يُمْسِكُ العُرْوَةَ الوَثِيقَةَ إِيْمَا
نٌ وَوَحْيٌ مِنَ الجِهَادِ نَجِيبُ

حَفِظَ اللَّهُ أُمَّةً تَتَآخَى
مِنْ بَنِيهَا سَوَاعِدٌ وَقُلُوبُ

١٩٦٦



أخي [1]

أخِـي! لَا تُبَالِ إذا مَا افْتَرَقْنَا
سَيَجْمَعُ مِنْ أَمْرِنَا الرَّائِدُ

فَلَسْنَا على البُعْدِ إلَّا جَنَاحَيْـ
ـنِ مُدَّا وَخَفْقُهُمَا وَاحِدُ

يَمُدُّ اللَّيَالي بِنُورِ الْهُدى
إذَا جَالَ فِيهَا الفَتَى الماجِدُ

وَيَمْضِي سَنَا بَرْقِهِ خَاطِفاً
لِيَرْتَاعَ مِنْ بَرْقِهِ الحَاقِدُ

★ ★ ★

أخِـي! لَا تُبَالِ إذَا مَا افْتَرَقْنَا
هُنَاكَ سَنَلْقَى الرِّضَا وَالحَنَانْ

---

(١) ألقيت في ندوة شعرية في رابطة الطلاب الفلسطينين في القاهرة .

عَلى أُفُــقٍ مُشْرِقٍ بالــدِّمَــا
وَفَــجْــرٍ عَقَــدْنَــا عَلَيْهِ الــسَّــنَــانْ

فَتَــزْكُــو الــرَّوَابي بأَنْــفَــاسِــهِ
وَتُــزْهِــرُ تَحْتَ نَدَاهُ الجِــنَــانْ

وَتَحْــلُو هُنَــالِــكَ أُنْــشُــودَةٌ
تُرَجِّــعُ خَفْــقَ الــقَــنــا وَالــطِّعَــانْ

★ ★ ★

أَخِــي! إِنْ عَدَا الــظُّلْمُ في دَرْبِــنَــا
هُنَــالِــكَ مَيْدَانُــنَــا الأَوْسَــعُ

لَنَــا عُرْوَةٌ لا انْــفِــصَــامَ لَهَا
وَحَــبْــلٌ مِنَ اللهِ لا يُقْــطَعُ

فَصَــبْرُكَ دُنْــيَا أَزَاهِــيُرهَــا
أَنِــيــنُــكَ والــشَّــوْقُ وَالأَدْمُــعُ

وَصَــبْرُكَ دُنْــيَا تَنَــفَّسُ عَنْــهُ
ضُلُوعٌ وَتَــنْشُرُهُ الأَربُــعُ

★ ★ ★

أَخِــي! لَا تُبَــالِ فَهَــذِي الــقُــلُوبُ
وَهَــذِي الــسَّــوَاعِــدُ ثَارَتْ مَعَــكْ

فَلَا ظُلْمَةَ السِّجْنِ تَخْشَى وَلَا
جُنُونَ ٱلسِّيَاطِ بَرَى أَضْلُعَكْ

وَلَا الْقَيْدَ حَطَّمَهُ كِبْرِيَا
ؤُكَ! قَطَّعْتَهُ دُونَ أَنْ يَقْطَعَكْ

وَجَلَّادُكَ الْوَحْشُ أَذْلَلْتَهُ
وَقَدْ كَانَ يَبْغِي هُنَا مَصْرَعَكْ

★ ★ ★

أَخِي! كم طَلِيقٍ ،حَبِيس الدَّنَايَا
وَعَبْدٍ تَلَبَّسَ أَثْوَابَ حُرّ

وَكَمْ مِنْ سَجِينٍ بِإِشْرَاقِهِ
غَدَتْ ظُلْمَةُ ٱلسِّجْنِ إِشْرَاقَ فَجْرِ

فَقُلْ لِلْعُتَاةِ وَأَحْشَادِهِمْ
وَمَنْ أَعْمَلَ ٱلسَّوْطَ فِي كُلِّ ظَهْرِ

تَنَالُونَ أَضْلُعِي ٱلْبَالِيَاتِ
وَأَحْيَا بِإِيمَانِيَ الْمُسْتَقِرِّ

★ ★ ★

أَخِي! فَرَّقَتْنَا يَدُ الْمُعْتَدِين
وَجَمَّعَنَا الحَقُّ، وَالحَقُّ أَقْدَرْ

غداً نَلْتَقِي في فِلَسْطِينَ أَوْ في الـ
ـجَزَائِرِ جُنْدَ آلْسَّلامِ اْلمُؤَزَّرْ

يُدَوِّي هُنَالِكَ صَوْتُ الدُّعَاةِ
يُرَدِّدُهُ الكَوْنُ : اللَّهُ أَكْبَرْ

هُنَالِكَ زُلْزِلَ جَمْعُ الطُّغَاةِ
وَرُوِّعَ جَيْشُ النِّفَاقِ وَأَدْبَرْ

★ ★ ★

أَخِي في الجَزَائِرِ يَا ابْنَ البُطُو
لَةِ أَوْ في آلْقَنَالِ وَفِي بُورْ سَعِيدْ

أَخِي في فِلَسْطِينَ كم أَشْرَقَتْ
بِكَ الدَّاجِيَاتُ فَنِعْمَ الشَّهِيدْ

هُوَ الدَّهْرُ مَرَّ بِأَحْدَاثِهِ
تُلَقِّنُهُ أَنْتَ مَعْنَى الخُلُودْ

تُرَوِّي الثَّرَى بِطَهُورِ الدِّمَاء
وَتَبْعَثُ في الأُفْقِ فَجْراً جَدِيدْ

★ ★ ★

أَخِي لَا تُبَالِ إِذَا مَا افْتَرَقْنَا
فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ وَثِيقْ

تَشُدُّ الضَّحَايَا عُرَاهُ، وَثَكْلَى
وَطِفْلٌ مَعَ الدَّمِ مُلْقَى غريقْ

فَقُلْ لِبِرْطَانْيَا وَأَحْلاَفِهَا
وَمَنْ ظَنَّنا سِلْعَةً أَوْ رَقِيقْ

هُنَا أُمَّةٌ دَفَعَتْهَا الحياةُ
وَخَطَّ لَهَا اللَّهُ هَذا آلْطَّرِيقْ

★ ★ ★

فَمِنْ خَلْفِ أُوراس نُوْرُ الحَيَاةِ
يَشِعُّ بِهِ دَمُكَ آلْطَّاهِرُ

ضَحَايَا فِدَاءُ العَقِيدَةِ مَرَّتْ
شَهِيدٌ يُعَانِقُهُ آخَرُ

فَقُلْ لِفَرَنْسا وَقَدْ سَاقَهَا
إِلَى حَتْفِهَا رَجُلٌ فَاجِرُ

رُوَيْدَكِ يَا ابْنَةَ نَعْلِ الغُزَاةِ
مَتَى كَانَ فِيكِ فَتَىً طَاهِرُ

★ ★ ★

وَأَنْتَ أَخِي يَا ابْنَ دَارِ السَّلاَمِ
سَلاَمٌ على رُوحِكَ أُلْمشْرِقِ

سَلاَمٌ على الجُرْحِ أَنْفَاسُهُ
شُوَاظُ اللَّهِيبِ، فَثُرْ وَاخْفِقِ

وَخَلِّ دِمَاءَكَ مَاءَ الحَيَاةِ
تَفِيضُ على نَهْرِكَ المُغْدِقِ

لِتَجْرِفَ نُورِي وَأَحْلاَفَهُ
وَتُلْقِي بِمُسْتَعْمِرٍ أَخْرَقِ

★ ★ ★

أَخِي! دَرْبُنَا الشَّوْكُ كم مِنْ شَهِيدٍ
تَرَدَّى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَسْلَمَا

وَلَيْلٍ بَهِيمٍ نَثَرْنَا عَلَيْهِ
لَدَى الرَّوْعِ قَطْرَ الدِّمَا أَنْجُمَا

دُعَاةً إِلَى اللَّهِ لاَ نَنْثَنِي
وَقَلْباً إلى اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَا

تَهُبُّ الرَّوَائِحُ مِنْ جَنَّةٍ
لِيَعْبِقَ مِنْهَا زَكِيُّ الدِّمَا

★ ★ ★

تَقَدَّمْ أَخِي! إِنَّ هٰذِي المَشَانِـ
ـقَ كَمْ كُنْتَ قَبَّلْتَ أَعْوَادَهَا

تَقَــدَّمْ! فَتِــلْكَ دُرُوبُ الجِــهَــادِ
تُشِــيدُ بِبَــذْلِــكَ أَمْجَــادَهَــا

فَدُنْــيَا الــبُــطُولاَتِ مَنْ ذا لَهَا!
سِوَاكَ يُجَدِّدُ أَعْــيَادَهَــا

تَمُرُّ الــلَّيَالِي بِأَشْــوَاقِــهَــا
تُحَلِّي بِذِكْــرَاكَ أَجْــيَادَهَــا

★ ★ ★

وَأَقْــبِــلْ على الــلَّهِ يَوْمَ الجِــهَــادِ
أَخــاً صَدَقَ الــلَّهَ مَا عَاهَــدَهْ

فَذَلِــكَ خَاضَ غِمَارَ الحِــمَامِ
وَآخَــرُ مَدَّ لَهُ سَاعِــدَهْ

وَحَــوْلَهُــمَا إِخْــوَةٌ أَقْــبَــلُوا
على الــلَّهِ بِالأَنْــفُسِ الــعَــابِــدَهْ

هُوَ الــدَّهْــرُ مَرَّ بِسَــاحَــاتِهِــمْ
يُلَقِّــنُ بِالــدَّعْــوَةِ الخَــالِــدَهْ

★ ★ ★

أَخِــي! مَنْ يَكُــنْ هَمُّهُ يَوْمَــهُ
يُرَدَّى مَعَ الــغَــدِ في قَبْرِهِ

وَمَــنْ كانَ مِثْــلَكَ يَبْــني الحَــيَاةَ
يَشِــعُّ الخُــلُودُ عَلى فَجْــرِهِ

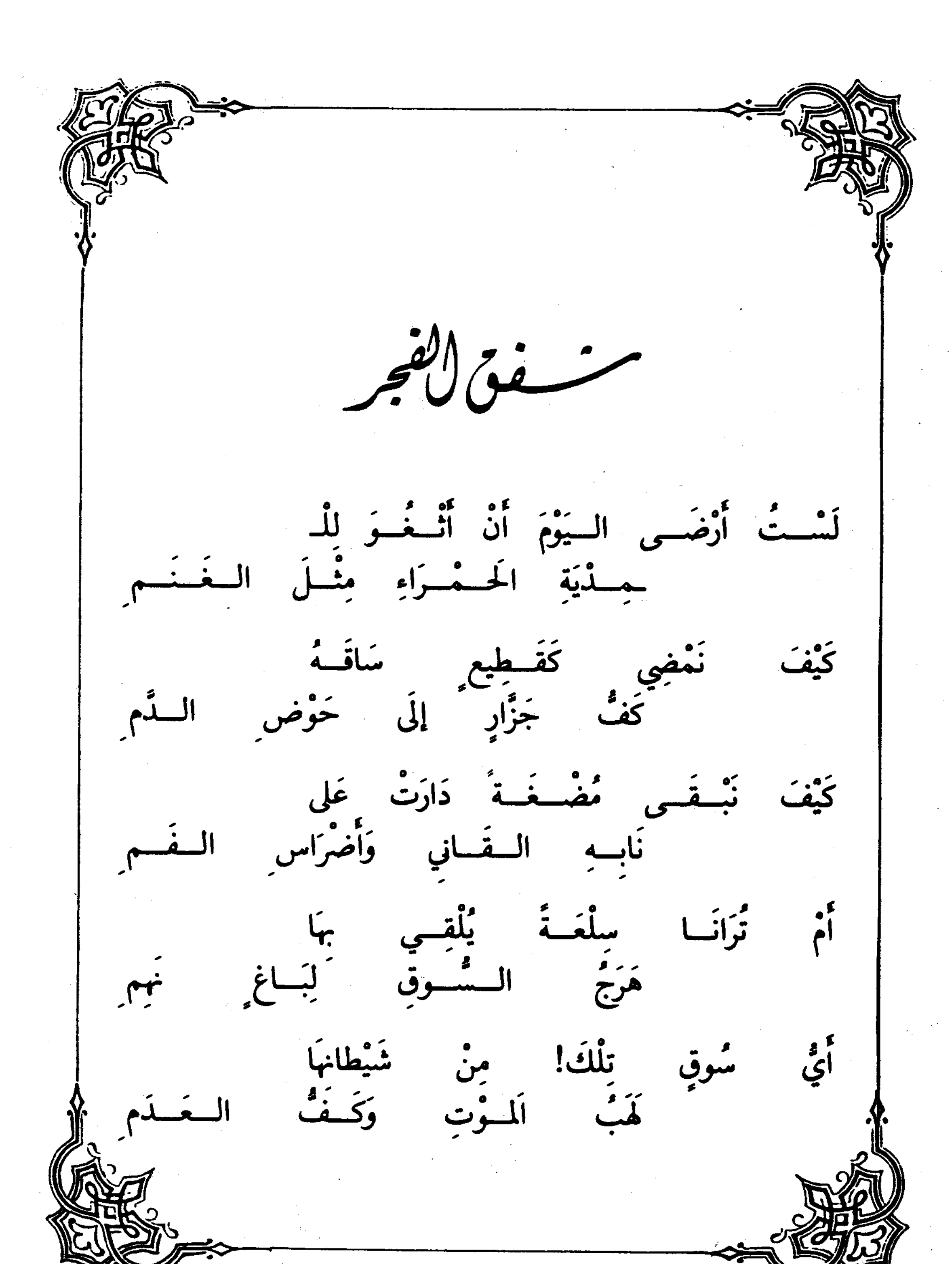
أخِــي! أنْــتَ حُمِّلْتَ هٰذي الأمَــانــ
ـةَ تَقْضِي عَلى الــظُّلْمِ فيَ وَكْــرِهِ

كَتَــائِــبُ يَضْــحُــو على زَحْــفِــهَــا
أخُــو غَفْــلَةٍ ذَلَّ في كِبْرِهِ

١٩٥٧

★ ★ ★





شفق الفجر

لَسْتُ أَرْضَى اليَوْمَ أَنْ أَثْغُوَ لِلْـ
ـمِدْيَةِ الحَمْرَاءِ مِثْلَ الغَنَمِ

كَيْفَ نَمْضِي كَقَطِيعٍ سَاقَهُ
كَفُّ جَزَّارٍ إلَى حَوْضِ الدَّمِ

كَيْفَ نَبْقَى مُضْغَةً دَارَتْ عَلى
نَابِهِ القَانِي وَأَضْرَاسِ الفَمِ

أمْ تُرَانَا سِلْعَةً يُلْقِي بِهَا
هَرَجُ السُّوقِ لِبَاغٍ نَهِمِ

أَيُّ سُوقٍ تِلْكَ! مِنْ شَيْطَانِهَا
لَهَبُ المَوْتِ وَكَفُّ العَدَمِ

يَدفَــعُ اَلمــوْجُ عَلى سَاحَــاتِهَــا
أُمَــاً تَدْفَــعُ حِقْــدَ الأُمَــمِ

تَلْتَــقــي في خَطْفَــةِ اَلمــوْتِ عَلى
مِرْجَــلٍ مِنْ نَارِهَــا اُلمــضْــطَرِمِ

فَإِذَا الــدُّولَار قَيْدٌ مُطْبِــقٌ
مُمْعِــنٌ في عُنُــقٍ أَوْ مِعْــصَــمِ

أُمَّــتِي! تِلْكَ هِيَ الــسُّــوقُ إِذَا
كُنْــتِ تَرْضِــيْنَ بِذُلِّ اَلمــغْــنَــمِ

يَدْفَــعُ الشَّرَّ حُثَــالَاتٌ مَضَــتْ
تَبْــتَــنِي أَمْجَــادَهَــا في مَأْتَــمِ

كَكِــلَابٍ لَمْ تَعُــدْ نَابِــحَــةً
إِنْ يَجُدْ بِالْــعَــظْمِ كَفُّ الــكَــرَمِ

لَمْ تُجَاوِزْ عِزَّةُ الــنَّــفْسِ بِهِمْ
لَفْــظَةً مَاتَــتْ عَلَى ثَغْــرِهِــمِ

لَمْ تَكُــنْ حُرِّيَّةٌ مَا زَعَــمُــوا
غَيْرَ قَيْدٍ مُطْبِــقٍ أَوْ لُجُمِ

وَسُـجُـونٍ زُحِمَـتْ أَبْـوَابُـهَـا
وَرَصَـاصٍ عَاصِـفٍ مُحْتَـدِمِ

إِنَّهُمْ لَيْسُـوا إِذَا هَمَّ الـوَغَـى
غَيْرَ سَيْفٍ وَاجِـفٍ مُنْهَـزِمِ

عُصْبَـةَ الحُكَّـامِ جُوري رُبَّـمَا
لَمْ يَطُلْ عَهْـدُكِ! جُورِي وَاظْـلِمِـي

لَسْـتِ فِي تَارِيخِـنَـا الـصَّـاعِـدِ إِلْـ
ـلَا بَقَـايَا حُلُمٍ لَمْ يَدُمِ

★ ★ ★

إِيْهِ يَا مِصْرُ! فَمَا أَطْـهَـرَهَـا
نَفْـحَـةً مِنْ دَمِـكِ المُـضْـطَرِمِ

حُمْرَةٌ فَوْقَ رُبَـاكِ الخُضْرِ مِنْ
شَفَـقِ الـفَـجْـرِ فَسِيرِي وَاقْـحَـمِـي

وَاعْـصِـفِـي مِنْ دَمِـكِ الـثَّـائِـرِ فِي
أَنْـفُسٍ تَرْقُـدُ نَهْبَ الـسَّـأَمِ

★ ★ ★

مَا لِمِصْرٍ أَيقـظت فِرْعَـوْنَهَا
فِي لَيَالٍ حَالِـكَـاتِ الـظُّلَمِ

أيْقَظَتْهُ كَفُّ وَاشِنْطُنَ مِنْ
نَوْمِهِ الهَادِئِ تَحْتَ الهَرَمِ

هَبَّ مِنْ رَقْدَتِهِ طَيَّ البِلاَ
وانْثَنَى حَيّاً كَأَنْ لَمْ يَنَمِ

لَمْ تَزَلْ عَادَتُهُ أَنْ يَفْتَدِي
بِضَحَايَا النِّيلِ فَيْضَ النِّعَمِ

لَمْ يَعُدْ رُوَّادُكِ اليَوْمَ سِوَى
مُخْرِجٍ يَنْقُلُ حُرَّ القَدَمِ

لَمْ تَعُدْ أَرْضُكِ إلاَّ مَسْرَحاً
أَخْرَجَتْ فِيهِ مَآسِي النِّقَمِ

أَيْنَ «دِي مِيلُ» وَقَدْ حَاكَ بِهَا
قِصَّةً نَشْهَدُهَا لَمْ تُخْتَمِ

★ ★ ★

يَا شَهِيداً ضَمَّخَ التُّرْبَ شَذاً
وَدَماً سَالَ بِسَفْحِ الهَرَمِ

لَمْ يَكُنْ طَوْقُكَ إلاَّ زَهْرَ الـ
ـغَارِ فِي رَيْعَانِهِ فَابْتَسِمِ

إِخْـوَةٌ! مَدُّوا على رَاحَـاتِهِـمْ
رُوحَـهُـمْ في كِبْرِيَاءِ المُـسْـلِمِ

فَاضَـتِ الـرُّوحُ وَفي أَفْـوَاهِـهِـمْ
دَعْـوَةٌ لِلْحَـقِّ لَمْ تَنْهَـدِمِ

إِخْـوَةٌ يَرْبِـطُهُـمْ حَبْـلُ الـرَّدَى
في سَبِـيلِ الـلَّهِ لَمْ يَنْـفَـصِـمِ

طَلَعَ الـصُّـبْـحُ وَهُـمْ في أُفْـقِـهِ
كَوْكَـبٌ يَهْدِي سَبِـيلَ الأُمَـمِ

* * *

مِصْرُ! تيهـي بِضَـحَـايَا فَتَـحَـتْ
سُبُـلَ المَـجْـدِ، فَتِـيهـي وَاسْـلَمـي

وَتَـلَقَّـيْ مِنْ رُبَـى الأُرْدُنِّ نَفْـ
ـحَـةَ رُوَّادِ المُـنَـى المُـبْـتَـسِـمِ

وَالـفُـرَاتِ الـعَـذْبِ أَشْـوَاقَ رِضَـىً
لَمْ تَكُـنْ إِلَّا عَبِـيرَ الـعَـنْـدَمِ

وَمِـنَ الـشَّـامِ وَمَـا أَنْضَرَهَـا
وَمِـنَ الـقُـدْسِ وَبَيْتِ الحَـرَمِ

وَرُبَى لُبْنَانَ مِنْ أَمْجَادِهَا
نَفْحَةَ الأَرْزِ وَحُلْوَ النَّسَمِ

★ ★ ★

أُمَّتِي! تِيهِي بِمَا حَطَّمْتِ مِنْ
صَنَمٍ أَوْ شِدْتِهِ مِنْ عَلَمِ

في رُبَى الشَّرْقِ وفي سَاحَاتِهِ
تَلْمَحُ العَيْنُ بَرِيقاً مِنْ دَمِ

في سَبِيلِ اللهِ مَا يَلْقَى جِهَا
دُكَ يَا شَعْبُ فَقُمْ وَاقْتَحِمِ

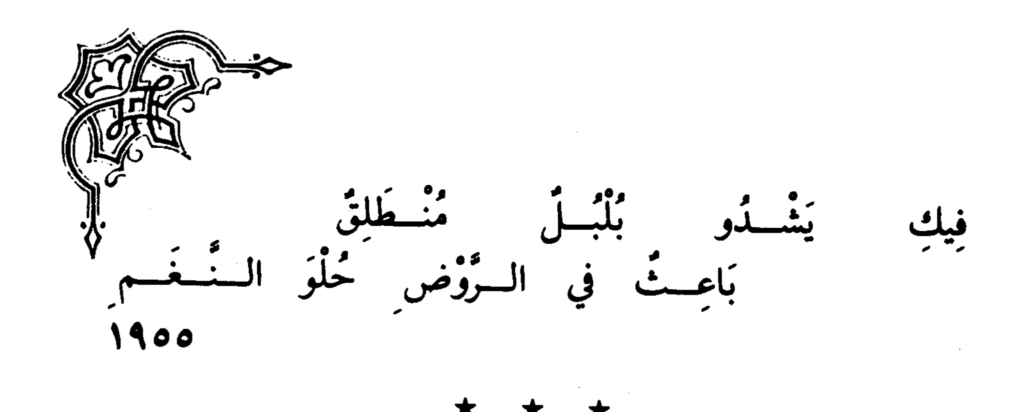
وَابْنِ مَجْداً كُنْتَ قَدْ دَاعَبْتَهُ
حُلُماً في غَفْوَةٍ أَوْ سَأَمِ

★ ★ ★

أُمَّتِي! هَذا سَبِيلُ اللَّهِ مَا
مَدُّهُ إِلاَّ صَرِيحُ الهِمَمِ

فَاصْعَدِي فِيهِ كما يَصْعَدُهُ
بِالتُّقَى وَالعَزْمِ حُرُّ الشِّيَمِ

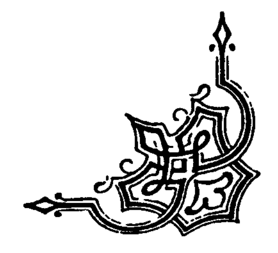
وَاجْعَلِي دَارَكِ رَوْضاً زَاهِراً
عَابِقاً بِالأَمَلِ المُبْتَسِمِ



فيكِ يَشْـدُو بُلْبُـلٌ مُنْـطَلِقٌ
بَاعِـثٌ في الـرَّوْضِ حُلْوَ الـنَّـغَـمِ

١٩٥٥

* * *





دماء بريئة

أدمٌ يُرَاقُ وَفِتْيَةٌ يَتَسَاقَطُو
نَ وَعُصْبَةُ الطَّاغُوتِ فِيهِمْ تحْكُمُ

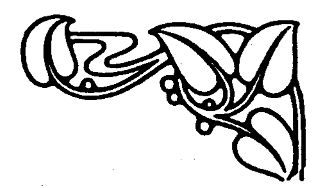
وَالشَّعْبُ مِسْكِينٌ يُجَرَّدُ فَوْقَهُ
سَيْفٌ تُشَلُّ بِهِ اليَدَانِ وَيُلْجَمُ

وَتُرَدُّ أبْوَابُ السُّجُونِ وَخَلْفَهَا
جَسَدٌ يَغِيبُ وَهِمَّةٌ تَتَقَدَّمُ

وَيُشَرَّدُ الأَحْرَارُ في أفْوَاهِهِمْ
صَوْتُ الجِهَادِ قَصَائِدٌ وَتَرَنُّمُ

وَتُبَاحُ أَسْوَاقُ البِلَادِ لِغَاصِبٍ
يَوْمَ الجَلَاءِ! وَقِيلَ ذَلِك مَغْنَمُ

★ ★ ★



وَمَحَاكِمُ التَّفْتِيشِ مَدَّ رُوَاقَهَا
كَفٌّ يَسِيلُ عَلى جَوَانِبِهَا الدَّمُ

وَمَهَازِلٌ فِيهَا تُحَاكُ فَأَحْمَقٌ
يَهْذِي، وَحُرٌّ قَيَّدُوهُ وَكَمَّمُوا

وَدَعَوْهُ بَيْنَ بَنَادِقٍ مَصْفُوفَةٍ
وَقَنَاً مُحَدَّدَةٍ وَقِيلَ تَكَلَّمُوا

وَأَخُو القَضَاءِ أَخُو هَوىً وَضَغِينَةٍ
وَجَهَالَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ وَتُرْسَمُ

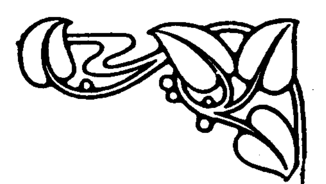
وَدَعَوْا إِلَى حُرِّيَّةٍ وَكَأَنَّهَا
زَنْدٌ يُكَبِّلُهُ الحَدِيدُ وَمِعْصَمُ

يَا شَعْبُ! بِاسْمِكَ كَمْ تُبَاحُ مَظَالِمٌ
وَالشَّعْبُ لَا يَدْرِي وَلَا هُوَ يَحْكُمُ

★ ★ ★

مَالِي أَرَى الشَّرْقَ العَزِيزَ يَسُومُهُ
ذُلُّ الهَوَانِ وَيَسْتَبِيحُ مُقَدَّمُ

كَفُّ الطُّغَاةِ مِنَ الدِّمَاءِ خَضِيبَةٌ
وَقُلُوبُهُمْ دِمَنٌ وَوَجْهٌ أَجْهَمُ



تَهْوي الــرُّؤوسُ على الــسُّــيُوفِ كأنَّـــمَا
تَهْوي على ثَغْــرِ الحَــبِــيبِ وَتَــلْــثُمُ

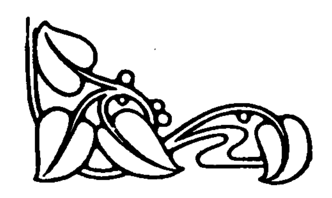
وَالـــسَّـــائِــرُونَ على الــطَّريق خُطاهُـــمُ
لَهَبٌ إذا صَرِعُــوا يَمُــدُّ وَيقْــحَــمُ

وَالــنَّــاشِرُونَ رِسَــالَــةً وَضَّــاءَةً
مِلءَ الــزَّمَــانِ جُنُــودُهُــمْ لاَ تُهْزَمُ

وَعُــرَى الجِــهَــادِ يَشُــدُّ مِنْ تَوْثِــيقِــهَــا
حَبْــلُ الــعَــقِــيدَةِ وَالــضَّــحَــايَا وَالــدَّمُ

١٩٥٥

★ ★ ★





في رثاء الأستاذ الشهيد سيد قطب.

وتبسمت حين أشرق فجرٌ

غَرِّدِي يَا طُيُورُ وَالتَقِطِي الحَبْـ
ـبَ وَطُوفِي بِرَوْضَةٍ وَمَغَانِي

وَانْشُرِي مِنْ رُؤَى الخَمَائِلِ أَفْيَا
ءً وَمُدِّي غِلَالَةً مِنْ أَمَانِ

وَاخْفِقِي بِالرِّضَاءِ أَجْنِحَةَ الخَـ
ـيْرِ عَلَى غُصْنِ رَوْضِكِ الرَّيَّانِ

وَاعْبِقِي يَا زُهُورُ بِالأَرَجِ الحُلْـ
ـوِ وَتِيهِي عَرَائِساً فِي جِنَانِ

عُرُسٌ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَفْـ
ـرَاحٌ رُؤَاهَا مَمْزُوجَةُ الأَلْوَانِ

عُرُسٌ تَرْقُصُ الخَـرَائِـدُ فِيهِ
عَبْـقَـرِيُّ الأَشْـوَاقِ وَالأَلْحَـانِ

تَتَـثَـنَّـى أَطْـيَافُـهُ مُلْهِـمَاتٍ
وَالأَهَـازِيجُ خَفْـقَـةُ الإِيمَانِ

يَمْـلأُ الأُفْـقَ مِنْ سَنَـا قَطَرَاتٍ
مِنْ دَمٍ رَاعِـفٍ وَنُـورٍ حَانِي

تَتَـلالاَ كَأَنَّهَا رَعَـشَـاتُ الـ
ـرُوحِ أَوْ وَمْـضَـةٌ مِنَ الإِحْـسَـانِ

تَسْـأَلُ ، الحُـورُ : أَيُّ رُوحٍ زَكِـيٍّ
مُلْهَـمِ الـشَّـوْقِ مُفْـعَـمِ الـوِجْـدَانِ

أَيُّ رُوحٍ هَفَـا فَخَـفَّ إِلَـيْهِ
عَبَـقٌ وَاسْـتَـحَـثَّ مِنْ رِضْـوَانِ

إِنَّـهُ سَيِّدٌ! دَعَـتْـهُ إِلَى الخُـلْـ
ـدِ نِدَاءَاتُ شَوْقِـهِ الـظَّمْآنِ

★ ★ ★

إِنَّـهُ خَفْـقَـةُ الـيَقِـينِ، أَمَـانِـيْـ
ـيُ جِهَـادٍ نَسَـائِـمُ الـقُـرْآنِ

هَبَّ كالـلَّيْثِ، وَالـدَّيَاجِـيرُ حَمْقَـى
جَاحِمَـاتٍ مَفْـلوتَـةَ الأَرْسَـانِ

لُجَجـاً مِنْ نَوَازِعِ الشَّرِ سُودَاً
مُثْـقَـلاتٍ هَدَرْنَ بِالْحَـدَثَـانِ

تَنْـزِعُ الـنَّـاسَ، وَالْخَـلاَئِـقُ حَيْرَى
تَائِـهَـاتِ الأَبْـصَـارِ وَالآذَانِ

كُتَـلٌ! كالـعَـبِـيدِ يَنْهَـبُـهَـا الـسَّـوْ
طُ جُنُـونـاً تُسَـاقُ كالـقِـطْعَـانِ

الـطَّرِيقُ الـطَّويلُ شَقَّ عَلَيْهَـا
فَهَـوَتْ في مَزَالِـقٍ وَهَـوَانِ

فِتْـنَـةٌ تُهْدَرُ المُـرُوءَاتُ فِيهَـا
وَتُـرَدَّى كَرَامَـةُ الإِنْـسَـانِ

وَالـنِّـدَاءُ الـكَـرِيـمُ يَخْنُـقُـهُ الـلَّيْـ
ـلُ وَتَـطْغَـى دَعَـاوَةُ الـكُـفْـرَانِ

جَفَّ في الحَـلْقِ كُلُّ صَوْتٍ نَدِيٍّ
كَجَـفَـافِ المِـيَاهِ في الـعِـيدانِ

وَتَــلاشَــى على ثَنَــايَا شِفَــاهٍ
كَتَــلاشِي الــرُّوَاءِ في الأَغْــصَــانِ

وَهَــوَى الصَّرْحُ، وَالحِــجَــارَةُ مُزِّقــ
ـنَ وَمَــادَتْ قَوَاعِــدُ الأَرْكَــانِ

كُلُّ صَخْــرٍ على الــثَّــرَى قِصَّــةُ المَــجْــ
ـدِ، حَديثٌ يُتْــلى على الأَزْمَــانِ

الــصُّــخُــورُ الــصَّــماءُ تَصْرَخُ غَوْثَــاً
وَالــوَرَى مُلْجَــمٌ بِغَــيْرِ لِسَــانِ

تَدْمَــعُ الــزَّهْــرَةُ الــنَّــدِيَّةُ في الــرَّوْ
ضِ وَلَــكِــنْ لَمْ تَدْمَــعِ الــعَــيْنَــانِ

يَجْمَــعُ الــطَّيْرُ مِنْ أَسَــاهُ جَنَــاحَــيْــ
ـهِ وَيَمْضي مُرَجِّــعَ الأَحْــزَانِ

وَالــرِّيَاحُ الهَــوْجَــاءُ تَنْــدُبُ أَمْجَــا
داً وَأَصْــدَاؤُهَــا بِكُــلِّ مَكَــانِ

غَيْرَ أَنَّ الــعَــبِــيدَ قَتَّــلَهَــا الــذُّ
لُّ فَلَمْ تَرْتَــعِشْ لِسَــوْطِ هَوَانِ

★ ★ ★

وَإذا الحــقُّ صَيْحَــةٌ تَتـعَــالَى
وَإذا الأُفــقُ مِنْــبَرٌ لِأذانِ

وَتَــعَــالَــتْ اللهُ أكْـبَرُ في الأَرْ
ضِ ، على رَبْــوَةٍ على شُطْآنِ

وَانْــطَوَى الــلَّيْلُ عَنْ سَنَــا الـفَـجْـرِ أَنْــوَا
راً وَلاَحَــتْ بَشَــائِــرٌ وَأَمَــانِي

دَعْــوَةٌ مِنْ صَدَى الــنُّبُــوَّةِ مِنْ أَنْـ
ـفَــاسِ آيَاتِ مُحْكَــمِ الــقُــرْآنِ

يَنْهَضُ الصَّرحُ في شُمُــوخٍ وَتَــرْقَــى
عَزَمَــاتُ الــبَــنَّــاءِ بالــبُــنْيَانِ

أَلَــقٌ في ذُرَاهُ كالأَنْــجُــمِ الــزُّهْـ
ـرِ وَقُــطْبٌ مَنَــارَةُ الــرُّكْبَــانِ

وَمَــضَــتْ دُونَــهُ الــبُــطولاَتُ أَمْــوَاجـ
ـاً وَهَــبَّــتْ كَتَــائِــبُ الــرَّحْمَــانِ

وَتَــرَامَــتْ على الــبِــطاحِ خُيُولٌ
وَتَــلاَقَــتْ صِيْدٌ مِنَ الــفُــرْسَــانِ

* * *

إيهِ يَا سَيِّدٌ حَمَلْتَ إلى النَّا
سِ سَلاَماً وَرَوْعَةً مِنْ بَيَانِ

صُغْتَ مِنْ مُهْجَةٍ تَعَابِيرَ أشْـ
ـوَاقٍ وَمِنْ آيَةِ الكِتَابِ مَعَانِي

وَتَفَيَّأْتَ في ظِلاَلٍ مِنَ الخَيْـ
ـرِ وَأَنْدَاءِ رَوْضَةٍ وَجِنَان

لَمْ تَزَلْ تَقْطُفُ الوُرُودَ أكا
لِيلَ وَتُهْدِي قَلاَئِداً مِنْ جُمَانِ

فَمَلَكْتَ القُلوبَ في صِدْقِكَ الحُرْ
رِ وَهَيَّجْتَ حِقْدَ كُلِّ جَبَانِ

وَرَآكَ الكُفَّارُ طَوْداً شَمُوخاً
وَرَأَوْا كَيْدَهُمْ مَضَى لِهَوَانِ

نَفْسُكَ الحُرَّةُ الأَبِيَّةُ عَافَتْ
مَا أَسَالُوهُ مِنْ رَخِيصٍ فَانِي

وَتَعَالَتْ عَنِ الدَّنِيَّةِ كالشَّمْـ
ـسِ عُلُوّاً كالنُّورِ في اللَّمَعَانِ



هَاجَ بِالحِقْدِ مِنْ بُطُولَتِكَ العَبْـ
ـدُ وَثَارَتْ عَوَاصِفُ الشَّنَآنِ

جَعَلُوهَا على يَدَيْكَ حَدِيداً
وأَحَاطُوكَ بِالقَنَا وَالسِّنَانِ

وَأَقَامُوا عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْـ
ـلِ سُجُوناً مَخْنُوقَةَ الجُدْرَانِ

وَسِيَاطاً تَهُزُّ مِنْ مُحْصَدَاتٍ
هَاوِيَاتٍ كالشُّهْبِ كالنِّيرانِ

فَإِذا أَنْتَ بَيْنَهُمْ سَيِّدٌ حُـ
ـرٌّ حَوَالَيْكَ عُصْبَةُ العُبْدانِ

وَتَلَفَّتَّ هَازِئاً، وَتَهَاوَتْ
تَحْتَ عَيْنَيْكَ سَطْوَةُ السُّلْطَان

وَالخَفَافِيشُ مِنْهُمُ بِالزَّوايا
فَزِعَتْ مِنْ بَوَارِقِ الإِيمَانِ

لانَ في كَفِّكَ الحَدِيدُ كما لِنْـ
ـتَ على آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ

وَحَنَا السَّوْطُ : خَفْقَهُ لَمَسَاتٌ
مِنْ نَسيمٍ يَحْنُو على الأَغْصَانِ

وَأَقَمْتَ الصَّلاةَ وَارِفَةَ الظِّلْـ
ـلِ رِيَاضاً تَهُزُّ مِنْ رَيْحَانِ

وَالْخُشُوعُ النَّدِيُّ آفَاقُ رُوحٍ
حَانِيَاتٌ حَبِيبَةُ الخَفَقَانِ

★ ★ ★

كم أَرَادُوكَ لو أَخَذْتَ الدَّنَايَا
لَوْ رَضِيتَ الفَرِيدَ مِنْ تِيجَانِ

هَزِئَتْ نَفْسُكَ العَظِيمَةُ مِنْهُمْ
دَفَعَتْ كَيْدَهُمْ إلى خُسْرَانِ

فَأَتَوا يُرْهِبُونَ جِسْمَكَ بِالْمَوْ
تِ تَلَاقَوْا عَلى هَوىً وَهَوَانِ

وَأَقَامُوا لَكَ المَشَانِقَ أَعْوَا
داً وَمَدُّوا جَبَائِلَ البُهْتَانِ

فَمَضَى! وَالجَلالُ يَخْفُقُ أَنْوَا
راً وَهَبَّتْ رَوَائِحٌ مِنْ جِنَانِ

وَظِـلالُ الـقُـرْآنِ حَوْلَـكَ أَفْـيَا
ءُ وَأَنْـدَاؤُهَـا شَذَا الإِحْـسَـانِ

وَتَـبَـسَّـمْـتَ حِينَ أَشْرَقَ فَجْـرٌ
وَأَطَـلَّتْ مِنَ الخُـلُودِ أَمَـانِي

وَتَـرَكْـتَ الـذَّلِـيلَ يَقْـتُـلُهُ الحِـقْـ
ـدُ عَلَى مِرْجَـلٍ مِنَ الـغَـلَيَانِ

★ ★ ★

أَيْنَ فِرْعَـوْنُ! وَالـعِـصَـابَـةُ! وَالـسَّـوْ
طُ..! وَذُلُّ الـرِّفَـاقِ وَالأَعْـوَانِ

هَلَكُـوا فِي مَتَـاهَـةِ الشِّرْكِ أَجْـيَا
فًا وَحَـلَّقْـتَ فِي نَعِـيمٍ حَانِي

وَتَـعَـالَى الإِيمَانُ فِي رَوْعَـةِ الـنَّـصْـ
ـرِ وَإِيثَـارِ جَنَّـةِ الـرَّحْـمَـانِ

كم شَهِـيدٍ مَضَـى فَرَقَّ لَهُ الـسَّـوْ
طُ وَلاَنَ الحَـدِيدُ فِي تَحْنَـانِ

كم شَهِـيدٍ مَضَـى عَلَى خَفَـقَـاتٍ
مِنْ صَلاةٍ بِجَـوْفِ لَيْلٍ قَانِي

كم شَهِيدٍ مَضَى فَخَفَّتْ إِلَيْهِ الْـ
حُورُ بُشْرَى عَرَائِسٍ وَغَوَانِي

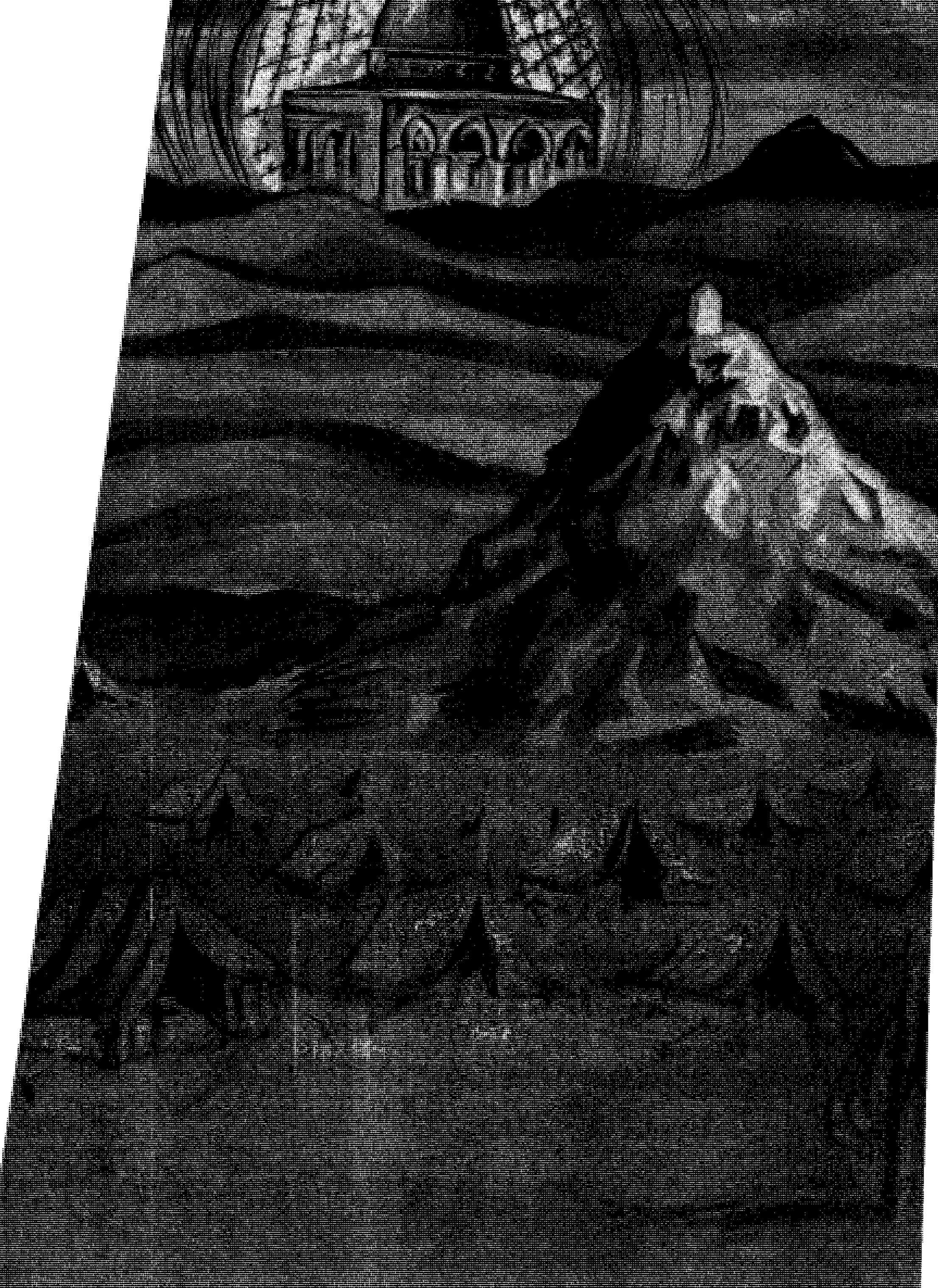
صَنَعَتْهُم مِنْ الكِتَابِ تَرَاتِيـ
ـلُ قِيَامٍ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ

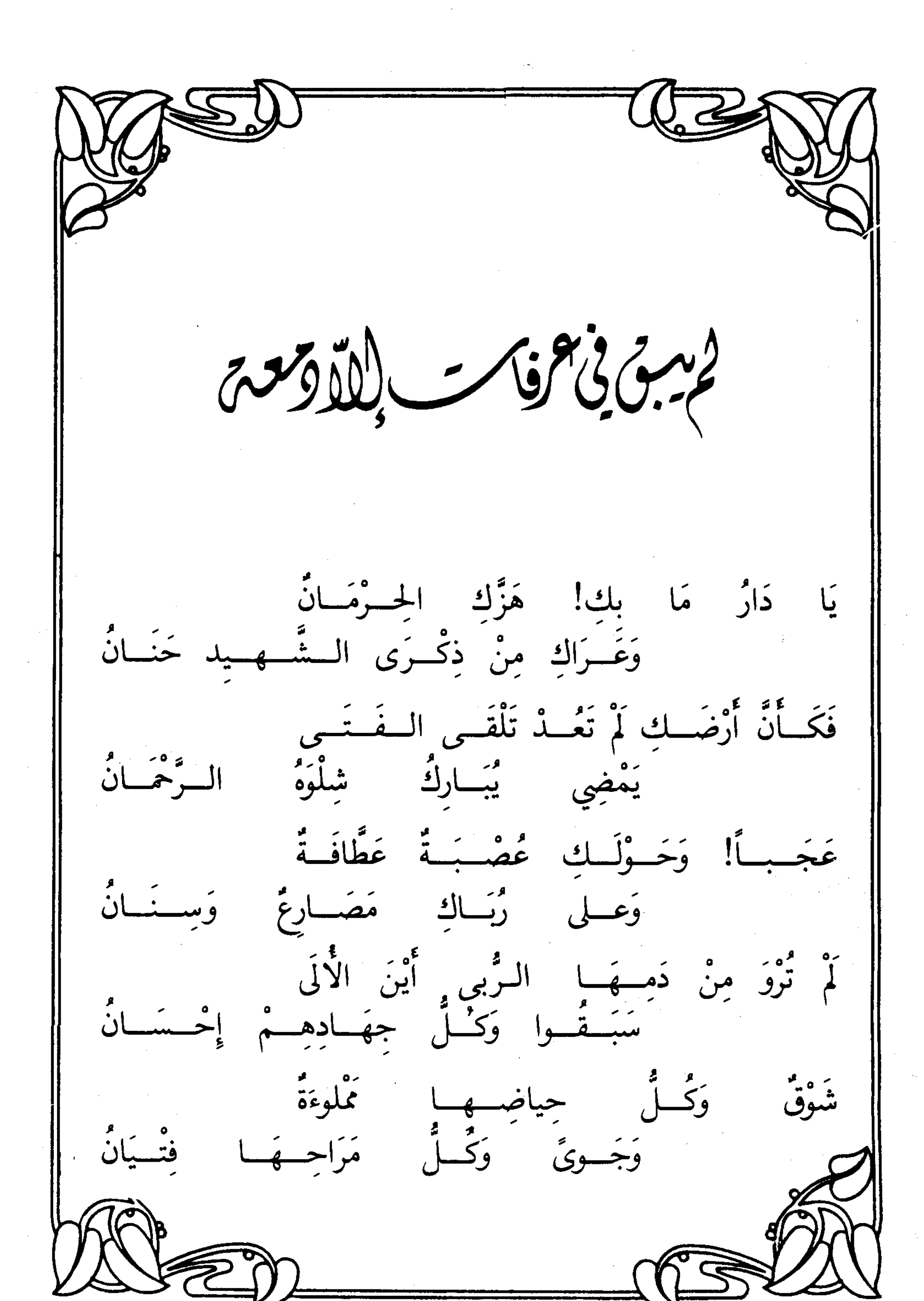
فَمَضَيْتُمْ مَعَالِماً في طَرِيقٍ
وَمَنَاراً لِلتَّائِهِ الحَيْرَانِ

١٩٧٢

* * *

لم يبق في عرفات إلّا دمعة





لم يبق في عرفات إلا دمعة

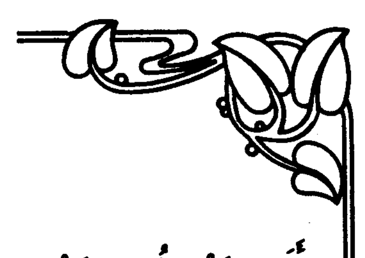
يَا دَارُ مَا بِكِ! هَزَّكِ الحِـرْمَـانُ
وَعَـرَاكِ مِنْ ذِكْـرَى الـشَّـهِيد حَنَـانُ

فَكَـأَنَّ أَرْضَـكِ لَمْ تَعُـدْ تَلْقَـى الـفَـتَـى
يَمْضِي يُبَـارِكُ شِلْوَهُ الـرَّحْمَـانُ

عَجَـبـاً! وَحَـوْلَـكِ عُصْـبَـةٌ عَطَّافَـةٌ
وَعَـلى رُبَـاكِ مَصَـارِعٌ وَسِـنَـانُ

لَمْ تُرْوَ مِنْ دَمِـهَـا الـرُّبى أَيْنَ الأُلَى
سَبَـقُـوا وَكُـلُّ جِهَـادِهِـمْ إِحْـسَـانُ

شَوْقٌ وَكُـلُّ حِيَاضِـهَـا مَمْلوءَةٌ
وَجَـوىً وَكُـلُّ مَرَاحِـهَـا فِتْـيَانُ



أَنَــا مَهْبِطُ الــوَحْيِ الكــريمِ وَسَــاحَــةُ الـ
ـمَسْرى الـعَـظِيمِ وَآيَةٌ وَجِـنَــانُ

حَرَمٌ يُبَــارِكُــهُ الإِلَــهُ : رَحِــيقُــهُ
تَغْـنَــى بِهِ الــذُّرُوَاتُ وَالــوُدْيَانُ

حَرَمٌ تَحِنُّ لَهُ الـقُـلوبُ وَيَرْتَــوِي
عِنْــدَ الــلِّقَــاءِ وَخَــفْــقِــهِ الـظَّمْآنُ

أَنَــا مِنْ هُنَــاكَ! جَلَتْ مَرَابِــعِــيَ الــنُّـبُــوْ
وَةُ وَالــتَــقَــتْ فِي سَاحِــيَ الــفُــرسَــانُ

أَنَــا مِنْ ثَرَى عَدْنٍ طَوَيْتُ جِنَـانَها
قُدْسَــاً وَمَــكَّــةَ ضَمَّــهَــا رِضْــوَانُ

لَا أَرْتَضِي إِلَّا الــدِّمَــاءَ غَوَالِــيَاً
لِلَّهِ! يَصْــدُقُ بَيْعَــهــا الــطَّعَّــانُ

تَجْلُو مِنَ الأَنْــوَارِ ثَرَّ نَجِــيعِــهَــا
وَيَفِــيضُ مِنْ رَيِّ الــقَــنَــا الإِيمَانُ

★ ★ ★

تَتَــلَفَّــتُ الــدُّنْــيَا على سَاحَــاتِــهِ
وَتُــغَضُّ مِنْ فَرْطِ الأَسَــى أَجْــفَــانُ

الـذِّكْـرَيَاتُ الخَـالِـيَاتُ بَوَارِقٌ
يَطْوي لَوَامِـعَ بَرْقِـهِـنَّ دُخَـانُ

جَوْنٌ تَلُفُّ الـدَّارَ في طَيَّاتِهَـا
وَتَمُـورُ في أَحْـشَـائِـهَـا الأَحْـزَانُ

مَا أَرْعَـدَتْ إلَّا نُوَاحَ مُصِـيبَـةٍ
وَالـدَّمْـعُ بَيْنَ سَوَادِهَـا حَيْرَانُ

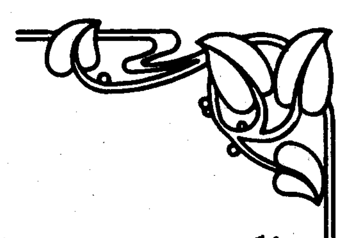
أَلْـقَـتْ بِكَـلْكَـلِهَـا بِكُـلِّ ثَنِـيَّةٍ
وَمَـضَـتْ تَجُرُّ ظَلاَمَـهَـا الـشُّطْآنُ

أَحْـنَـتْ مَنَـائِـرَهَـا الهِـضَـابُ تَفَـجُّـعَـاً
وَبَـكَـى عَلى فُرْسَـانِـهِ المَـيْدَانُ

وَتَـشَـعَّـبَـتْ دُونَ الـظَّلَامِ مَسَـالِـكٌ
شَتَّـى وَكَـانَ سَبِـيلَنَـا الـقُـرْآنُ

وَتَـبَـعْـثَـرَتْ في كُلِّ نَاحِـيَةٍ رُؤًى
وَطَـغَـى عَلى أَشْـبَـاحِـهَـا الـنِّـسْيَانُ

★ ★ ★



رُدِّي رَوَابِي الصِّين أَيْنَ قُتَيْبَةُ[1]
والسُّورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الفُرْسَانُ

حَمَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تُرَابِكِ حَفْنَةً
صِيدٌ يُجَرُّ أُنُوفَهَا الإِذْعَانُ

لِيَدُوسَهَا وَيَبَرَّ بِالقَسَمِ العَظِيـ
ـمِ وَيَنْثَنِي مِنْ كَفِّهِ الإِحْسَانُ

فَإِذَا بِهِ يُلْقِي عَلَيْكِ مِنَ الهُدَى
أَلَقاً وَيَعْلُوْ بَعْدَ ذُلٍّ شَانُ

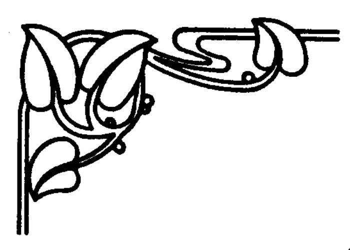
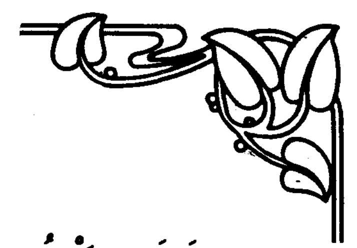
★ ★ ★

وَالسِّنْدُ مَا لِلدَّاجِيَاتِ تَلُفُّهُ
وَالذِّكْرَيَاتُ عَلى ذُرَاهُ أَذَانُ

رُدَّتْ إِلَيْهِ مِنَ اللَّيالِي سُودُهَا
وَاسْوَدَّ بَعْدَ صَفَائِهِ مُهْرَانُ

رُدِّي رَوَابِي الهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ الرْ
رَحْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُّلْطَانُ

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي الذي أخذ الجزية من مَلِكِ الصين وقد أقسم أن يدوس تراب الصين. وعندما خضع ملك الصين ودفع الجزية حمل بعض رجاله ترابا من الصِّين ليدوسه قتيبة ويبّر بقسمه وذلك بحدود عام ٩٦ هـ.

كم كَانَ يَبْرقُ في دِيَارِكِ نُورُهَــا
أَمْـنـاً! فغَـابَ فَأَيْنَ مِنْـكِ أَمَـانُ

فَتَـقَـطَّعَـتْ منْـكِ الـرُّبَـى وَتَمَـزَّقَـتْ
مِنْـكِ الـرُّؤى وَتَـنَـاثَـرَ الإِيوَانُ

★ ★ ★

دَارَ الـسَّـلام وَأَيُّ لَحْنٍ لَمْ يَكُـنْ
شَكْـوى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ بَغْـدَانُ

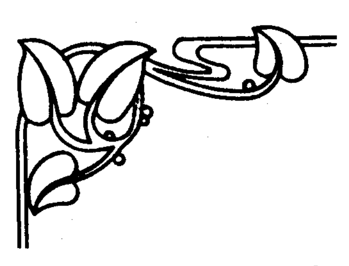
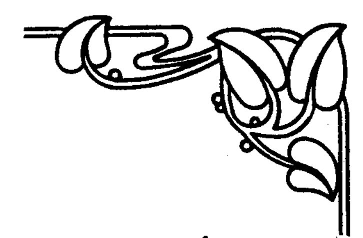
ذِكْـرَى لِدِجْـلَةَ وَالـفُـرَاتِ وَسَـاحَـةٍ
غَنَّـاءَ تَخْفِـقُ عِنْـدَهَـا الأَلْحَـانُ

تَمْضِي رُبَـى الأَرْدُنِّ بَيْنَ مِيَاهِـهَـا
ذِكْـرَى يُعِـيدُ رَوَاءَهَـا الجَـرَيَانُ

ذِكْـرَى تَمُرُّ بِكُـلِّ خَفْـقَـةِ مَوْجَـةٍ
أَوْ زَهْـرَةٍ فَاحَـتْ بِهَا عَمَّانُ

وَدِمَـشْـقُ تَطْوِيهَـا الـضُّـلُوعَ صَبَـابَـةً
وَتَـغِـيبُ بَيْنَ جُفُـونِيَ الـسُّـودَانُ

آلـمَـغْـرِبُ الـزَّاهِـي أَرُدُّ لِسَـاحِـه
طَرْفِي فَيَهْـفُـو لِلِّقَـا إِخْـوَانُ

يَا تُونُسُ الخَضْرَاءُ عَهْـدِي بِالْهَـوى
صَافٍ وَعَـهْـدِي في الـرُّبَـى رَيْحَـانُ

مَا بَالُ زَهْـرِكِ لا يُرَفْـرِفُ بِالـنَّـدَى
صُبْـحَـاً وَلَا تَضْـحَـى بِهِ أَلْـوانُ

حَالَ الهَـوى عَنْ عَهْـدِ أَحْمَـدَ وَارْتَخَـتْ
مِنْـكِ الـعُـرَى وَتَـبَـدَّلَـتْ أَزمَـانُ

لَولَاَ نَدَى الإِيمَانِ مَا حَمَلَ الـثَّـرَى
نَبْـتَـاً وَلا غَنَّـتْ بِكِ الأَفْـنَـانُ

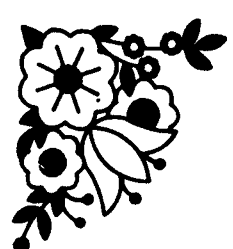
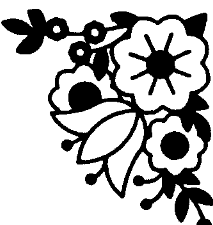
رُدِّيْ لِمصْرَ إِذَا نَظَرْتِ لِنِـيلِهَـا
عُتْـبَـى لِمَنْ صُرِعُـوا هُنَـاكَ وَبَـانُـوا

الـضِّـفَّـتَـانِ رُؤىً يَضُـمُّ شَتَـاتَهَـا
أَيْكٌ وَتَـطوي ذِكْـرَهـا الأَغْـصَـانُ

وَمَـسَـاجِـدٌ نَضَّ الهَـوَى بِقِـبَـابِهَـا
جُنْـحَـيْهِ فَانْـتَـفَـضَـتْ لَها أَحْـزَانُ

الـذِّكْـرَياتُ على رُبَـاهَـا زَهْـرَةٌ
فَيِطِيبُ عِنْـدَ شَمـيـمِـهَـا الـسُّلْوَانُ

★ ★ ★

مَا بَالُ أَنْـدَلُس تجفُّ وُرُودُهَـا
شَجَـنـاً! أَصَـوَّحَ عِنْـدَهَـا الـبُـسْـتَـان

كم كُنْـتِ حَالِـيَةً وَكُـلُّ حُلاَكِ مِنْ
وَمْضِ الهُـدى وَقِـلاَدُكِ الـعِـقْـيَانُ

أَهْـدَى لَكِ الإِسْـلاَمُ أَغْـلَى دُرَّةٍ
وَحَـبَـاكِ ثَوْبَ زَفَـافِـكِ الإِيمَانُ

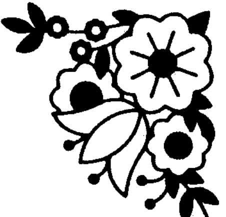
تَمْضِـينَ وَالأَيَّامُ تَنْـشُـرُ وُدَّهَـا
طِيبـاً فَتَـنْـفُضُ عِطْرَهَـا الأَرْدَانُ

مَجْلُوَّةً! وَلِـطَارِقٍ مِنْـكِ الهَـوى
تَهْوِي وَتُصْرَعُ دُونَـكِ الأَقْـرَانُ

يُهْدِي لَكِ الأَمجادَ مِنْ أَنْـصَـالِـهِ
وَتُـصَـاغُ مِنْ أَمْجَـادِكِ الـتِّـيجَـانُ

رُدِّي عَلَيَّ مِنَ الهَـوى وَحَـنَـانِـهِ
كم كَانَ يَحْلو مِنْ هَوَاكِ حَنَـانُ

رَدَّتْ رَوَابِـيكِ الـوِشَـاحَ وَأَغْـمَـضَـتْ
عَيْنـاً وَقَـرَّحَ جَفْـنَـكِ الأَشْـجَـانُ



تمْضِي بِسَاحَتِكِ الهُمُومُ تَثَاقُلاً
وَتَكَادُ تَسْمَعُ خَطْوَهَا الآذَانُ

تَتَقَلَّبُ الأَحْلامُ فِي رَبَوَاتِهَا
وَيَكَادُ يُوقِظُهَا رُؤىً وَطِعَانُ

تَتَلَمَّسُ العَيْنَانِ بَيْنَ رُسُومِهَا
صُوراً فَيَفْلَتُ لِلْخَيَالِ عِنَانُ

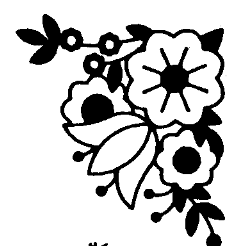
فَإِذَا رُسُومِكِ يَا دِيَارُ شَوَاخِصٌ
نَفَضَتْ غُبَارَ سِنِينِهَا الفُرْسَانُ

نَهَضَتْ وَفِي الكَفَّينِ بَرْقُ نُصُولِهَا
خَطْفٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهَا القُرْآنُ

وَتَلَفَّتَتْ وَالشَّرْقُ بَيْنَ عُيُونِهَا
وَالشَّوْقُ رَقَّ وَهَاجَهُ التَّحْنَانُ

وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى وَبَيْنَ جُفُونِهِ
دَمْعٌ وَبَينَ ضُلُوعِهِ نِيرانُ

يَتَنَاجَيَانِ وَكُلُّ نَجْوَى حُرْقَةٌ
وَلَظىً يَزِيدُ أُوَارَهُ الحَدَثَانُ

لا تَلْتـقـي الـعَـيْنَـانِ إلَّا وَالـدِّمَـا
لَهَبٌ وَكُـلُّ بِطَاحِـهِ بُرْكَـانُ

* * *

يَا لَوْعَـةَ الأَقْـصَـى! وَدَوَّتْ صَرْخَـةٌ
يَطْوِي صَدَاهَـا ذِلَّـةٌ وَهَـوَانُ

أيْنَ الـتُّـقَـاةُ! وَمَـا تَقُـومُ بآيَةٍ
إلَّا وَكَـانَ صَدَى الـقِـيَامِ سِنَـانُ

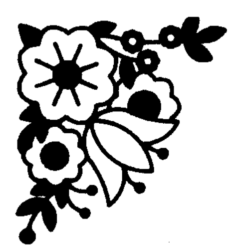
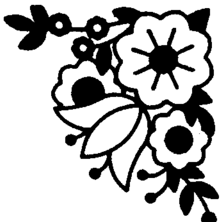
تَحْنِي الـرُّؤُوسَ لِذِي الجَـلالَـةِ سُجَّـداً
وَيَمُـدُّ مِنْ عَلْيَائِـهَـا المَـيْدَانُ

مَهْـوَى الـقُـلوبِ وَلَـيْتَـهَـا إذْ أَقْـبَـلَتْ
أَهْـوَتْ بِسَـاحِـكَ مِنْهُـمُ المُـرَّانُ

يَا لَوْعَـةَ الأَقْـصَـى وَبَـيْنَ ضُلُوعِـهِ
نَارٌ وَفَـوْقَ قِبَـابِـهِ عُدْوَانُ

نَارٌ يَمُـدُّ الحِـقْـدُ كُلَّ أُوَارِهَـا
وَوَقُـودُهَـا الأَمْجَـادُ وَالـتِّـيجَـانُ

وَالمِـنْـبَرُ الـذَّاوِي عَلى دَرَجَـاتِـهِ
خَطْوُ الـكُـمَاةِ إذَا عَلَتْ وَأَذَانُ

يَتَفَجَّرُ التَّاريخُ مِنْ أَحْشَائِهَا
شَرَراً وَتُنْشَرُ بَيْنَهُ القِيعَانُ

★ ★ ★

وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى لِمَكَّةَ لَوْعَةٍ
أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الغِرْبَانُ

أُخْتَاهُ! أَيْنَ المُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ
أَيْنَ المَلايِينُ الغُثَاءُ! أَهَانُوا؟

أُخْتَاهُ! وَانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِهِ
وَاغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ

وَهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَدُقَّ حِيَاضَهُ
وَهَوَتْ على أَمْجَادِهِ الجُدْرَانُ

★ ★ ★

القِبْلَتَانِ مَرَابِعٌ مَوْصُولَةٌ
دَرَجَتْ عَلَى سَاحَاتِهَا الفِتْيَانُ

القِبْلَتَانِ يَمُوجُ بَيْنَهُمَا الهُدَى
نُوراً وَيَخْشَعُ عِنْدَهُ الإِنْسَانُ

القِبْلَتَانِ وَكُلُّ رَابِيَةٍ لَهَا
حَرَمٌ وَكُلُّ شِعَابِهِ أَكْنَانُ

يُهْدِي الْحَمامُ إلى الشِّعَافِ هَدِيلَهُ
وَيَرُدُّ جُنْحَيْهِ رِضًى وَأَمَانُ

وَيَضُمُّ بَيْنَهُما ظِلاَلَ نُبُوَّةٍ
وَالصَّاحِبَيْنِ فَطَابَ مِنْهُ مَكَانُ

وَالكَعْبَةُ الغَرَّاءُ بَيْنَ حَجِيجِهَا
نُورٌ وَتَحْتَ ظِلاَلِهِ رُكْبَانُ

تَتَقَطَّعُ الأَيَّامُ مِنْ أَحْدَاثِهَا
وَحَجِيجُهَا مُتَوَاصِلٌ رَيَّانُ

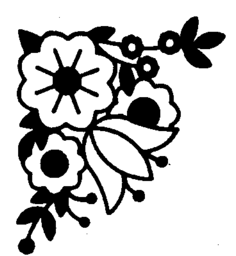
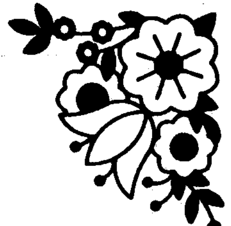
يَسْعَى وَمَا ظَمَأٌ بِهِ، وَبِهَاجِرٍ
ظَمَأُ الرُّبَى وَرَضِيعُهَا ظَمْآنُ

أَجْرَى لَهَا الرَّحْمَانُ زَمْزَمَ آيَةً
فَابْتَلَّتِ السَّاحَاتُ وَالأَزْمَانُ

وَجَرَى بِكُلِّ عُرُوقِهَا مِنْهُ هَوًى
وَصَفَتْ على جَنَبَاتِهَا الغُدْرَانُ

★ ★ ★

أَمَقَامَ إبْرَاهِيمَ وَالبَيْتُ العَتِيـ
ـقُ هُدًى وَآيَاتٌ لَهُ وَبَيَانُ

الـطَّائِـفُـونَ الـرَّاكِـعُـونَ لِرَبِّهِـمْ
خَفَـقَـتْ قُلُوبُهُـمُ وَضَـجَّ لِسَـانُ

تَتَـزَاحَـمُ الأَقْـدَامُ فِي سَاحَـاتِـهِ
وَتَـرِفُّ بَيْنَ ظِلَالِـهِ الأَبْـدَانُ

وَمِـنَـىً صَدَى رَبَـوَاتِهَـا الـتَّـوْحِيدُ وَالـتْـ
ـتَـكْـبِـيرُ وَالإِخْـبَـاتُ وَالإِذْعَـانُ

عَرَفَـاتُ سَاحَـاتٌ تَضِـجُّ وَرَحْمَـةٌ
تَغْـشَـى وَدَمْـعٌ بَيْنَهَـا هَتَّـانُ

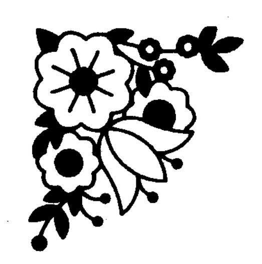
لَبَّـيْكَ يَا أَلـلّهُ! وَانْـطَلَقَـتْ بِهَا
رُسُـلٌ وَفَـوَّحَـتِ الـرُّبَـى وَجِـنَـانُ

لَبَّـيْكَ وَالـدُّنْـيَا صَدىً وَالأُفْـقُ يَرْ
جِعُـهَـا نَدىً يَبْـتَـلُّ مِنْـهُ جَنَـانُ

لَبَّـيْكَ وَحْـدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الـرضا
اَلخَـيْرُ مِنْـكَ بِبَـابِـكَ الإِحْـسَـانُ

★ ★ ★

لَبَّـيْكَ، وَٱلْـتَـفَـتَ الـفُـؤَادُ وَدَارَتِ ٱلْـ
ـعَـيْنَـانِ وَانْـفَـلَـتَـتْ لَهَا الأَشْـجَـانُ



دَقَّتْ قَوارِعُها الدِّيَارَ فَزُلْزِلَتْ
تَحْتَ الخُطى الأَرْبَاضُ وَالأَرْكَانُ

جَمَعَتْ مَرَامِيهِ البِلَادَ فَمشْرِقٌ
غَافٍ وَغَرْبٌ لَفَّهُ النِّسْيانُ

★ ★ ★

أَيْنَ الحَجِيجُ! وَكُلُّ قَلْب ضَارِعٌ
وَمَشَارِفُ الدُّنْيَا لَهُ آذانُ

نَزَعُوا عَنِ السَّاحَاتِ وَانْطَلَقَتْ بِهِمْ
سُبُلٌ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ بُلْدَانُ

وَطَوَتْهُمُ الدُّنْيَا بِكُلِّ ضَجِيجِهَا
وَهَوىً يُمَزِّقُ شَمْلَهُمْ وَهَوَانُ

وَمَضى الحَجِيج كَأَنَّهُ مَا ضَمَّهُمْ
عَرفَاتُ أَوْ حَرَمٌ لَهُ وَمَكَانُ

بِالأَمْسِ كَمْ لَبُّوا عَلى سَاحَاتِهِ
بِالأَمْسِ كم طَافُوا هُنَاكَ وَعَانُوا

عَرَفَاتُ سَاحَاتٌ يَمُوتُ بِهَا الصَّدى
وَتَغِيبُ خَلْفَ بِطاحِهِ الأَلْوَانُ

لَـمْ يَبْـقَ فِي عَرَفَـاتَ إِلَّا دَمْـعَـةٌ
سَقَـطَتْ فَبَـكَّـتْ حَوْلَهَـا الوُدْيَانُ

هِيَ دَمْـعَـةُ الإِسْـلَامِ يَلْمَـعُ حَوْلَهَـا
أَمَـلٌ وَتُهْـرَقُ بَيْنَهَـا الأَحْـزَانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الـقُـرْآنِ دَارُكِ حُلْوَةٌ
مَا طَوَّفَـتْ ذِكْـرَى وَهَـاجَ حَنَـانُ

مَغْـنَـاكِ مَنْـشُـورُ الأَزَاهِـرِ كُلُّهَـا
عَبِـقٌ إِذَا خَضِرَتْ بِهِ الـعِـيدَانُ

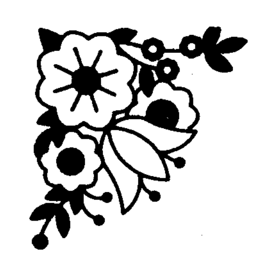
لا أَنْـتَـقِـي مِنْ غَرْسِ رَوْضِـكِ زَهْـرَةً
إِلَّا وَكَـانَ عَبِـيرَهَـا الإِيمَانُ

يَشْـكُـو! وَيَشْـكُـو كُلُّ مَنْ عَرَفَ الهَـوَى
أَوْ هَاجَـهُ مِنْ طَرْفِـكِ الحِـرْمَـانُ

ذَبُـلَتْ أَزَاهِـرُهُ وَصَـوَّحَ رَوْضُـهُ
وَبَـكَـى عَلَى أَطْـلَالِـهِ الـسُّـكَّـانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الإِسْـلَامِ قَدْ عَظُمَ الـبَـلَا
وَارْبَـدَّ فِي سَاحَـاتِـكِ الـطُّغْـيَانُ



أَفَـلَتَّ حَبْـلَ الله وَارْتَخَـتِ الـعُـرى
وَجَـرَتْ على سَاحَـاتِـكِ الـقِـطْعَـانُ

وَهَــجَـرْتِ قُرْآنـاً وَسُـنَّـةَ أَحْمَـدٍ
يَا وَيْلَ مَنْ يَنْـأَى بِهِ الهِجْـرَانُ

لَوَّيْتِ عَنْـهُ الـطَّرْفَ فَانْـتَـفَضَ الأَسَـى
يَلْوِي زِمَـامَ قِيَادِكِ الـشَـيْطَانُ

لَوَّتْ بِكِ الأَيَّامُ في حَوْمَـاتِـهَـا
وَرَمَـاكِ بَيْنَ ضُرُوسِـهِ الـعِـصْيَانُ

دَارَتْ بِك الآثَـامُ مَوْجـاً عَارِمَـاً
وَهَــوَى بِقَـاعِ صَدِيدِهَـا الـشُّبَّـانُ

وَنَـبَـا عَنِ آلْـسَّـاحَـاتِ عِلْمُـكِ وَانْـطَوى
ثَوْبٌ يَلُمُّ ذُيُولَـهُ الخُسْرَانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الـقُـرْآنِ أَيْنَ شَمَائِـلٌ
زَهَـرَتْ بها دَارٌ وَعَـزَّ مَكَـانُ

أَطَـوَيْتِ مِنْ خُلُقِ الـرَّسُـولِ صَحَـائِـفـاً
عَطِرَتْ فَعَـطَّرَ ذِكْـرَهَـا الـقُـرْآنُ

خُلُقُ الـرِّجَـالِ مَعَـادِنٌ لَكِ يُنْـتَـقَـى
مِنْ بَيْنِهَـا الـيَاقُـوتُ وَالَمـرْجَـانُ

فَرَمَـيْتِـهَـا خَلْفَ الـظُّهُـورِ وَرُمْـتِ مَا
تَشْـقَـى بِهِ الأَجْـيَالُ وَالأَوْطَـانُ

وَأَخَـذْتِ مِنْ كُلِّ الـشُّـعُـوبِ ضَلاَلَـةً
فَرَمَـاكِ فِي ظُلُمَاتِـهِ الـكُـفْـرَانُ

أَلْـقَـتْ بِسَـاحَـتِـكِ الـدِّيَارُ ضَرِيعَـهَـا
فَحَـسِـبْـتِ أَنَّ ضَرِيعَـهَـا الـرَّيْحَـانُ

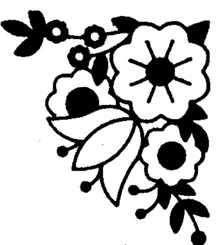
★ ★ ★

أَصْـحَـابَ أَحْمَـدَ! أَيْنَ مِنَّـا جَوْلَـةٌ.
بَرِقَـتْ عَلَى رَهَـجِ الـقَـنَـا الـشُّـهْـبَـانُ

أَكَـتَـائِـبَ الـرَّحْمَـانِ أَيْنَ رِسَـالَـةٌ
فَتَـحَـتْ قُلوبَ الـعَـالَمِـينَ فَدَانُـوا

قُومِـي انـظُرِي الأَحْـفَـادَ! كَيْفَ نُفُـوسُـهُمْ
هَانَـتْ عَلَيْهَـا الَمـكْـرُمَـاتُ فَهَـانُـوا

رُدِّي عَلَيْنَـا مِنْ هُدَاكِ وَلَـقِّـنِي
شَرَفَـاً: حِيَاضُ الـدِّينِ كَيْفَ تُصَـانُ



وَضَـعـي على الـكَـفَّـيـن بَارِقَ صَارِم
لله! تَهْوي دُونَـهُ الأَوْثَـانُ

وَاجْـلي الـقُـلوبَ بفَـيْض نُورِ مُحَمَّـدٍ
لاَ الشِّرْكُ بَيْنَ شِعَـافِـهَـا وَالـرَّانُ

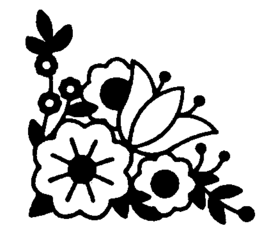
هَلَّا أَعَـدْتِ إلى الـرُّبَـى يَرْمُـوكَـهَـا
وَالـشَّـاطِئَـانِ منَ الـدِّمَـاءِ دِهَـانُ

هَلَّا أَعَـدْتِ إلى الـقُـلُوبِ يَقِـينَهَـا
وَالـبُشْرَيَاتُ نَوَاضِرٌ وَجِـنَـانُ

عَهْـدٌ مَعَ آلـرَّحْمَـانِ أَوْفَى حَقَّـهُ الـتـ
ـتَـوْرَاةُ وَالإِنْـجِـيلُ وَآلْـقُـرْآنُ

١٩٧٢







إلى روح الشاب المؤمن المجاهد الذي نزح عن أرض فلسطين، إلى السجون إلى هنا وهناك يعمل ويجاهد فقضى هناك في ريعان شبابه واخضرار جهاده.

الشهيد

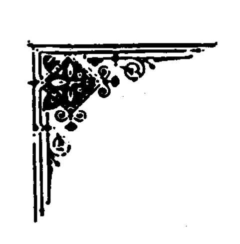
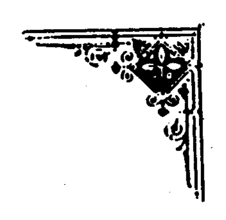
رَجِّعِي يَا رِمَالُ مِنْ أَلْحَانِهْ
وَأَعِيدِي القَصِيدَ فِي مَهْرَجَانِهْ

مَوْكِبٌ شَقَّ فِي بَوَادِيكِ آمَا
لًا وَمَدَّ النَّدِيَّ مِنْ رَيْحَانِهْ

يَنْشُرُ الطَّيْرُ مِنْ ظِلالِ جَنَاحَيْـ
ـهِ وَيَهْوَى السَّحَابُ طِيبَ مَكَانِهْ

يَا رِمَالَ الصَّحْرَاءِ دُونَكِ رَوْضٌ
رَقَّ فِي ظِلِّهِ وَخَفْقَةِ بَانِهْ

أَيْنَ مِنْهُ الهَجِيرُ وَالظِّلُّ مَمْدو
دٌ وَهَذَا الرَّبِيعُ فِي رَيْعَانِهْ

فَاهْنَئي يَا رِمَالُ! ضُمِّي شَذَاهُ
وَانْشُرِي الطِّيبَ أَكْرِمِي مِنْ شَانِهْ

إِنَّهُ وَمْضَةُ الشَّبَابِ بَرِيقٌ
غَابَ تَطْوِي الآفَاقُ مِنْ لَمَعَانِهْ

حَلَّ فِي رَوْضَةٍ فَأَغْفَتْ عَلَيْهِ
أُمْنِيَاتٌ خَفَقْنَ مِنْ وِجْدَانِهْ

★ ★ ★

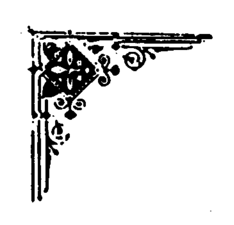
رَوْضَةُ. الحَقِّ! وَالشَّبَابُ أَزَاهِيـ
ـرُ وَطِيبٌ يَرِفُّ مِنْ أَغْصَانِهْ

لَمْ تَزَلْ تَنْتَقِي يَدُ الحَقِّ مِنْهَا
وَرْدَةً بَعْدَ وَرْدَةٍ لِجِنَانِهْ

هِيَ عُقْبَى الإِيمَانِ، غَايَةُ آجَا
لٍ، سِبَاقٌ يَعِجُّ مِنْ فُرْسَانِهْ

فَلَبِيبٌ مَاضٍ يَرُدُّ هَوَى النَّفْـ
ـسِ وَيَرْتَادُ مُمْسِكاً بِعِنَانِهْ

وَجَهُولٌ تَاهَتْ عَلَيْهِ أَمَانِيـ
ـهِ وَأَلْقَتْهُ فِي خِضَمِّ افْتِتَانِهْ





غيْرَ أنَّ الـفِـرَاقَ لَوْعَـةُ أكْـبَـا
دِ وَجَمْـرٌ يَزِيدُ مِنْ حَرَّانِـهِ

دَمْـعَـةٌ لَمْ تَجِفَّ مِنْ أمْسِيَ الـغـا
بِرِ قلبٌ مَازَالَ في خَفَـقَـانِـهْ

كَمْ تَرَانِي شَيَّعْـتُ مِنْ صَاحِـبٍ أوْ
مِنْ خَلِيلٍ أوْفَى على خِلاَّنِـهْ

وَظَـنَـنْـتُ الـدُّمُـوعَ جَفَّـتْ عَلَيْهِ
وَالمَـآسِي نَامَـتْ عَلى أحْـزَانِـهْ

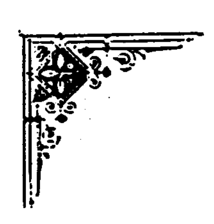
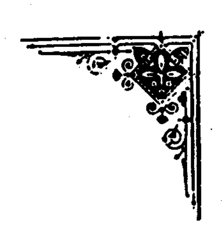
وَإذَا بِالـقَـضَـاءِ أسْرَعُ مِنْ ظَنْـ
ـنٍ وَأمْـضَـى في حَدِّهِ وَسِـنَـانِـهْ

وإذَا بِالمُـصَـابِ أعْـظَمُ من دمْـ
ـعٍ وَأقْـسَـى مِنَ الأَسَـى أو بَيَانِـهْ

جَامِـحٌ في الـضُّـلُوعِ يَقْـطَعُ أحْـنَـا
ءً وَيَفْـرِي الـكُـبُـودَ في حَدَثَـانِـهْ

* * *

حَمَلَتْـهُ الـوُرُودُ وَالـطِّـيبُ فوَّا
حٌ وَرَفَّ الـنَّـدَى على أكْـفَـانِـهْ

وَالأَمَـانِيُّ حَوْلَـهُ صَادِقَـاتٌ
وَرَجَـاءٌ بِالـلَّهِ فِي غُفْـرَانِـهْ

مَا تُمَدُّ الأَكُـفُّ إِلَّا لِتَـلْقَـى
مِنْ شَذاً مُنْـعَـمٍ عَلى جُثْـمَانِـهْ

شَيَّعَـتْـكَ الـعُـيُونُ وَالـغُـصَّـةُ فِي النَّـفْـ
ـسِ وَأَرْخَـى الـفُـؤادُ دَفْـقَ حَنَـانِـهْ

فَمَـضَـى! وَابْـتِـسَـامَـةُ الـثَّـغْـرِ إِشْرَا
قٌ وَنُـورٌ يَفِضُّ مِنْ كِتْـمَانِـهْ

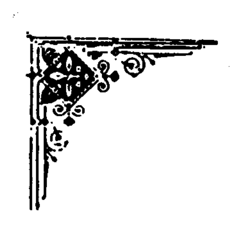
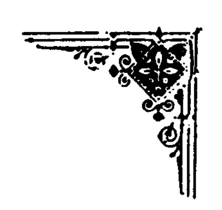
أَيُّ نَجْـوَى سَرَتْ مِنَ الـقَـبْرِ فِي هَذْ
أَةِ لَيْلٍ غَافٍ عَلى أَحْـزَانِـهْ

وَالـسُّـكُـونُ الـرَّهِـيبُ! فَانْـتَـفَضَ الـلَّيْـ
ـلُ وَأَصْـغَـى لِآيَةٍ مِنْ بَيَانِـهْ

مَكْـرُمَـاتُ الإِيمَانِ مُعْـتَرَكُ الحَـقْـ
ـقِ خِضَـمٌّ يَمُـوجُ فِي مَيْدَانِـهْ

★ ★ ★

أَيْنَ «لِـيمَانُ» وَالَمـوَاكِـبُ أَمْـوَا
جُ جِهَـادٍ هَزَزْنَ مِنْ بُنْـيَانِـهْ

وَجُنُونُ السِّيَاطِ يَبْرقُ فِي اللَّيْـ
ـلِ يَشُقُّ الظَّلْمَاءَ عَنْ طُغْيَانِهْ

صَابِراً وَالسِّيَاطُ مَزَّقَهَا الصَّبْـ
ـرُ وَأَعْيَاهَا مِنْهُ ثَبْتُ جَنَانِهْ

بَيْنَ نَزِّ القُرُوحِ أَوْ عَضَّةِ السَّوْ
طِ خُشُوعٌ يَزِيدُ مِنْ إِيمَانِهْ

وَالنَّدَى وَارْتِعَاشَةُ الرُّوحِ وَالأَمْـ
ـنِ وَهٰذِي الظِّلَالُ مِنْ قُرْآنِهْ

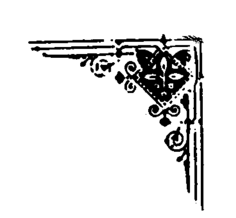
عَالَمٌ طَيِّعُ الأَمَانِيِّ عُلْوِ
يٌّ نِدَاءَاتُهُ عَلَى أَجْفَانِهْ

أَيْنَ سَاحَاتُهُ وَأَيْنَ صَدَاهَا
غَابَ مِنْهَا الصَّدَى عَلَى جُدْرَانِهْ

* * *

يَا قَصِيَّ المَزَارِ. يَا نَائِيَ الدَّا
رِ وَيَا لَاجِئاً إِلَى رَحْمَانِهْ

أَيُّ ظِلٍّ أَهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الطَّـ
ـلِّ وَأَرْخَى النَّدِيَّ مِنْ أَفْنَانِهْ



إِنَّـهُ مِنْ رُبَـى دِيَارِكَ حَنَّـتْ
لِمُحَـيَّاكَ فَالْتَقَـتْ بِحَنَـانِـهْ

كم بَكَـى مَنْـزِلٌ مُدَمَّـى أَسَـاهُ
وَشَـكَـا قَهْـرَهُ وَطُـول هَوَانِـهْ

مَنْ لِهَذا النِّـدَاءِ قَدْ قَرَعَ الأُفْـ
ـقَ وَدَقَّ الـقُـلوبَ في عُنْفُـوَانِـهْ

غَابَ في حَمْأَةِ الـغَـوَايَاتِ أَقْـوَا
مٌ وَصَـمُّـوا الآذانَ عَنْ أَشْجَـانِـهْ

فَاصْـبِري يَا دِيَارُ! وَالحَـقُّ غَرْسٌ
كُلُّ غَرْسٍ يَطِيبُ عِنْـدَ أَوَانِـهْ

يَعْـتَـلِي سَرْوَةَ الْمُـرُوءَاتِ يَطْوي
مِنْ جَنَـاهَـا مَنْ عَزَّ في أَيمَانِـهْ

مُؤْمِـنٌ مَدَّ لِلْعَـقِـيدَةِ مَيْدَا
نَاً وَكَـانَ الجِـهَـادُ زَهْـوَ زَمَـانِـهْ

١٩٧٤

★ ★ ★

رجل أنعم الله عليه بمال ومنصب فالتفَّت حوله الخلان. ثم حال الزمان، وابتلاه الله بعسر ومرض، وانفضَّ من حوله الكثيرون إلا العدد القليل.

اليه

أَيُّهَا الشَّاكِي بِأَنَّاتِ السَّقَمْ
هَلْ هَوَى الصَّبْرُ وَخَانَتْكَ الهِمَمْ

وَانْتَهَتْ فِي جِسْمِكَ الوَاهِي قُوَىً
وَاسْتَوَى عِنْدَكِ يُسْرٌ وَأَلَمْ

***

كم مَشَتْ مِنْ حَوْلِكَ الدُّنْيَا وَكَمْ
كُنْتَ تَلْقَى عِنْدَهَا حُلْوَ النِّعَمْ

وَرَأَيْتَ العُمْرَ يَطْوِي بَعْضَهُ
بَيْنَ أَفْرَاحٍ وَطِيبٍ وَنَغَمْ

* * *

أَتَعِيشُ اليَوْمَ فِي عَهْدٍ مَضَى
وَيَعَضُّ القَلْبَ أَنْيَابُ النَّدَمْ



أَمْ تُرَى انْسَبْتَ مَعَ الأَحْلَامِ في
لَوْعَةِ الذِّكْرَى وَعَهْدٍ لَمْ يَدُمْ

كَأْسُكَ الثَّرَّةُ رَوَّى مَاؤُهَا
مِنْ حَوَالَيْكَ أُنَاسَاً! كَمْ وَكَمْ

بَيْتُكَ الرَّحْبُ احْتَمَى في ظِلِّهِ
صَاحِبٌ كم صَاحِبٍ فِيهِ اعْتَصَمْ

لَمْ تَكُنْ تَلْقَى لَدَى عَرَصَاتِهِ
لَكَ، لَوْ شِئْتَ، سَرِيراً أَوْ قَدَمْ

وَتَرَى الخِلَّانَ كم بَشُّوا لَدَى
ظِلِّكَ الوَارِفِ! كم ثَغْرٌ بَسَمْ

★ ★ ★

وَمَضَى الدَّهْرُ وَغَابَتْ نِعَمٌ
وَطَوَى العِزَّ بِأَثْوَابِ السَّقَمْ

جَفَّتِ الكَأْسُ وَضَاقَتْ سَاحَةٌ
أَيْنَ خِلَّانُكَ أَرْبَابُ الشَّمَمْ

وَانْثَنَى مِنْ حَوْلِكَ النَّاسُ فَمَا
مِنْ صَدِيقٍ مُشْفِقٍ أَوْ ذِي رَحِمْ



عَفَتِ الدُّنْيَا عَلى أَصْحَابِهَا
وَمَضَتْ قِصَّتُهُمْ تَتْلُو الحِكَمْ

فَإذا تَصْحُو عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذا
أَيُّهَا الصَّاحِ! فَلا تَصْحُ وَنَمْ

* * *

نَهَضَ الشَّيْخُ عَلى أَسْقَامِهِ
يَدْفَعُ الأَنَّةَ مِنْ كِبْدٍ وَفَمْ

قَالَ: مَا العِزَّةُ إلَّا لِلَّذي
صَدَقَ اللَّهَ وَأَوْفَى بِالذِّمَمْ

لا بِمالٍ عِزُّنَا أَوْ مَنْصِبٍ
يُورِثُ الذُّلَّ وَغَصَّاتِ النَّدَمْ

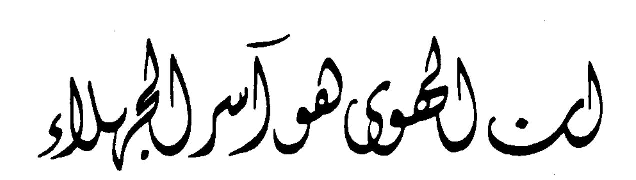
لَمْ يَزَلْ حَوْلِي إِخْوَانُ الهُدَى
صُحْبَةَ الحَقِّ وَعَهْداً مَا انْفَصَمْ

١٩٥١



* * *





إن الهوى هو آسر الجهلاء

كَاتِـمْ فُؤادَكَ عَنْ هَوًى لِظِبَـاءِ
وَانْـشُـدْ مَطَالِـعَ رِفْـعَـةٍ وَعَـلاَءِ

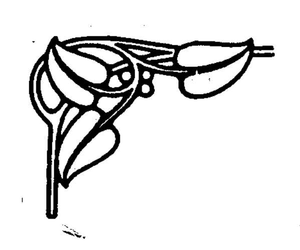
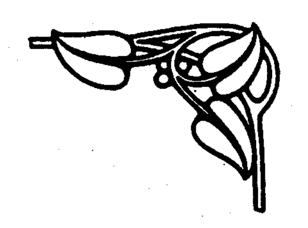
وَاغْـنَـمْ بِمَـطْلَعِـهَـا فَلَيْسَ لِطَالِـع
فَلَكُ الـدَّوَامِ وَطِـيلَةٌ لِبَـقَـاءِ

وَاغْـنَـمْ إِذَا سَمَـحَ الـزَّمَـانُ بِفُـرْصَـةٍ
فُرَصٌ تُطِلُّ وَتَـنْـتَـهِـي لِخَفَـاءِ

يَبْـدُو إِلَـيْكَ الحَظُّ وَهُـوَ مُقَـلَّبُ
كَتَـقَـلُّـبِ الأَنْـوَارِ فَوْقَ المَـاءِ

★ ★ ★

أَمَـلٌ تُظَلِّلُهُ الهُـمُـومُ كَأَنَّـهُ
شَمْسٌ وَرَاءَ سَحَـابَـةٍ دَكْـنَـاءِ

فَاصْـبِرْ لَعَـلَّ الـدَّهْـرَ يَأْذَنُ بُرْهَـةٍ
وَيُعِـدُّ لِلآمَـالِ يَوْمَ لِقَـاءِ

وَاصْـبِرْ عَلَى غُصَصِ الـزَّمَـانِ وَصرْفِـهِ
وَهُـبُـوبِ عَاصِـفَـةٍ مِنَ الأَنْـوَاءِ

وَالـدَّهْـرُ يُلْقِـي لِلأَنَـام مَوَاعِـظاً
هَيْهَـاتَ مُدْرِكُ خُطْبَـةِ الأَرْزاءِ

خُطَبُ الـزَّمَـانِ بِخَـطْبِـهِ فَكَـأَنَّـمَا
خَطَبَ الـزَّمَـانُ كَأَبْـلَغِ الخُـطَبَـاءِ

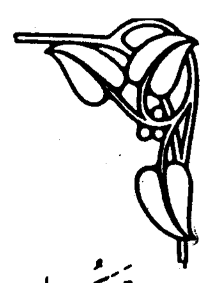
★ ★ ★

وَالـنَّـاسُ إِنْ عَصَـفَ الـزَّمَـانُ عَلَيْهِـمُ
وَأَتَى يَكِـرُّ بِحَـمْـلَةٍ هَوْجَـاءِ

يَتَـصَـارَعُـوا إِذْ لا تَرَى مِنْ سَائِـلٍ
عَنْ خُلَّةٍ أَوْ مُثْـبِـتٍ لِبِـنَـاءِ

شَرِبَـتْ نُفُـوسُـهُـمُ الخِـدَاعُ فَما لَهُمْ
غَيْرُ الخِـدَاعِ وَسِـيلَةٌ لِنَـجَـاءِ

لَا يَبْـتَـغُـونَ مِنَ الحَـيَاةِ سِوَى هَوىً
إِنَّ الهَـوى هُوَ آسِرُ الجُـهَـلاءِ



تركُـوا حِمَى الـرَّحَمـانِ وَانْـقَـادُوا إلى
شَيْطانِهِمْ بِمَـذَلَّـةٍ وَرِضَـاءِ

***

لاَ تَيْأَسِي يَا نَفْسُ إنْ عَبَسَ الـزَّمَـا
نُ فَما الـقُـنُـوطُ بِمُـذْهِـبِ الـبَـأْسَـاءِ

أنْـتِ الـعَـزِيزَةُ : هَلْ يُرَدُّ بِنَـظْرَةٍ
أَسَـدٌ وَيُخْـدَعُ بِابْـتِـسَـامِ مُرَائِـي

١٩٤٤

* * *





عزة الإيمان

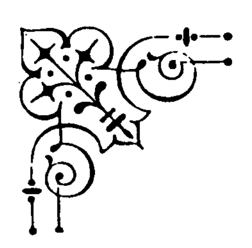
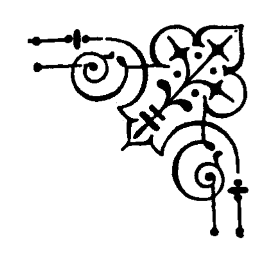
أرَى اللَّيْلَ غارَتْ في السَّماءِ كَواكِبُهْ
فَغارَ فُؤادِي وَالهُمومُ نَوادِبُهْ

أنَا ابْنُ هُمُومِ الدَّهْرِ حِينَ تَمَخَّضَتْ
مَصَائِبُهُ عَنْ عُسْرَةٍ وَنَوائِبُهْ

تَسَرْبَلْتُ جِلْبابَاً مِنَ الصَّبْرِ ضَافِياً
وَلِلْصَّبْرِ جِلْبَابٌ تَطُولُ ذَوائِبُهْ

أسِيرُ على نُورٍ مِنَ اللَّهِ في الدُّجَى
وَأحْدُو رِكَابِي حَيْثُ تَبْدُو مَضارِبُهْ

وَلِي رَائِدٌ يَحْدُو رِكَابِيَ لِلْعُلا
وَيَبْغِي مَنَالاً قَدْ تَعِزُّ مَرَاتِبُهْ

وَمَـا يَئِسَـتْ نَفْسِي الـطَّمـوحَـةُ إذْ رَأَتْ
عَلى الأُفْـقِ جَوْنـاً قَدْ تَعَـكَّـرَ جَانِـبُـهْ

وَلي هِمَّةٌ مَا فَلَّ غَرْبَ[1] مَضَـائِـهَـا
زَمَـانٌ إذا جَارَتْ عَلَيْهَـا مَصَـائِـبُـهْ

فَلي عِزَّةُ الإيْمانِ أَغْـلى مَرامِـهَـا
جِنَـانٌ! فَأَنْـعِـمْ بالَّـذِي أَنْـتَ طَالِـبُـهْ

أَغَـابَ زَمَـانٌ كانَ يَحْلو دَوامُـهْ
وَجَـاءَ زَمَـانٌ لَا تُعَـدُّ مَعَـايِبُـهْ

تَوَارَتْ بِهِ الآسَـادُ خَلْفَ حِيَاضِـهَـا!
أَطَـلَّتْ عَلى الآجَـامِ فِيْهِ أَرانِـبُـهْ

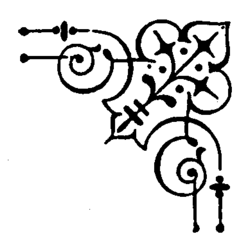
فَذَاكَ صَدِيقٌ كُنْـتَ تَرْجُـو وَفَـاءَهُ
تَنَـمَّـرَ وَامْـتَـدَّتْ إلَـيْكَ مَخَالِـبُـهْ

وَذَاكَ خَلِيْلٌ كُنْـتَ تَأْمَـنُ جَنْـبَـهُ
تَقَـلَّبَ أَفْـعَـى فَانْـبَرَيْتَ تُجَانِـبُـهْ

وَذَاكَ عَزِيزٌ كُنْـتَ تَشْـهَـدُ عِزَّهُ
فَصَـارَتْ عَلى ذُلٍّ تَنَـامُ جَوانِـبُـهْ

---

(١) غرب: نشاط، حدة



وَذاكَ خَليٌّ قَدْ أَمِنْتَ صِلاتَهُ
تَكَشَّفَ مِنْهُ خُبْثُهُ وَغَيَاهِبُهْ

فَهٰذي حَيَاةٌ قَدْ بَلَوْتَ غِمارَها
وَهَذا زَمَانٌ قَدْ أَتَتْكَ عَجائِبُهْ

عَلى صَفْحَةِ التَّاريخِ خَطَّ مَواعِظاً
وَفي حُفَرِ الآبَاءِ سُنَّتْ مَذاهِبُهْ

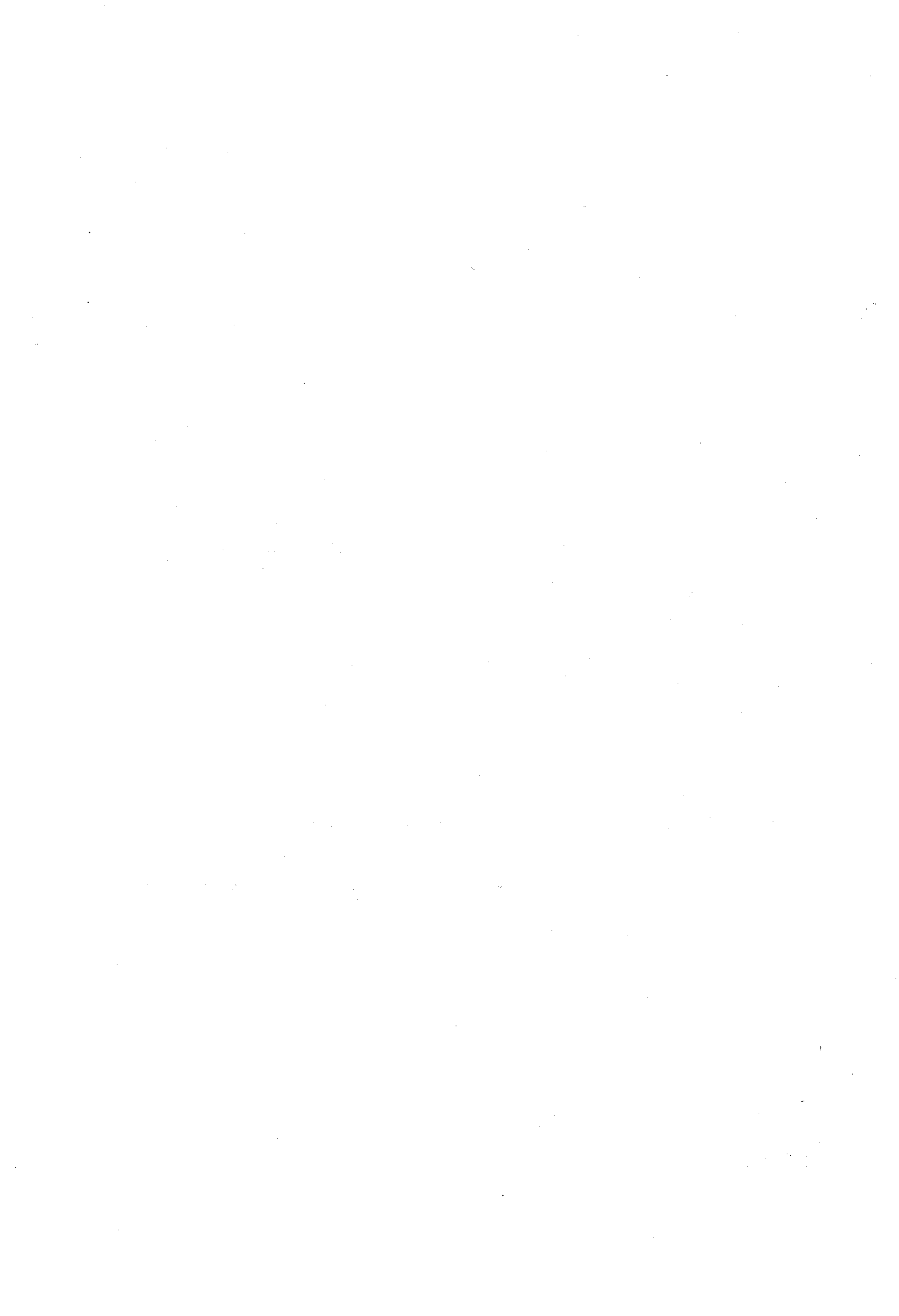
وَفي جَبْهَةِ الشَّيْخِ العَجُوزِ لَهُ يَدٌ
وَفي قَلْبِهِ آياتُهُ وَمَآرِبُهْ

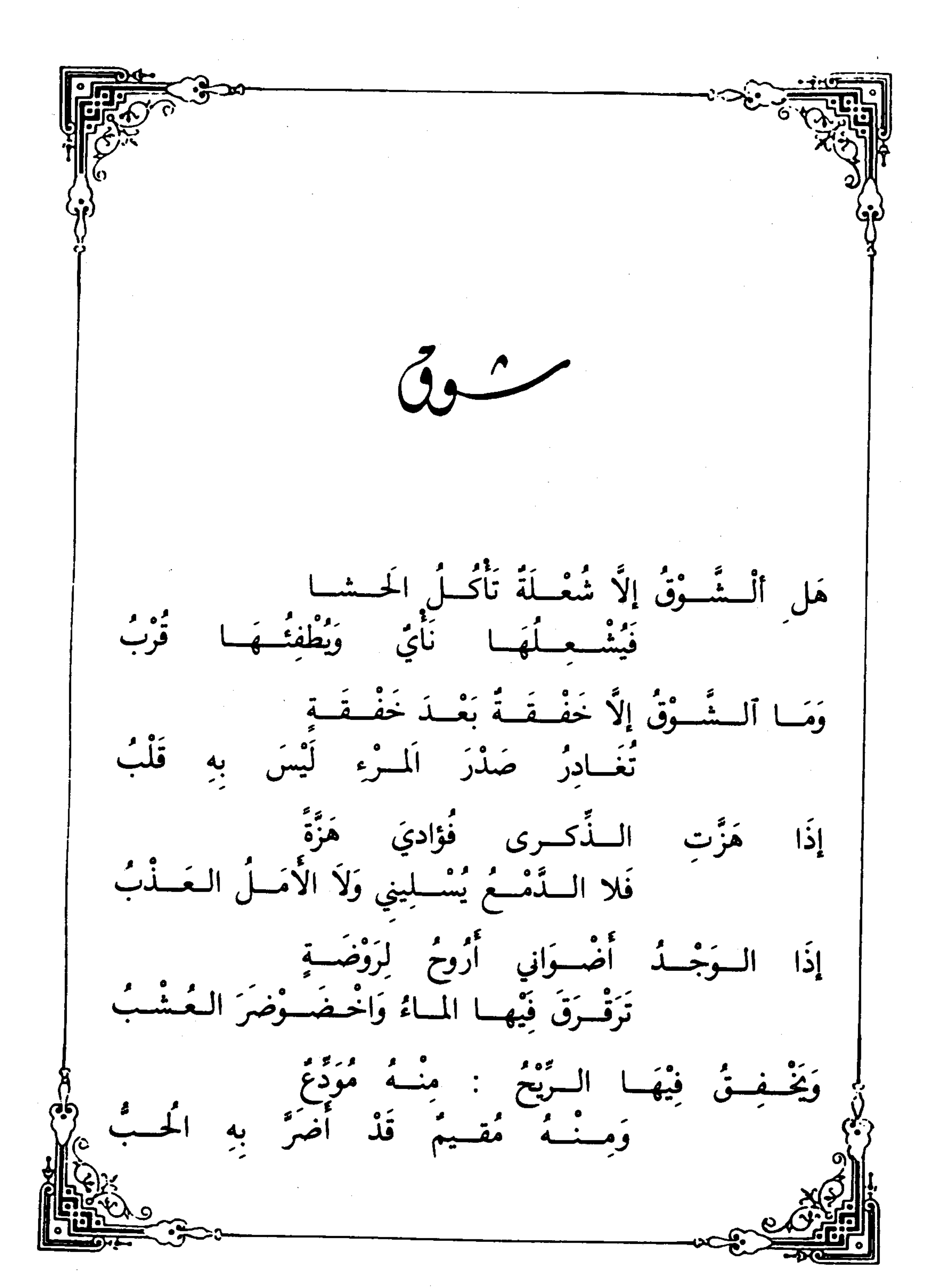
هُوَ اللَّهُ رَبُّ الكَوْنِ دَبَّرَ أَمْرَهُ
وَكُلُّ الَّذي تَلْقَى سَتَبْدُو عَواقِبُهْ

هِوَ الحَقُّ، وَالآيَاتُ بَيَّنَها لِمَنْ
أَرادَ لَها سَمْعاً وَصَحَّتْ رَغائِبُهْ

١٩٤٤

* * *





شوق

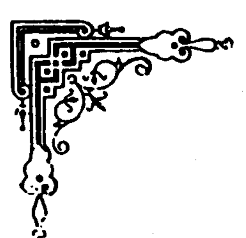
هَل ألْـشَّـوْقُ إلاَّ شُعْـلَةٌ تَأْكُـلُ الحَـشـا
فَيُشْـعِـلُهَـا نَأْيٌ وَيُطْفِئُـهَـا قُرْبُ

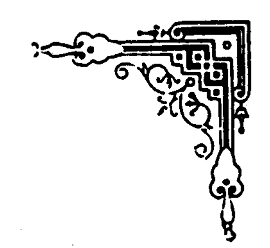
وَمَـا آلـشَّـوْقُ إلاَّ خَفْـقَـةٌ بَعْـدَ خَفْـقَـةٍ
تُغَـادِرُ صَدْرَ المَـرْءِ لَيْسَ بِهِ قَلْبُ

إذَا هَزَّتِ الـذِّكْـرى فُؤادِيَ هَزَّةً
فَلا الـدَّمْـعُ يُسْـلِيني وَلاَ الأَمَـلُ الـعَـذْبُ

إذَا الـوَجْـدُ أَضْـوَاني أَرُوحُ لِرَوْضَـةٍ
تَرَقْـرَقَ فِيْهَـا المَـاءُ وَاخْـضَـوْضَرَ الـعُـشْـبُ

وَيَخْـفِـقُ فِيْهَـا الـرِّيْحُ : مِنْـهُ مُوَدِّعٌ
وَمِـنْـهُ مُقـيمٌ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الحُـبُّ





يُعانِقُ فِيهَا الزَّهْرَ وَالزَّهْرُ طَيِّعٌ
يَميلُ فَيَرْضَى ثُمَّ يَبْدُو لَهُ رَيْبُ

فَيَا أَيُّهَا الزَّهْرُ الَّذي دَأْبُهُ الهَوى
يُصَادِقُهُ حِبٌّ وَيَخْدَعُهُ حِبُّ

إِذَا مَرَّ يَوْمَاً قُرْبَ رَوْضِكَ عَاشِقٌ
فَحَدِّثْهُ مَاذا يَفْعَلُ العَاشِقُ الصَّبُّ

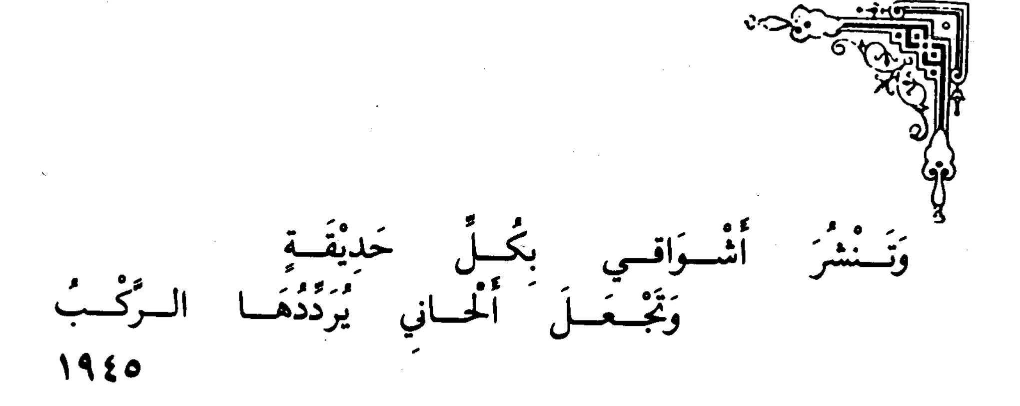
وَمَا بالُ هَذا آلطَّيرِ يَشْدُو كأَنَّهُ
أُصِيبَ بِمَقْدُورٍ يَطيرُ لَهُ اللُّبُّ

أَمِ الوَجْدُ أَشْجَاهُ فَأَرْسَلَ نَغْمَةً
يُدَاوي الَّذِي قَدْ حَارَ في أَمْرِهِ الطِّبُّ

تَنَقَّلَ مَا بَيْنَ آلغُصُونِ كأَنَّهُ
يُفَتِّشُ عَنْ إِلْفٍ تَقَاذَفَهُ الخَطْبُ

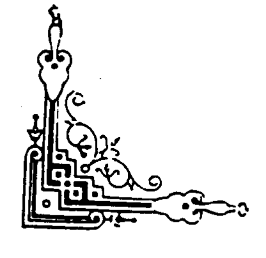
أَثَرْتَ الهَوى يَا طَيْرُ في كُلِّ رَوْضَةٍ
فَمالَ يُنَاجِي إِلْفَهُ الغُصُنُ الرَّطْبُ

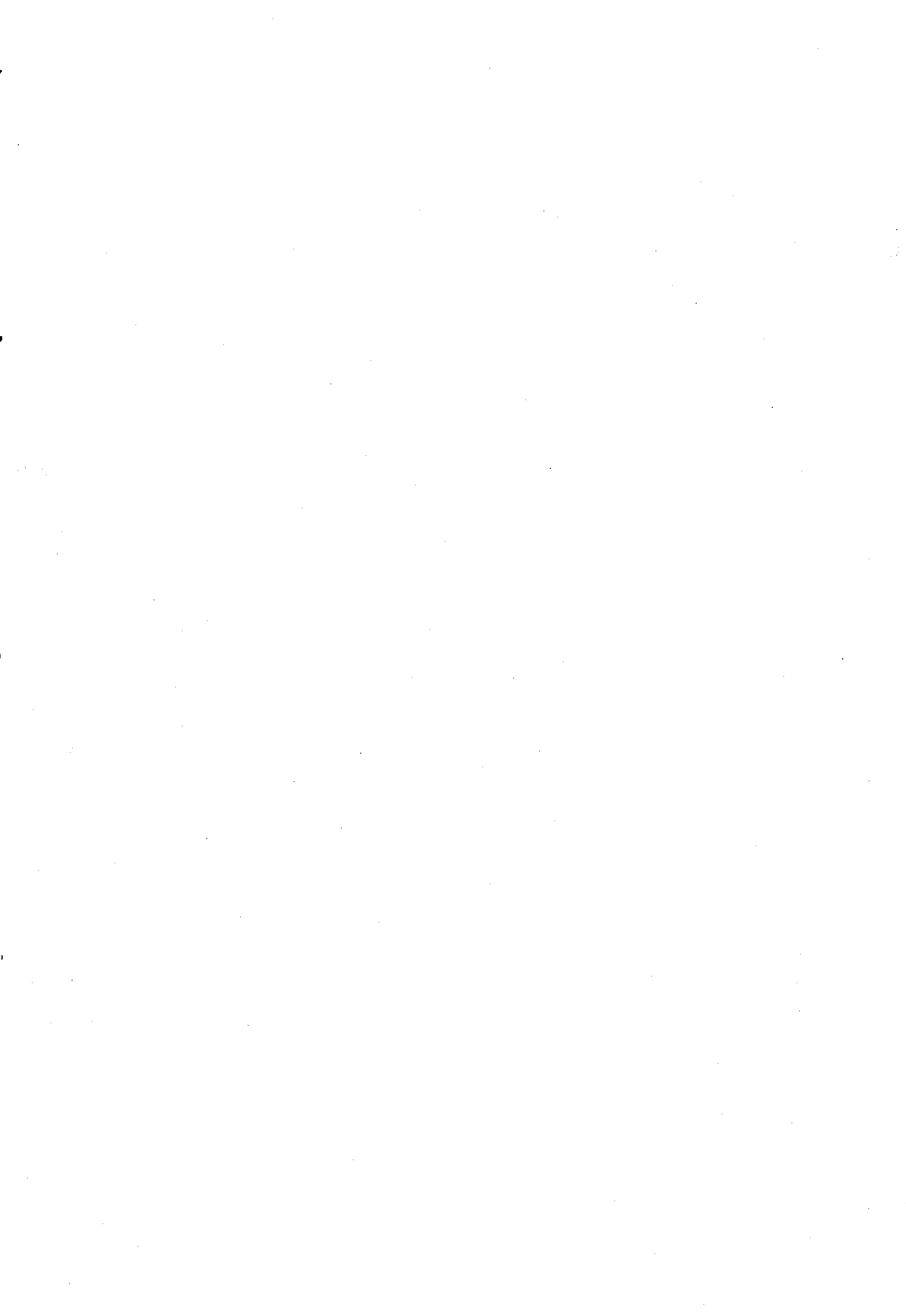
فَهَلْ تُبْلِغَنْ يَا طَيْرُ بَعْضَ رَسَائِلي
فَيُنْزِلَكَ الوَادِي وَتَرْفَعَكَ الهُضْبُ



وَتَنْشُرَ أَشْوَاقِي بِكُلِّ حَدِيْقَةٍ
وَتَجْعَلَ أَلْحَانِي يُرَدِّدُهَا الرَّكْبُ

١٩٤٥





حنين

هَلْ شَجَتْكَ الذِّكْرَى فَهذا حَنينُ
أَمْ عَرَفْتَ البَلْوى فهذا أَنِينْ

إيهِ يَانَفْسُ أَجْمِلي جَزَعاً وَآبْـ
ـتَسِمي كُلُّ فُرْقَةٍ سَتَهُونُ

لا دُمُوعِي تَسِيلُ، لَيْستْ جُفُوني
تَتَشَكَّى، وَالقَلْبُ لَيْسَ يَلينُ

أَنْتَ يَا شِعْرُ سِرْ إذَا وَقَفَ الدَّمْـ
ـعُ وَلَمْ تَنْطِقْ بِالشَّكَاةِ الجُفُونُ

هلْ جَفَاكَ المُحِبُّ بَعْدَ وِصَالِ
وَمَضَى لَيْسَ ذَاكِراً مَا يَكُونُ

١٩٤٦



كان رفيق الدراسة، ورفيق اللجوء ثم غادر إلى أمريكا للدراسة.

أعرني جناحك يا صاحبي

أَضَجَّ فُؤادُكَ أَمْ هَاجَهُ
لَعُوبٌ هُنَاكَ تَهُزُّ الوَتَرْ

مُدَلَّهَةً غَنَجَتْ وَانْثَنَتْ
تَصُدُّ وَتُبْدِي الحَيا وَالخَفَرْ

كَأَنَّكَ مِنْ وَحْيِهَا شَاعِرٌ
وَمِن حُسْنِهَا تَسْتَعِيرُ الدُّرَرْ

فَهَلْ حَمَلَتْكَ لِماضٍ تَوَلَّى
وَهَيَّجَ حِسَّكَ عَهْدٌ غَبَرْ

وَأَدْمَى جِرَاحَكَ مَا أَنْتَ فِيْهِ
وَحِرْتَ بِمُسْتَقْبَلٍ مُنْتَظَرْ



أَفِـقْ هَا هُنَـا نَغَـمٌ مُسْـتَـحَـبٌّ
وَوَحْـيٌ يُعِـيدُ بَدِيعَ الـصُّـوَرْ

وَذِكْـرَى تَرَدَّدُ فِي أَضْـلُعِـي
وَطَـيْفٌ مِنَ الْحُـلُمِ الْمُـسْـتَـمِـرْ

★ ★ ★

فَيَا صَاحِـبِـي حَمَلَتْـكَ الـلَّيالِي
تَشِـعُّ كَأَنَّـكَ نَجْـمٌ أَغَـرْ

وَيَا صَاحِـبِـي نَقَّـلَتْـكَ آلـرِّيَاضُ
فَلَسْـتَ هُنَـا أَوْ هُنَـا تَسْـتَـقِـرْ

فَإِنَّـكَ يَا صَاحِ طَيْرٌ طَلِيقٌ
وَمَـا زِلْـتُ فِي قَفَصِي أَنْـتَـظِرْ

فَقَـدْ حَبَـسُـوا الْمَـاءَ عَنِّي وَقَـصُّـوا
جَنَـاحَـيَّ ظُلْمًا فَأَيْنَ الْمَـفَـرْ

أَأَشْـكُـو...؟! فَيَطْوِي شَكَـاتِي إِذَنْ
ضَمِـيرُ الـزَّمَـانِ وَغَـيْبُ آلْـقَـدَرْ

كَأَنَّ الأَسَـى هَاجَ فِي مُقْـلَتِي
فَكَـانَ دُمُـوعَـاً وَكَـانَ شَرَرْ

وَغَيْظٍ أُكَتِّمُهُ في الحَشا
يَكادُ لَهُ كَبِدي يَنْفَطِرْ

أَعِرْني جَناحَكَ يا صَاحِبي
فَأَهْفُ على عَالَمي أَوْ أَطِرْ

★ ★ ★

تَذَكَّرْتَ مِمّا مَضَى رَبْوَةً[1]
قَضَيْنا عَلَيْها الُمنَى وَالوَطَرْ

يَضِجُّ بِسَاحَاتِها فِتْيَةٌ
تَهادَوْا عَلى جَنَبَاتِ العُمُرْ

فَيَفْتَرِشُ البَعْضُ عُشْبَ الثَرى
وَيَحْتَجِبُ البَعْضُ بَيْنَ آلْشَّجَرْ

فَهذا يُقَلِّبُ صَفْحَاتِهِ
وَهَذا يُرَدِّدُ فيها ذَكَرْ

وَهَذا على لَهْوِهِ مُقْبِلٌ
وَذاكَ تَمَلْمَلَ يَشْكُو الضَّجَرْ

---

(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المكبر .

أَتَـذْكُـرَ شَيْخـاً هُنَـاكَ جَلِيلاً[1]
أَبـاً لِشَـبـابٍ هُنَـاكَ ازْدَهَـرْ

لَهُ جَانِـبٌ أَبَـوِيٌّ رَقِـيْقٌ
وَحِـينـاً لَهُ جَانِـبٌ كالْحَـجَـرْ

رَحِـيمٌ إِذَا نِلْتَ مِنْ عَفْـوِهِ
وَقَـاسٍ عَنِـيدٌ شَدِيدُ الخَـطَرْ

فَيَا قَلْبُ بَكِّ عَلى عَالِمٍ
طَوَاهُ الـزَّمَـانُ وَيَا دَمْـعُ جُرْ

فَهٰـذِي رُبُـوعٌ دَهَـاهَـا الـزَّمَـانُ
وَخَـلَّفَـهـا بَعْـدَ عَيْنٍ أَثَـرْ

وَهَـذَا هُوْ ٱلْـوَطَـنُ ٱلْـمُـسْـتَـبَـاحُ
وَهَـذي مَعَـالِمُـهُ تَنْـدَثِـرْ

وَهَـذا الـشَّـبَـابُ تَجَرَّدَ مِنْهـا
كما يَتَـجَـرَّدُ غُصْـنُ الـشَّـجَـرْ

دَفَـنَّـا هُنَـالِـكَ أَحْـلامَـنَـا
لِتَـحْـمِـلَ مِنْهَـا الْهَـوى وَالـعِـبَرْ

١٩٥٠

(١) الأستاذ المرحوم احمد سامع الخالدي عميد الكلية العربية بالقدس.

مداعبات مع الإخوان



إلى صَدِيقٍ أذْكرِه بأيّام الدّراسَةِ في الكليَّة العَربيَّة بالقُدسْ

هذي فصول مضت لا بدّ راجعة

أيْنَ الحَـيَاةُ وَأيْنَ آلْـعِـزُّ وَالـطَّرَبُ
أيْنَ المَـلاَعِـبُ في أنْـحَـائِـهَـا نَثِـبُ

كُنَّـا نسـيُر وَتَحْـتَ الإِبْطِ عُدَّتُـنَـا
فَهٰـذِهِ صُحُـفٌ أوْ هَذِهِ كُتُـبُ

أوْ أنَّـنَـا فِرَقٌ لِلْدَّارِ حَامِـيَةٌ
وَالـدَّهْـرُ يَنْـظُرُ وَالآمَـالُ تُرْتَـقَـبُ

أيْنَ آلْـصُّـفُـوفُ وَقَـدْ ضَاقَتْ بِمَـجْلِسِهَـا
أيْنَ اُلْمـعَـلِّمُ قُرْبَ الـلَّوْحِ يَنْـتَـصِـبُ

أيْنَ الـشُّـجَـيْرَاتُ. وَالأَحْـرَاشُ نَامِـيَةٌ
وَبَـيْنَهَـا زُمَـرُ آلْـطُّلاَّبِ تَحْـتَـجِـبُ

هَلاَّ ذَكَـرْتَ رِفَـاقَـاً فِي جَوانِـبِـهَـا
يَضُـمُّـهُـمْ مِنْ ظِلاَلِ الأَيْكِ مُضْـطَرِبُ

هَذِي فُصُـولٌ مَضَـتْ لاَ بُدَّ رَاجِـعَـةٌ
وَسَـوْفَ نَطْعَـمُ مِنْهَـا كُلَّ مَا يَجِبُ

هَذِي آلْـبِـلادُ تُنَـادِيْنَـا وَدَعْـوَتُهَـا
قَدْ رَدَّدَتْهَـا سَماءُ آلْـبِـيْدِ وَالْهُـضُـبُ

هُبُّـوا إلى الـعِـلْمِ وَاسْتَـعْـصُـوا بِقَلْعَتِـهِ
فَإِنَّ حِصْـنَ وَعِـزَّ الـدَّوْلَـةِ الأَدَبُ

هَذِي المَـعَـاقِـلُ آمَـالٌ لأُمَّـتِـنَـا
مَصَـانِـعٌ يَرْتَجِـيهَـا الشَّرْقُ وَآلْـعَـرَبُ

١٩٤٤

★ ★ ★

ظلم الفرعون أفنته معاوله

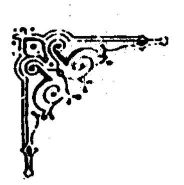
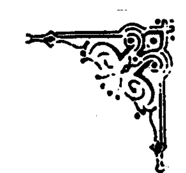
يَا مَنْ نَأى عَنْ رَوابِيْنَا وَخَلَّفَها
تَمُوجُ مِنْ عِطْرِ ذِكْراهُ وَتَضْطَرِبُ

وَفي جَوارِحِنَا شَوْقٌ يُرَدِّدُهُ
خَفْقُ الفُؤادِ، وَفي تَحْنانِهِ عَتَبُ

رَحَلْتَ! وَالقَلْبُ صِدْقٌ، مَا تُوَدِّعُهُ
وَلا أَزَالَ مِنَ آلْعُتْبَى لَنَا سَبَبُ

وَكَانَ يَنْتَظِرُ الأَيَّامَ مُقْبِلَةً
بِالعِزِّ رَافِلَةً بِالخَيرِ تَقْتَرِبُ

أَمَا ذَكَرْتَ زَمَاناً في رُبَى صَفَدٍ
لَمَّا رَقِينَا شَبَاباً عِطْرُهُ الأَدَبُ

وَالـشِّـعْـرُ يَخْرُجُ مِنَّـا دُونَ مَا نَصَـبِ
وَقَـدْ تَكَـلَّفَـهُ الأَعْـجَـامُ وَالـعَـرَبُ

★ ★ ★

رَحَـلْتَ وَالـسَّـعْـدُ يَمشِي فِي رِكَـابِـكُـمُ
وَمَـطْلَعُ الـعِـزِّ مَرْمُـوقٌ وَمُـرْتَـقَـبُ

ذَهَـبْـتَ تَطْلُبُ لِلْعَـلْيَاءِ مَنْـزِلَـةً
وَقَـدْ يَنَـالُ الـعُـلَا مَنْ نَالَـهُ الـتَّـعَـبُ

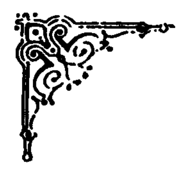
عَرِّجْ على الـنِّـيلِ وَاخْـطُرْ فِي جَوَانِـبِـهِ
وَانْـظُرْ رُسُـومَـاً مَشَتْ فِي رَبْـعِـهَـا الحِقَبُ

وَاقْـرَأْ صَحَـائِـفَ فِي أَرْجَـائِـهَـا نُشِرَتْ
قَدْ خَطَّهـا الـدَّهْـرُ وَالأَحْـدَاثُ والـنُّـوَبُ

وَانْـظُرْ إلى الهَـرَمَ الـعَـالِي وَرَوْعَـتِـهِ
وَمَجْـدِهِ وَهْـوَ خَلْفَ الأُفْـقِ يَحْتَـجِـبُ

وَانْـظُرْ لِصَـفْـحَـةِ عَمْـرٍو وَهِـيَ نَاشِرَةٌ
نُوراً تَلأْلأَ مِنْـهُ الـنِّـيْلُ وَالهُـضُـبُ

فَهَـذِهِ عِبْرَةُ المَـاضِي لِمُعْـتَـبِرٍ
وَهَـذِهِ حِكَـمُ الأَيَّامِ وَالخُـطَبُ




ظُلْمٌ لِفِرعَونَ أفْنَتْهُ مَعَاوِلُهُ
وَعَدْلُ أَحْمَدَ بَاقٍ لَيسَ يُنْتَهَبُ

* * *

لَا تَبْكِيَنَّ على مَاضٍ إذَا عَرَضَتْ
أطْيَافُ ذِكْرَى طَوَتْهَا دُونَنَا الحُجُبُ

كُنَّا هُنَالِكَ أَبْطَالَ المعَارِكِ لَا
نَخْشَى الحُتُوفَ وَتَمْضِي دُونَنَا القُضُبُ

وَالخَيْلُ جَارِيَةٌ تُورِي سَنَابِكُهَا
قَدْحاً وَيَنْشُبُ مِنْ أَكْتَافِهَا العَطَبُ

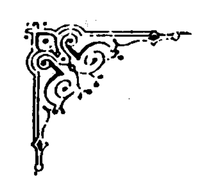
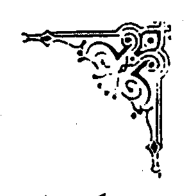
حَتَّى رَفَعنَا العُلَا وَالدِّيْنُ يَعْمَدُهُ
كأنَّهُ قَلْعَةٌ أَوْ مَعْقِلٌ أَشِبُ

* * *

فَجُدَّ لِلْعِلْمِ! إنَّ العِلْمَ يَنْفَعُنَا
إذَا تَعَانَقَ فِيْهِ الدِّيْنُ وَالأَدَبُ

وَإنَّما العُمْرُ حَرْبٌ في مَنَازِلِهَا
تَصَارَعَتْ قُوَّتَانِ : الصِّدْقُ وَالكَذِبُ

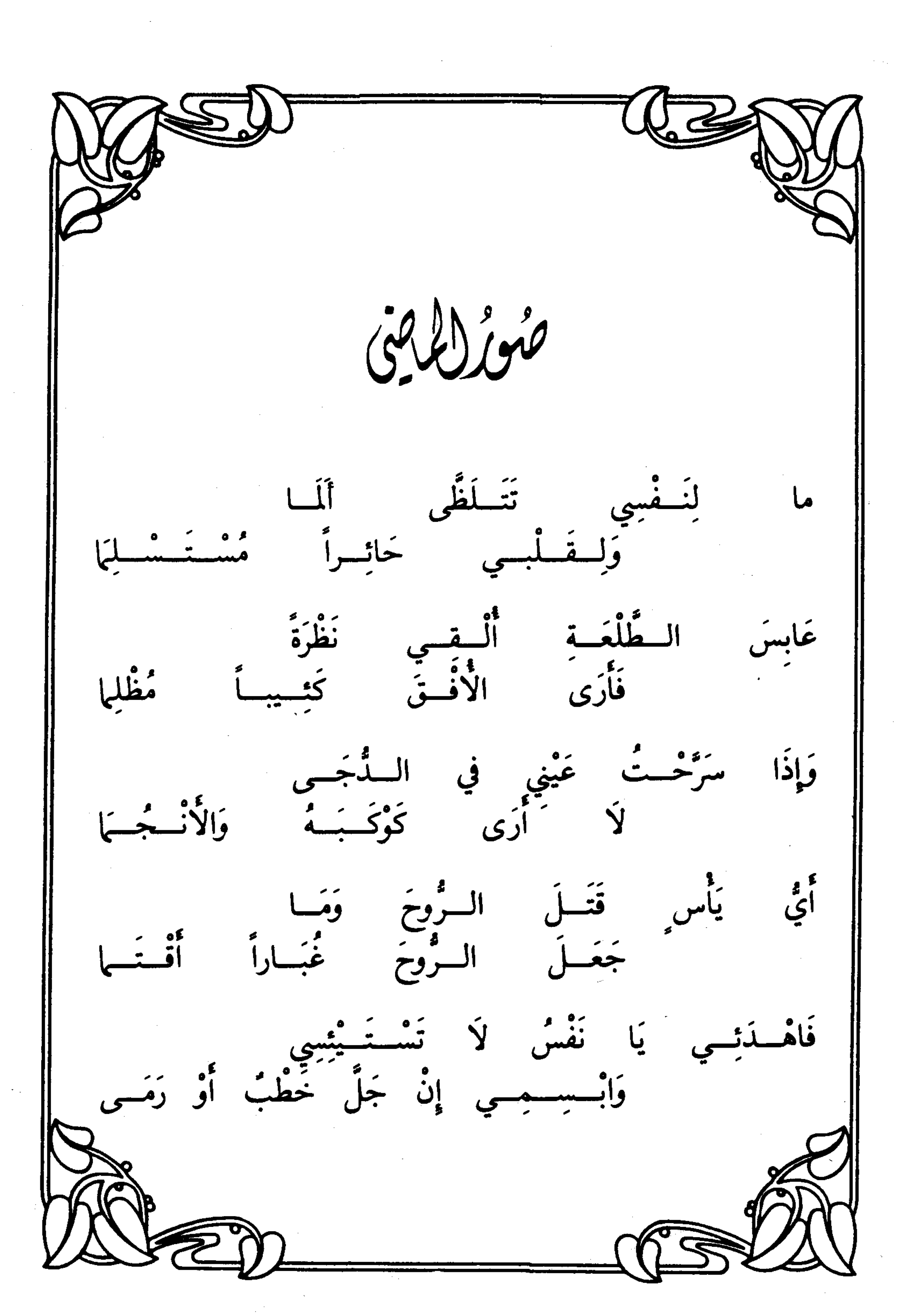
وَجَوْلَةٍ ضَرَّسَتْ فِيْهَا أخَا كَذِبٍ
وَهَرْوَلَتْ خَاسِئَاتٍ دُونَهَا الرِّيَبُ

يَعــلو بِها الحــقُّ خَفَّــاقَــاً برَايَتِــهِ
وَثَّــابَــةً حَولَهــا فِتْــيَانُــهُ الــنُّــجُــبُ

١٩٤٥

★ ★ ★



صُوَرُ الماضي

ما لِنَفْسِي تَتَلَظَّى أَلَما
وَلِقَلْبي حَائِراً مُسْتَسْلِما

عَابِسَ الطَّلْعَةِ أُلْقي نَظْرَةً
فَأَرى الأُفُقَ كَئِيباً مُظْلِما

وَإِذَا سَرَّحْتُ عَيْنِي في الدُّجَى
لَا أَرى كَوْكَبَهُ وَالأَنْجُما

أَيُّ يَأْسٍ قَتَلَ الرُّوحَ وَمَا
جَعَلَ الرُّوحَ غُبَاراً أَقْتَما

فَاهْدَئِي يَا نَفْسُ لَا تَسْتَيْئِسِي
وَابْسِمِي إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أَوْ رَمَى

وَانْـظُرِي حَوْلَـكِ هَذا صَاحِـبٌ
يَبْـعَـثُ الـعَـزْمَ وَيُحْـيِي الِهـمَـمَا

في رُبَــى بَيْرُوتَ يَسْـتَـجْـدِي الَهـوى
وَمَــهَـا بَيروتَ تَأْبَـى الـكَـرَمَـا

فَسَـلُوا بَيروتَ عن لذَّاتِـهِ
وَسَـلُوا الـغَـادَاتِ عَمَّا كَتَـمَا

وَسَـلُوا الأَرْزَ وَمَــا جَاوَرَهُ
هَلْ يُعِـيدُ الأَرْزُ مَا قَدْ عَلِمَا

أَوْ سَلُونِي أَنَـا مَنْ صُحْـبَـتُـهُ
صَفْـوَةُ الـنّـاصِـحِ أَهْـدى الـسَّـلَمَا

★ ★ ★

إِيهِ يَا صَاحِ سَلَامٌ طَيِّبٌ
رَدَّدَ الـطَّيْرُ صَدَاهُ نَغَـمَا

إِيهِ يَا صَاحِ سَلَامٌ خَالِصٌ
يَرْفَـعُ الـعَـتْـبَ وَيَنْـفـي الـتـهَـمَا

إِنَّـمَا الـتَّـحْـرِيرُ هَذا صَفْـحَـةٌ
سَطَّرَ الـشَّـوْقُ عَلَيْهِ الـكَـلِمَا

عُدْتُ لِلذِّكْرَى وَمَا أَجْمَلَهَا
وَكَأَنِّي قَدْ ذَكَرْتُ الحُلُمَا

كم رَتَعْنَا تَحْتَ ظِلٍ وَارِفٍ
وَطَرِبْنَا وَحَفِظْنَا الذِّمَمَا

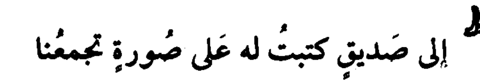
نَفْتَحُ الصَّفْحَةَ نُحْيي أَحْرُفاً
يُسْأَلُ العَارِفُ عَمَّا عَلِمَا

صُوَرُ الْمَاضِي وَمَا أَجْمَلَهَا
هَلْ يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْداً قَدُمَا

أَنْتَ في بَيْرُوتَ تُحْيي أَمَلاً
وَأَنَا في القُدْسِ أُحْيي أَلَمَا
١٩٤٦

* * *




إلى صَديقٍ كتبتُ له علَى صُورةٍ تجمعُنا

صورة

صُورَةٌ تُبْـدِي إِلَـيْكَ الـعَـجَـبَـا
تَجْعَـلُ الـنَّـائِـي كأَنْ قَدْ قَرُبَـا

فَلَكَ الـذِّكْـرَى وَمَـا أَجْمَـلَهَـا
تَبْـعَـثُ الْمَـاضِـي إِذَا مَا احْـتَـجَـبَـا

لَا يَزَالُ الـذِّكْـرُ سُلْوَانـاً لِمَنْ
كَتَـبَ الـدَّهْـرُ عَلَيْهِ الـنُّـوَبَـا

١٩٤٥

★ ★ ★

أُجْرِيَتْ عمليّة جراحيّة لأحد الأصدقاء.

وطبيبٍ غارقٍ في طبِّهِ

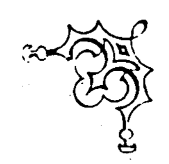
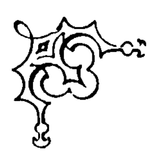
سَلْ يَدَ «الـدُّكْـتُـورِ» مَاذَا فَعَـلَتْ
وَسَـلِ الـسِّـكِّـينَ مَاذَا جَرَحَـا

أَيُّ جَنْـبٍ مِنْـكَ آذَوْهُ وَلَمْ
يُشْـفِـقُـوا فِي شَقِّـهِ فَانْـفَـتَـحَـا

غَائِـبٌ فَوْقَ سَرِيرٍ لَمْ تَكُـنْ
تَعْـلَمُ الأَمْـرَ وَمَـا قَدْ سُفِـحَـا

وَطَـبِـيبٍ غَارِقٍ فِي طِبِّـهِ
كَشَـفَ الجِـسْـمَ وَأَبْـدَى الـقُـرَحَـا

بَاسِـمَ الـطَّلْعَـةِ خَفَّـتْ يَدُهُ
وَيَدُ الـلَّهِ تُتِـمُّ الْـفَـرَحَـا

شَعَّتِ السِّكِّينُ في أَنْمُلِهِ
وَتَلالَتْ فَهْيَ سِرٌّ فُضِحَا

لانَتِ السِّكِّينُ حَتَّى إنَّني
خِلْتُ عِيسى مَدَّهَا كَيْ يَمْسَحَا

فَهَنِيئاً وَسَلاماً، كُلُّ جَا
رِحَةٍ تُبْدِي إلَيْكَ المَرحَا

لَعِبَتْ بَيْنَ ثَنَايَا أَضْلُعِي
لَوْعَةُ ٱلشَّوْقِ وَذِكْرٌ سَرَحَا

أَيْنَ دَارٌ[1] خَارِجَ القُدْسِ! نَأَتْ
أَيْنَ صَحْبِي! أَيْنَ صَحْبِي! نَزَحَا

يَوْمَ كُنَّا نَشْتَكِي الدَّرْسَ وَلَمْ
نَدْرِ مَا مَعنَى الأَسَى وَالتَّرَحَا

يَوْمَ غَطَّى ٱلثَّلْجُ أَطْرَافَ الثَّرَى
فَتَرَاهُ غَازِياً مُكْتَسِحَا

فُرِّقَ ٱلطُّلَّابُ! هذا وَاثِبٌ
يَتَلَقَّى الثَّلْجَ وَالبَعْضُ انْتَحَى

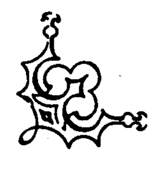
(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المُكَبِّر.

فَقَـوِيٌّ ثَابِـتٌ فِي حَرْبِـهِ
وَضَـعِـيفٌ فِي الـثَّـرَى قَدْ طُرِحَـا

سُنَّـةُ الـدَّهْـرِ عَلى عِلَّاتِـهِ
كَتَـبَ الـدَّهْـرُ وَلَـكِـنْ مَا مَحَا

١٩٤٦

★ ★ ★





رجل هَجا بأبياتٍ منَ الشّعر مَدينة صَفَد فبعَثتُ له بهذه الأبيات.

فاقصد هواك إذن فأنت أسيره

صَفَدٌ أَتَتْكِ مَذَمَّةُ الأَعْدَاءِ
وَمَقَالَةُ الحُسَّادِ في الأَبْنَاءِ

نَسَجَتْ يَدُ الحِقدِ الدَّفِينِ سِيَاجَهَا
وَغَشَتْ نَوَاظِرَهُمْ يَدُ الأَهْوَاءِ

وَالحِقْدُ يَبْعَثُهُ التَّفَاوُتُ في العُلَا
لَا بَيْنَ أَنْدادٍ لَهُ أَكْفَاءِ

فَلَقَدْ طَوَاكِ العِزُّ في أَثْوَابِهِ
وَلَبِسْتِ أَبْهَى حُلَّةٍ وَرِدَاءِ

★ ★ ★

يَا شَاعِراً وَالضَّادُ تَخْجَلُ أَنْ تَرَا
كَ مُصَاوِلاً في جُمْلَةِ الشُّعَرَاءِ

مَا كُلُّ مَنْ قَدْ قَالَ بَيْتاً شَاعِراً
لَقَبٌ تَبِينُ عَلَيْهِ كالأَقْذَاءِ

أَنْتَ العَقُوقُ وَقَدْ رَوَاكَ نَمِيرُهَا
فَشَبَبْتَ تُنْكِرُ نِعْمَةَ الآبَاءِ

أَوَلاَ تَرَى نِعَماً تَفِيضُ بِأَرْضِهَا
حَتَّى جَزَيْتَ نَعِيمَهَا بِهِجَاءِ

وَالعَيْنُ إِنْ كَثُرَ ٱلضِّيَاءُ ضَرِيرَةٌ
أَوَ هَلْ يُرَى بِالْمُقْلَةِ العَمْيَاءِ

فَحَذَارِ يَا هَذَا فَإِنِّي نَاصِحٌ
لَكَ...! إِنَّ شِعْرِي نَفْثَةُ الرَّقْشَاءِ

أَسْقِيكَ بِالكَأْسِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا
لِسِوَاكَ بَيْنَ جَوَانِبِ الغُرَبَاءِ

أَهَجَوْتَهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَرْقَصاً
وَخَلاَعَةً بِمَنَازِلِ ٱلْكُرَمَاءِ

فَاقْصِدْ هَوَاكَ إِذَنْ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ
إِنَّ الهَوَى هُوَ آسِرُ الجُهَلاءِ

١٩٤٤

★ ★ ★

صديق كريم أحبّ فتاة وباح لي بحبّه. وكان حبّه هنالك في دير الزور.

يا ساكن الدّير

يَا سَاكِنَ الدَّيْرِ هَلْ فِي الدَّيْرِ رُهْبَانُ
أَمْ هَلْ حَوَالَيْكَ عُشَّاقٌ وَغُزْلَانُ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الدَّيْرَ دَارُ هَوًى
وَأَنَّ مَنْ بِنَوَاحِي الدَّيْرِ قَدْ لَانُوا

كَأَنَّمَا ٱلْقَلْبُ نَاقُوسٌ إِذَا خَفَقَتْ
أَضْلَاعُهُ وَكَأَنَّ ٱلْعَيْنَ أَلْحَانُ

أَقَامَ فِي ٱلشَّامِ لَمْ تَخْفِقْ جَوَانِحُهُ
وَلَمْ يَكُنْ لِخِلَافِ ٱلشَّامِ حُسْبَانُ

كَأَنَّما بَرَدَى لَمْ تُجْدِ رُقْيَتُهُ
وَلَمْ يُعَانِقْكَ فِي ضَفَّاتِهِ ٱلْبَانُ

★ ★ ★

ثُمَّ انْـثَـنَـيْتَ عَنِ الـعَـاصِي وَضَـفَّـتِـهِ
وَشَـأْنُ أَهْـلِ «حَـمَـا» صِدْقٌ وإِحْـسَـانُ

حَتَّـى نَزَلْـتَ على «آلْـفَـوْرَاتِ» ذَا ظَمَـأٍ
فَهَـبَّ يَرْوِيكَ عِنْـدَ الـدَّيْرِ جِيرَانُ

كَأَنَّـمَا آلْـغِـيدُ أَزْهَـارٌ رَوَائِـحُـهَـا
عِطْرُ آلْـشَّـبَـابِ وَهَـذِي الأَرْضُ بُسْـتَـانُ

تَطُوفُ فِيهِ وَتَجْـنِي مِنْ أَزاهِـرِهِ
وَتَـنْـتَـقِـي: فَبِـهِ وَرْدٌ وَرَيْحَـانُ

هُنَـاكَ في آلْـدَّيْرِ كَمْ نَاجَـيْتَ شَارِدَةً
وَكَـمْ رَنَـتْ لِحَسَـانِ الحَـيِّ أَجْـفَـانُ

★ ★ ★

شَكَـوْتَ لي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِـدْ أَحَـداً
أَشْـكُـو إِلَـيْهِ وَفي جَنْـبَـيَّ نِيرَانُ

هَوَاكَ غِيدٌ وَتَـشْـكُـو مِنْ لَوَاحِـظِهَـا
لَكِـنْ هَوَى أَضْـلُعِـي دِينٌ وَأَوْطَـانُ

١٩٥١

★ ★ ★

حِينَ رحل في طلب العلم.

فاقرأ بعينيه السلام

مَنْ لِلْفُؤادِ إِذَا رَحَلْـ
ـتَ وَمَنْ يَحِنُّ وَمَنْ يُعْينُهْ

عصرَ الجوَى يَوْمَ الوَدَا
عِ حَنانُهُ فَجَرتْ شُؤونُهْ

أَلوَيْتَ...! لَمْ تَبْسِمْ وَعَهْـ
ـدِي بالإخاءِ تُرَى دُيُونُهْ

فَرَجَعْتُ لِلرَّسْمِ المُصَوْ
وَرِ لَمْ تَحِدْ عَنِّي عُيُونُهْ

عَيْنَاهُ تَنْطِقُ بالوَفَا
شَرَحَتْ مَعَانِيَهُ جُفُونُهْ

وَشِفَاهُهُ كَادَتْ تَبَسْـ
ـسَمُ وَالرضَى كَادَتْ تبِينُهْ

لَوْ أَمْهَلَ التَّصْويرَ صَا
حِبُنَا وَلَمْ تَعْجَلْ يَمِينُهْ

فَارْجِعْ لِرَسْمِيَ إِنْ أَضَرْ
رَ بِكَ النَّوَى وَقَسَتْ شُجُونُهْ

فَحَدِيثُهُ سَلْوى وَفي
عَيْنَيْهِ يُعْلَمُ مَا أَنِينُهْ

كَيْما يُعِيدُكَ لِلِّقَا
وَتَسير بِالذِّكْرَى سَفِينُهْ

فَهُنَاكَ في حَلَبٍ وذكـ
راها يَرِقُّ لَهَا حَنِينُهْ

فَهُنَاكَ قَدْ عَرفَ الهَوَى
وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ جُنُونُهْ

وَهُنَاكَ قَدْ صَدحَ الهَوَى
نَغَمَاتِهِ وَدَوَى رَنِينُهْ

مَا لاَمَــهُ أَحَــدٌ وَلاَ
ذَكَــرُوا هُنَــالِــكَ مَا يَشِــينُــهْ

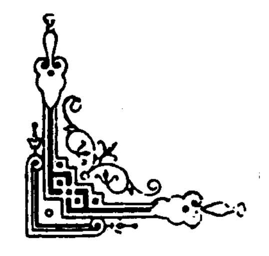
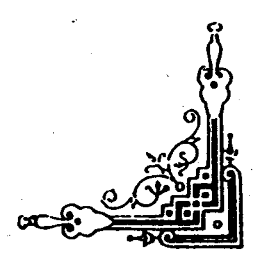
خُلُقٌ لَهُ وَشَــمَائِــلٌ
طَابَــتْ وَطَــابَ بِهَا خَدِينُــهْ

فَذَهَــبْــتَ وَانْــفَــرَطَ الــصِّــحَــا
بُ وَعَــادَ يَطْوِيهِ حَنِــينُــهْ

فَاقْــرَأْ بِعَــيْنَــيْهِ الــسَّــلاَ
مَ وَقُــلْ بِرَبِّــكَ مَنْ يُعِــيْنُــهْ

١٩٥٠

★ ★ ★

فهرس الكتاب

- ديوان الأرض المباركة - الطبعة السادسة .
- ديوان موكب النور - الطبعة الرابعة .
- ديوان جراح على الدرب - الطبعة الثالثة .
- ديوان مهرجان القصيد - الطبعة الأولى .

* * *

- ملحمة الغرباء - الطبعة الثالثة .
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) - الطبعة الثانية .
- ملحمة الجهاد الأفغاني - الطبعة الثالثة .
- ملحمة فلسطين - الطبعة الخامسة .
- ملحمة الأقصى - الطبعة الثانية .
- ملحمة الإسلام في الهند - الطبعة الأولى .
- ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى - الطبعة الثانية .

* * *

- على أبواب القدس - الطبعة الثانية .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - الطبعة الرابعة .
- الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ - الطبعة الثالثة .
- عبدالله عزام . أحداث ومواقف - الطبعة الأولى
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - (مترجم إلى اللغة التركية) الطبعة الأولى .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع - مترجم إلى اللغة الانجليزية - الطبعة الأولى

* * *

- دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) - الطبعة الأولى .

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية – الطبعة السادسة .
- الشورى وممارستها الإيمانية – الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية – الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين – الجزء الأول – الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين – الجزء الثاني – الطبعة الثانية .
- لقاء المؤمنين – الجزء الأول – (مترجم إلى اللغة التركية) .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق – الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر – الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر – الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية – الطبعة الرابعة .
- النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني – الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع – الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام – الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء – الطبعة الثانية .
- منهج لقاء المؤمنين – الطبعة الأولى .
- «خطة الدّاعية The Caller's Plan» (باللغة الانجليزية) – الطبعة الأولى .
- أضواء على طريق النجاة – الطبعة الأولى .

* * *

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته – الطبعة الثالثة .
- الحداثة في منظور إيماني – الطبعة الرابعة .
- تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها – الطبعة الثانية .

* * *

• مع الأرض المباركة •

.... وأحداث أمتنا لا يكفيها الشعر ولا النثر. إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة والعتاد، وكل أنواع القوى وأساليب الجهاد. والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح هذه الأسلحة.... سلاح لا بُدَّ من أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة القوية تكون الكلمة قوية...، قوية بمنطلقها، وأثرها، ومداها.

ولقد ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم. ضعفت شكلاً ومضموناً، وضعفت أثراً ومدى. ضعفت الكلمة كما ضعفت الأمة وكما ضَعُفَت سائر أسلحتها. ولكنها جولة من جولات أمة الإسلام بين ماض بعيد ومستقبل قريب. إنها جولة من الجولات ومرحلة من المراحل في تاريخ عظيم ممتد في الحياة حتى قيام الساعة. فهذا هو تاريخ المؤمنين وهذا هو مداه...!

ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم حين استسلمت على خدَرِ الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتال يميناً وشمالاً ومن كل ناحية تاريخاً وأمجاداً، ولغة وعتاداً، ويمزق ويسحق، ويخلف وراءه جثثاً وجيفاً....!

إنها غفوة من الغفوات في تاريخ أمتنا. لا بد من صحوة بعدها إن شاء الله، ولا بد من وثبة مظفرة في ميادين الحق والجهاد، لتشهد أمتنا جولات النصر والغلبة، عابدة لله خاضعة له، حتى تكون كلمة الله هي العليا...!

يا أُمَّـةَ الـقُـرآن دارُكِ حُـلْـوَةٌ	ما طَـوَّفَـتْ ذِكْـرى وهَـاجَ حَـنَـانُ
مَـغْـنـاكِ مَنْثُورُ الأزاهِرِ كُلُّـهَـا	عَـبَـقٌ إذا خَـضِـرَتْ بـه العيدانُ
لا أنتَقي مِنْ غَرْسِ رَوْضِكَ زَهْـرَةً	إلا وكَـانَ عَـبـيرَهَا الإيمـانُ

ردمك: ٦ - ٢٣ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠